مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد ٧٧

وِجْهَةُ نَظَرٍ جديدةٍ في مخارجِ الأصواتِ السِّتَّةِ

أ.د. غانم قدوري الحمد

كلية التربية – جامعة تكريت

مقدّمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، والعاقبةُ للمتّقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد:

فإنّ دراسة مخارج الأصوات اللغوية من أهم موضوعات علم الأصوات النطقي، وكان لعلماء اللغة العربية المتقدِّمين وعلماء القراءة والتجويد عناية كبيرة بهذا الموضوع؛ لأنّهم يعدّونه من أهم الموضوعات التي يَنبني عليها ضبط النطق وتصحيح القراءة، وحَظِيَ هذا الموضوع أيضاً بعناية كبيرة من دارسي الأصوات اللغوية المحدثين، وكانت لهم وجهات نظر جديدة في بعض جوانبه، تستند في كثير منها إلى ما أتاحته لهم الوسائل الحديثة لدراسة الصوت اللغوي.

وكنت أحسب أنّ الموضوع قد استوفى كل مقوّماته الأساسية، وأنّ ما بَقِيَ للدّارسين فيه هو النظر في بعض جوانبه الجزئية والتفصيلية، وكنت أجد وَصْفَ المتقدّمين للأصوات الستة (ء هـ ع ح غ خ) بأنَّ مخرجها من الحلق من الْمُسَلَّمَاتِ، وأنَّ الهمزة و الهاء تخرج من أقصى الحلق، والعين والحاء من وسط الحلق، والغين والخاء من أدنى الحلق إلى الفم، ولم يُغَيِّرِ المحدثون من هذا الوصف سوى أشياء طفيفة، كالقول إنّ أقصى الحلق يُقْصَدُ به الحنجرة، ومن ثم وصفوا الهمزة والهاء بأنهما حنجريان، وأبقوا وصف العين والحاء على ما هو عليه،

واقترح بعضهم عدَّ الغين والخاء طبقية، وهي أشياء تعبِّر عن وجهات نظر لا تغيِّر من جوهر الموضوع.

وكانت تلفت نظري أشياء تتعلق بعلم الأصوات اللغوية من خلال رحلتي الطويلة مع هذا العلم، سواء من القراءة في كتب علماء العربية والتجويد، أم من القراءة في ما كُتِبَ بالعربية في هذا العلم في العصر الحديث، أو من خلال البحث في بعض موضوعات هذا العلم، والتأليف فيه، وكان البحث في تفاصيل أعضاء آلة النطق وكيفية إنتاج الأصوات اللغوية ممّا يستوقفني كثيراً، وازداد اهتمامي بتشريح الحنجرة ومكوناتها وعملها، مع أنّ البحث في مثل هذه الموضوعات ممّا يصعب على الدارسين للغة الخوض فيه، وقديماً قال الفخر الرازي: "إنّ مباحث الحرف والصوت وتشريح العضلات الفاعلات للحروف. .. أمور صعبة دقيقة" (١)، لكني حاولت الاستعانة ببعض كتب التشريح المترجمة إلى اللغة العربية وما فيها من صور توضيحية لأعضاء آلة النطق لاسيّما مكونات الحنجرة.

وحاولت أن أُحدِّد بالضبط مواضع نطق الأصوات الستَّة: (الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء)، بعد أن وجدت أن التحديد السابق لمخارج هذه الأصوات غير كاف في تعيين مواضعها من الحنجرة أو تجويف الحلق بالضبط.

ولم أجد في كتب علم الأصوات اللغوية الحديثة ما يساعد على التدقيق في مخارج هذه الأصوات، لأنّ كثيراً من مادة هذه الكتب هو ترجمة من المصادر الغربية، ولم يُبْدِ علماء الصوت الغربيون اهتماماً بهذه الأصوات؛ لأنَّ أكثرها غير موجودة في لغاتهم، وقد قال الدكتور إبراهيم أنيس، وهو شيخ الباحثين العرب المحدثين في الأصوات – رحمه الله تعالى: "والمحدثون من علماء الأصوات

(١) التفسير الكبير ٣٧/١.

اللغوية لم يحاولوا حتى الآن تحديد وظيفة الحلق بين أعضاء النطق، ولعلّ البحوث المستقبليّة تكشف لنا عن أسرار جديدة لأصوات الحلق"[٢].

وقد تكشَّفت لي حقائق جديدة عن مخارج الأصوات الستَّة، فما كان يُقال في كتب علم الأصوات الحديثة من أنّ لسان المزمار لا علاقة له بعملية النطق، وأن الوترين الصوتيين الكاذبين ليس لهما دور في عملية التصويت قول قد يكون غير دقيق، كما أنّ تحديد مخارج هذه الأصوات به حاجة إلى إعادة النظر، وذلك لأن القول:

(١) إنّ مخرج الهمزة والهاء من أقصى الحلق أو من بين الوترين الصوتيين غير دقيق ويمكن إعادة النظر فيه.

(٢) وإنّ مخرج العين والحاء من وسط الحلق يخلو من الدّقّة المطلوبة في تحديد مخارج الأصوات.

(٣) وإنّ تحديد مخرج الغين والخاء بأدنى الحلق من الفم عند علماء العربية، أو بأقصى اللسان والحنك أو القول إنّه من الطبق عند المحدثين لا يحدِّد مخرج هذين الصوتين على نحو دقيق.

ويحاول هذا البحث تقديم تصوُّر جديد لمخارج الأصوات الستة، ويُبَيِّنُ بالتحديد مخرج كل منها، ودور الوترين الصوتيين الكاذبين والغلصمة (لسان المزمار) في إنتاجها. وسوف أعرض وجهة النظر هذه من خلال المباحث الآتية:

المبحث الأول: تجويف الحلق ومكوناته.

المبحث الثاني: مخارج الأصوات الستّة عند علماء العربية والتجويد.

المبحث الثالث: مخارج الأصوات الستّة عند المحدثين.

---

(٢) الأصوات اللغوية ص٨٨.

المبحث الرابع: التصوّر الجديد لمخارج الأصوات الستّة.

وإني إذ أعرض وجهة نظري هذه، فإني أودّ أن أُذَكِّرَ القارئ أنّها لا تتضمن أية دعوة إلى تغيير النطق، أو مراجعة القراءة. فالبحث يقوم على تحليل النطق العربي المعاصر، المتمثِّل في أعلى صور الفصاحة فيه بقراءة القرآن، ويهدف إلى فهم أدقّ لهذا النطق، واكتشاف حقيقة ما يجري عند نطق الأصوات الستّة، وهي حقيقة واحدة لا تتعدّد، لكن قد تتعدّد صور إدراكها، فتقترب منها أو تبتعد، وأحسب أنّي بهذا البحث قد اقتربت منها أو توصلت إليها.

وسيلاحظ القارئ إدراج المصطلحات الإنكليزية الدالّة على أجزاء الحنجرة ومكوّناتها إلى جانب المصطلحات العربية، على الرغم من عدم إجادتي للغة الإنكليزية، وذلك لغلبة استعمال هذه المصطلحات في كتب التشريح المترجمة إلى العربية، ولتعدّد المصطلحات العربية المقابلة لها في بعض الأحيان، ممّا قد يسبّب الغموض لدى القارئ، فتكون هذه المصطلحات دليلاً له إلى المقصود بالمصطلح العربي.

هذا ما تَرَجَّحَ عندي بعد البحث والنظر، أردت أن أعرضه على أهل الاختصاص، ليقولوا كلمتهم فيه، فإن كان صحيحاً فإنّي أرجو أن يُسْهِمَ في زيادة معرفتنا بمخارج الأصوات الستّة، ويُيَسِّرَ على الدارسين والمتعلِّمين التعامل معها، وإن وجدوه غير ذلك فإنّي أرجو أن يُنظروا إليه على أنّه اجتهاد بشريّ يحتمل الخطأ والصَّواب، وسوف أكون شاكراً لكل من يصحِّح بعض ما ورد في البحث من جوانب الضَّعف والتقصير، أو الخطأ والشَّطط، حتى لا يغترَّ بما ورد فيه بعض من يقرؤه، وحتى أرجع عنه إلى ما هو أصحّ منه، إن شاء الله.

ويلزمني توجيه الشكر إلى الأساتذة الأفاضل الذين قرؤوا البحث وأبدوا وجهات نظرهم فيه تأييداً أو تسديداً، فإنّي أفدت من ملاحظاتهم، وأخصّ بالذكر الأستاذ

عمار محمد الخطيب، الباحث في القراءات والصوتيات، والمقيم في كندا، والدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري الأستاذ المساعد بكلية التربية في جامعة الملك سعود، والدكتور الطبيب سالم حسين إبراهيم، اختصاصي الأنف والأذن والحنجرة بكلية الطب في جامعة تكريت، وأخي الدكتور سالم قدوري الحمد الأستاذ بكلية التربية للبنات في جامعة تكريت أيضاً، جزاهم الله تعالى جميعاً كلّ خير.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.

تكريت

٢٠٠٧/٣/٤م

١٤٢٨/٢/١٥هـ

المبحث الأول

تجويف الحلق ومكوّناته

١٥

تتكوّن آلة النطق لدى الإنسان من ثلاثة تجاويف رئيسة، هي تجويف الفم، وتجويف الأنف، وتجويف الحلق، وهو الذي يعنينا هنا الحديث عنه؛ لأنّ الأصوات الستّة تخرج منه.

ويُرَادُ بالحَلْقِ، أو التجويف الْحَلْقِيّ، الموضع الذي تخرج منه الأصوات العميقة الستّة، وينتهي من الأسفل بالحنجرة ومن الأعلى بالتجويف الفموي والتجويف الأنفي، وتُعَدُّ الحنجرة أهمّ عضو في التجويف الحلقي، لأنّها تضمّ الوترين الصوتيين اللذين تصدر منهما النغمة الحنجرية التي تعطي صفة الجهر لعدد من أصوات اللغة.

ويتداخل المعنى اللغوي لكلمة الحلق بمعنى كلمة (البُلْعُوم)[١]، لكنّ علماء العربية المتقدّمين استخدموا كلمة (الحَلْقِ) دون كلمة البلعوم للدلالة على التجويف الذي تصدر منه الأصوات الستَّة[٢]، واستخدم عدد من المحدثين كلمة الحلق[٣] أيضاً، بينما استخدم بعضهم كلمة البلعوم[٤].

(١) يُنظر: لسان العرب ٣٤٣/١١ (حلق) و ٣٦٧/٩ (بلع) و ٣٢٢/١٤ (بلعم).

(٢) يُنظر: سيبويه: الكتاب ٤٣٣/٤.

(٣) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص١٨، ومحمود السعران: علم اللغة ص١١٣، وكمال بشر: علم الأصوات ص١٣٨.

(٤) عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٦٣، وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١١٨.

وهذه صورة لأعضاء آلة النطق يتّضح من خلالها موقع تجويف الحلق فيها:

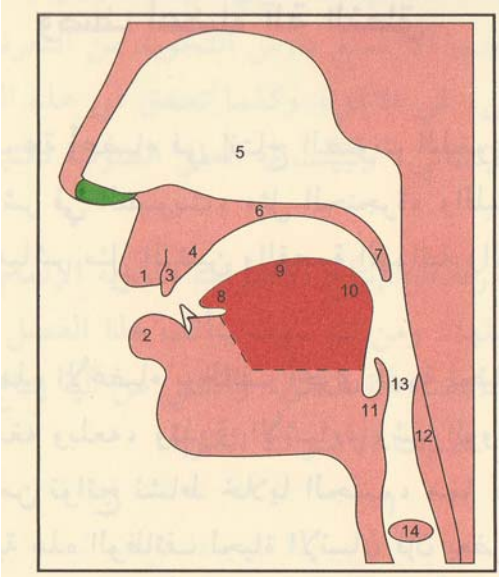

1 و2 ـ الشفتان
3 ـ الأسنان
4 ـ اللثة
5 ـ تجويف الأنف (الخيشوم)
6 ـ وسط الحنك
7 ـ أقصى الحنك (اللهاة)
8 ـ طرف اللسان
9 ـ وسط اللسان
10 ـ أقصى اللسان
11 ـ لسان المزمار
12 ـ فتحة المريء
13 ـ تجويف الحلق
14 ـ الحنجرة الوتران الصوتيان

وتقع الحنجرة في أقصى تجويف الحلق، وهي تتألّف من عدد من الغضاريف التي تُشكِّلُ حُجْرَةً صغيرة أو صندوقاً صغيراً يقع في أعلى القصبة الهوائية، ويضمّ في داخله الوترين الصوتيين، وأهم غضاريف الحنجرة[٥]:

(٥) يُنظر: ابن سينا: أسباب حدوث الحروف ص٩، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٤٧ . ٤٩، وعبد القادر الخليل: المصلح الصوتي ص٣١، وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص٩٠. وبسام عشمه: علم التشريح السريري ص١٦٥، وريتشارد سنل: التشريح السريري لطلبة الطب ص٩٤٢.

١. الغُضْرُوفُ الدَّرَقِيُّ أو التُّرْسِيُّ [Thyroid Cartilage]، ويتكوّن من صفحتين غضروفيتين، تلتقيان عند البروز الكائن في وسط الرقبة، والمسمّى تفاحة آدم، وهو ناقص الاستدارة من الخلف.

٢. الغضروف الحَلَقِيُّ [Cricoid Cartilage]، وهو يُشْبِهُ الحَلَقَة، وكامل الاستدارة، لكنّه عريض من الخلف ضيّق من الأمَّام، ويشكِّل قاعدة الحنجرة، ويرتبط به الجزء الأسفل من الغضروف الدرقي بقرن غضروفي من كل جانب.

٣. الغضروفان الهَرَمِيَّان [Arytenoid Cartilages]، ويُسَمَّيَانِ في كتب التَّشريح بالغضروفين الطَّرْجَهَالِيَّيْنِ، وهما غضروفان صغيران، كل واحد منهما يُشْبِهُ الهَرَمَ المثلث، وهما يستندان على الجدار الخلفي العريض من الغضروف الحلَقي، ويمتدَّان في داخل فراغ الحنجرة من الخلف إلى الأمَّام، ويتَّصل بكل منهما نسيج عضلي يُشَكِّلُ نصف دائرة من كل جانب، وهما يشكِّلان الوترين الصوتيين اللذين يسميان في كتب التشريح بالطَّيَّتَيْنِ الصوتيتين أو الثَّنِيَّتَيْنِ الصوتيتين [Vocal Folds].

وهذه صورة لغضاريف الحنجرة من الخارج:

مصدر الصورة: Dynamic Human Anatomy

Student version 2.0 Arthur F. Dalley

Douglas J. Gould

Copyright 2005

وهذه صورة لغضاريف الحنجرة مفككة منظور إليها من الأمَّام:

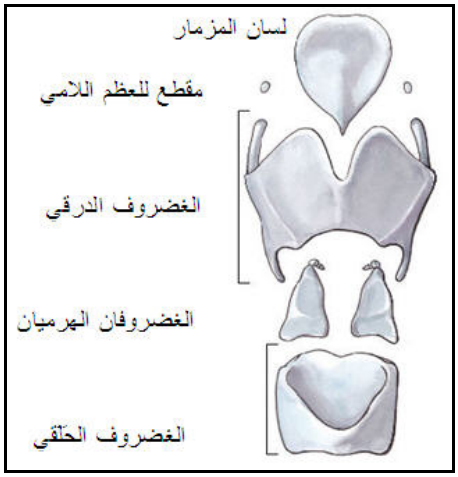

مصدر الصورة: الكتاب السابق

و يُعَدُّ الوتران الصوتيان من أهم أجزاء الحنجرة في العملية النطقية، ويتخذان عدة أوضاع، أهمها(٦):

أ. حالة التنفُّس الاعتيادي، ويكونان متباعدين، وتكون الفتحة بينهما على شكل مثلث، وهي الحالة نفسها تقريباً عند نطق الأصوات التي توصف بالهمس، مثل: ث، س، ش، ت، ك.. إلخ.

ب. حالة إصدار النغمة الحنجرية، التي تعطي عدداً من الأصوات صفة الجهر، مثل: ب، ذ، د، ج، ي...الخ. ويكونان في حالة تضامّ وانطباق غير شديد،

(٦) يُنظر: محمود السعران: علم اللغة ص١١٤، وعبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٥٧، وأحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص١٠٦، ومالمبرج: علم الأصوات ص٤٧، وفوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات ص٦٠، وكمال بشر: علم الأصوات ص١٣٥.

بحيث يسمحان لتيار الزفير من المرور، ويؤدي إلى تذبذبهما، فتحدث النغمة الحنجرية المصاحبة للأصوات المجهورة.

ج. حالة نطق صوت الهمزة، وذلك بأن ينطبق الوتران انطباقاً قوياً، فينضغط الهواء خلفهما لحظة، ثم ينفرجان فيحدث صوت الهمزة.

وهذه صورة تبيِّن الأوضاع التي يتَّخذها الوتران الصوتيان:

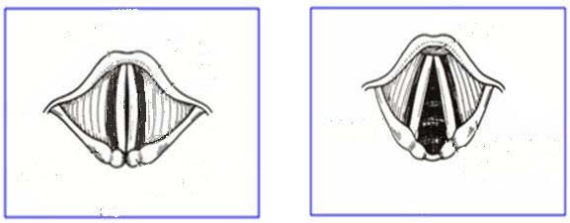

حالة انفتاح الوترين حالة تضامّ الوترين

مصدر الصورة: كتاب: التشريح السريري لطلبة الطب ص ٩٤٥

ويوجد فوق الوترين الصوتيين طَيَّتَانِ على شكل الوترين الصوتيين تقريباً، تُسَمَّيَانِ بالوترين الصوتيين الكاذبين، أو الزَّائفين، تمييزاً لهما عن الوترين الصوتيين الصادقين اللذين تحدَّثنا عنهما قبل قليل، ويُعْتَقَدُ أنَّهما ليس لهما علاقة بعملية التصويت، ومِن ثَمَّ سُمِّيَا بالكاذبين أو الزَّائفين، ويُسَمَّيَانِ في بعض المصادر بالطَّيَّةِ أو الثَّنِيَّة الدهليزية [٧] [Vestibular Fold].

(٧) يُنظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٨١، وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٠١، وبسام عشمه: علم التشريح السريري ص١٧٢ . ١٧٣، وريتشارد سنل: التشريح السريري لطلبة الطب ص٩٤٤.

وقد تبدو صورة الوترين الصوتيين (أو الثنية الصوتية) والوترين الكاذبين (أو الثنية الدهليزية) في الشكل الآتي:

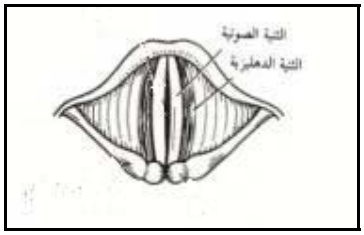

كأنَّهما متلاصقان، ولكنهما في الحقيقة يفصل بينهما جيب الحنجرة [Sinus of the Larynx]، ولكن الصورة المأخوذة لهما من الأعلى تظهرهما كأنَّهما متلاصقان.

ويحمي تجويف الحنجرة من الأعلى لسان المزمار، ويسمَّى في كتب اللغة العربية (الغَلْصَمَة)[٨]، ويسمَّى في كتب التشريح العربية الفُلْكَة [Epiglottis]، وهو عبارة عن نسيج غضروفي مرن، يُشْبِهُ ورقة الشجر، ويقع خلف جذر اللسان مباشرةً، ويتكوَّن من سطحين: علوي ويسمَّى بالسطح اللسانيّ لمواجهته جذر اللسان، وسفلي ويسمَّى بالسطح الحنجري لمواجهته فتحة الحنجرة، ولهذا الغضروف وظيفة أساسية، وهي حماية الحنجرة من دخول الطعام والشراب إليها عند عملية البلع، وذلك بتغطيته سطح الحنجرة من الأعلى[٩].

ويذهب بعض الدارسين إلى أنَّه لا دخل للسان المزمار في تكوُّن أي صوت كلامي[١٠]، وقال آخرون: إنه يمكن للسان المزمار أن يُسهم في تكييف الرنين بما

---

(٨) يُنظر: لسان العرب ٣٣٧/١٥ (غلصم).

(٩) يُنظر: ريتشارد سنل: التشريح السريري لطلبة كلية الطب ص ٩٤٢، وبسام عشمه: التشريح السريري ص ١٦٦، وعبد القادر الخليل: المصطلح الصوتي ص٣٢.

(١٠) يُنظر: محمود السعران: علم اللغة ص١١٣.

يحدثه من تغيير في حجم تجويف الحنجرة، أمَّا أهميته بالنسبة للتصويت فلا تزال موضع نظر(١١).

ولتجويف الحلق بمكوناته التي أشرت إليها وظيفتان أساسيتان(١٢):

الأولى: كونه ممرًّا للطعام والشراب من الفم إلى المريء الذي تقع فتحته خلف الحنجرة، ويقوم لسان المزمار بتغطية الحنجرة عند البلع، كما أن تجويف الحلق يشكِّل ممرًّا للهواء الداخل من الأنف أو الفم إلى الحنجرة، فالقصبة الهوائية، ثم الرئتين وبالعكس.

والوظيفة الثانية: هي أن تجويف الحلق يمكن أن يسهم في عملية التصويت؛ فيكون مخرجاً لعدد من الأصوات اللغوية، ففي أسفل منه تخرج الهمزة والهاء من الحنجرة، ومن وسطه تخرج العين والحاء، ومن أدناه إلى الفم تخرج الغين والخاء، لكن دارسي الأصوات لا ينسبون إلى لسان المزمار والوترين الصوتيين الكاذبين أيًّا من هذه الأصوات.

ومن المفيد النظر في تجاويف الحنجرة ومعرفة مكوِّناتها الداخلية، لنحدِّد على ضوء هذه المعرفة دورها في إنتاج أصوات الحلق الستَّة، وهذا وصف لتجويف الحنجرة كما ورد في كتب التشريح(١٣):

---

(١١) يُنظر: سعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص ٩٣، وسمير شريف استيتية: الأصوات اللغوية ص٥٨.

(١٢) يُنظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٦٤، وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٢٣.

(١٣) يُنظر: ريتشارد سنل: التشريح السريري لطلبة الطب ص٩٤٤، وبسام عشمه: التشريح السريري ص١٧٧-١٦٨.

تجويف الحنجرة: Cavity of the larynx

يمتدُّ تجويف الحنجرة من مدخلها العلوي إلى الحدِّ السفلي للغضروف الحَلَقِيّ، ويمكن تقسيمه على ثلاثة أجزاء: (١) الجزء العلوي أو الدهليز و(٢) الجزء الأوسط و(٣) الجزء السفلي. وهذا مقطع طوليّ لتجويف الحنجرة:

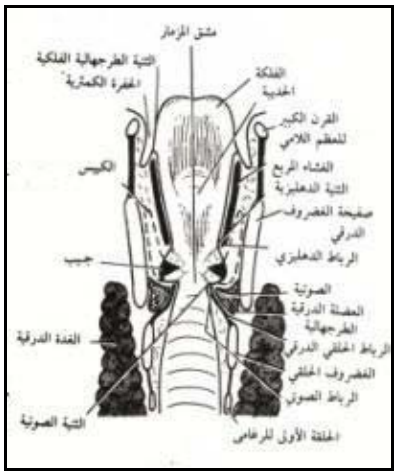

مصدر الصورة: كتاب التشريح السريري لطلبة الطب ص٩٤٥

ودهليز الحنجرة يمتدّ من مدخلها إلى الثنيتين (أو الطيتين) الدهليزيتين، وهما طيَّتان سميكتان منِ الغشاء المخاطي تغطِّيان الرباطين الدهليزيين، وللدهليز جدار أمَّامي وخلفي وجداران جانبيان.

ويتشكَّل الجدار الأمَّامي للدهليز من السطح الخلفي للفلكة (أي الغلصمة أو لسان المزمار)، ويتكوَّن الجدار الخلفي من الغضروفين الطرجهاليين (أي الهرميين) ومن طيّة الغشاء المخاطي بينهما التي تحوي العضلة الطرجهالية المستعرضة، والجداران الجانبيان تكوِّنهما الثنيتان الطرجهاليتان اللتان تحويان العضلة الطرجهالية الفلكية.

ويتضيَّق الدهليز من الأسفل بالثنيتين الدهليزيتين الورديتين اللتين تبرزان إنسياً (أي من ناحية الجسم)[١٤]، والمشق الدهليزي: هو الفرجة بين الثنيتين الدهليزيتين، والرباط الدهليزي الذي يقع داخل كل ثنية دهليزية هو: الحرف الغليظ السفلي للغشاء المربَّع الزوايا، ويمتدّ الرباط من الغضروف الدَّرَقي إلى جانب الغضروف الطرجهالي.

والجزء الأوسط من الحنجرة يمتدُّ من مستوى الثنيتين الدهليزيتين إلى مستوى الثنيتين الصوتيتين، والثنيتان الصوتيتان بيضاوا اللون وتحويان الرباطين الصوتيين (أي الوترين الصوتيين)، وكل رباط صوتي هو الحرف العلوي المتغلِّظ للرباط الحلقي الدرقي، ويمتدّ من الغضروف الدرقي أمَّاماً إلى الناتئ الصوتي للغضروف الطرجهالي من الخلف، والمشق المزماري هو الفرجة بين الثنيتين الصوتيتين من الأمَّام والنواتئ الصوتية للغضروفين الطرجهاليين (أي الهرميين) من الخلف.

وبين الثنيتين الدهليزية والصوتية على كل جانب يوجد رَدْبٌ[١٥] صغير يُسَمَّى جَيْبَ الحنجرة، وهو مبطَّن بالغشاء المخاطي الذي يمتد منه رِتْجٌ صغير إلى أعلى بين الثنية الدهليزية والغضروف الدرقي يسمى كيس الحنجرة.

والجزء السفلي من الحنجرة يمتدّ من مستوى الثنيتين الصوتيتين إلى الحدّ السفلي للغضروف الحَلَقِيّ، وتتكوّن جدرانه من السطح الداخلي للرباط الحلقي الدرقي والغضروف الحلقي.

---

(١٤) المعجم الوجيز ص ٢٧.

(١٥) الرَّدْبُ في التشريح: جيب يخرج من عضو أنبوبي (يُنظر: المعجم الوجيز ص ٢٦٠).

المبحث الثاني

مخارج الأصوات الستَّة عند علماء العربية والتجويد

أقدم مَن درس مخارج الأصوات العربية هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) في مقدِّمة كتابه (العين)، فقال عن مخارج الأصوات الستَّة: "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحَّةٌ في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هَتَّةٌ في الهاء، وقال مرَّة (هَهَّةٌ)، لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيِّز واحد، بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيِّز واحد، كُلُّهُنَّ حَلْقِيَّةٌ"(١). ووصفهنَّ الخليل بقوله: "فالعين والحاء [والهاء] والخاء والغين حلقية، لأنّ مبدأها من الحَلْقِ"(٢).

وذكر الخليل الهمزة مع الياء والواو والألف وسمَّاها هوائية؛ لأنها لا يتعلَّق بها شيء(٣)، ويبدو أن إدراج الخليل للهمزة مع هذه الأصوات لأنها قد تُسَهَّلُ فتصير إليهن، يدل على ذلك قوله في موضع آخر: "وأمَّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق، مهتوتة مضغوطة، فإذا رُفِّهَ عنها لانت فصارت الياء والواو والألف، إلى غير طريقة الحروف الصِّحاح"(٤). فالهمزة عند الخليل صوت من أقصى الحلق إذا كانت مُحَقَّقَةً، وهي هوائية إذا كانت مُسَهَّلَةً.

---

(١) العين ١/٥٧.

(٢) العين ١/٥٨.

(٣) العين ١/٥٨.

(٤) العين ١/٥٢.

وسلك سيبويه (ت ١٨٠هـ) طريقاً أخرى في ترتيب مخارج أصوات الحلق، غير ما ذهب إليه شيخه الخليل، وذلك حيث قال: "ولحروف العربية ستَّة عشر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة:

فأقصاها مخرجاً: الهمزة والهاء والألف.

ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء.

وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء"(٥).

وأخذ علماء العربية بترتيب سيبويه لمخارج أصوات الحلق، بل إنّ ابن جني(ت ٣٩٢هـ) انتقد ترتيب الخليل للحروف فقال: " فأمَّا ترتيبها في كتاب العين ففيه خلل واضطراب، ومخالفة لما قدَّمناه آنفاً، ممَّا رتَّبه سيبويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصَّواب الذي يشهد التأمُّل له بصحَّته"(٦).

وقال ابن جني "واعلم أنَّ مخارج هذه الحروف ستة عشر: ثلاثة منها في الحلق، فأوّلها من أسفله وأقصاه: مخرج الهمزة والألف والهاء. .. ومن وسط الحلق مخرج العين والحاء، وممَّا فوق ذلك مع أول الفم: مخرج الغين والخاء "(٧).

ولست بصدد تتبُّع كل ما ورد في كتب علماء اللغة العربية حول مخارج أصوات الحلق، لأنَّ في ذلك إطالة، ومن غير إفادة أيضاً، كما أنني لست بصدد عقد موازنة بين مذهب الخليل وسيبويه، وأكتفي بالتنبيه على أهمّ ما في المذهبين من فوارق، وهي تتلخَّص في أن الخليل جعل الهمزة المحققة أقصى الحروف مخرجاً، ثم الهاء والحاء والعين من مخرج أو حيِّز واحد، ثم الغين والخاء من حيِّز،

(٥) الكتاب ٥٣٣/٤.

(٦) سر صناعة الإعراب ٥١/١.

(٧) المصدر نفسه ٥٢/١.

وجعلهنَّ سيبويه من ثلاثة مخارج، لكنه ضمَّ إلى الهمزة الهاء والألف، بينما أسقط الخليل الألف من الحلقية وألحقها بالهوائية[٨].

أمَّا علماء التجويد، فإن أكثرهم نحا منحى سيبويه في ذكر مخارج أصوات الحلق[٩]، إلا أنَّ بعضهم أخرج الألف من حروف الحلق، فقال مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧ هـ): "فأمَّا الحروف التي تخرج من الحلق فستّة: الهمزة والهاء والحاء والعين والخاء والغين، وقد زاد قومٌ الألف"[١٠]، وفعل ذلك أيضاً شريح بن محمد الرعيني (ت ٥٣٧هـ) في كتابه (نهاية الإتقان)، فقال: "حروف الحلق ستة: الهمزة من أقصى الحلق وتليها الهاء، ومن وسط الحلق الحاء وتليها العين، ومن أدناه الخاء وتليها الغين"[١١].

وانتهى الأمر بعلماء التجويد إلى الأخذ برأي الخليل في إخراج الألف من حروف الحلق، وتخصيص مخرج الجوف لحروف المدِّ ومنها الألف، والأخذ بترتيب سيبويه للمخارج الأخرى وجَعْلِهَا سبعة عشر بإضافة مخرج الجوف إليها، وتبلور هذا الاتجاه عند ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فإنّه قال في كتابه (التمهيد في علم التجويد) الذي ألَّفه سنة (٧٦٩هـ): "مخارج الحروف عند الخليل سبعة عشر مخرجاً، وعند سيبويه وأصحابه ستة عشر، لإسقاطهم الجوفية. .. فللحلق ثلاثة مخارج لسبعة أحرف: فمن أقصاه الهمزة والألف؛ لأنّ مبدأه من الحلق، ولم يذكر

---

(٨) يُنظر: حلمي خليل: التفكير الصوتي عند الخليل ص٢٧-٢٨، وأحمد محمد قدور: أصالة علم الأصوات عند الخليل ص٣٦-٣٧.

(٩) يُنظر: الداني: الحديد ص١٠٢، وعبد الوهاب القرطبي: الموضح ص٧٨، والعطار: التمهيد ص٢٧٧.

(١٠) الكشف ١٣٩/١.

(١١) نهاية الإتقان ورقة ٣٤، ويُنظر: أبو حيان: ارتشاف الضرب ٥/١.

الخليل هذا الحرف هنا، والهاء، ومن وسطه العين والحاء المهملتان، ومن أدناه الغين والخاء"[١٢].

ورجَّح ابن الجزري في كتابه (النشر في القراءات العشر) الذي انتهى من تأليفه سنة (٧٩٩هـ) مذهب مَن جعل المخارج سبعة عشر، فقال: "أمَّا مخارج الحروف، فقد اختلفوا في عددها فالصحيح المختار عندنا وعند من تقدَّمنا من المحققين. .. سبعة عشر مخرجاً، وهذا الذي يظهر من حيث الاختبار"[١٣].

ومن ثم قال ابن الجزري بعد ذلك في منظومته (المقدمة في ما على قارئ القرآن أن يعلمه)[١٤]:

مخـــارجُ الحـــروفِ ســـبعةَ عَشَـــرَ علـــى الـــذي يختـــارُهُ مَـــنِ اخْتَبَـــرَ
فـــألفُ الجَـــوْفِ وأُخْتَاهـــا وَهِـــي حـــروفُ مَـــدٍّ للهـــواءِ تَنْتَهِـــي
ثُـــمَّ لأقصـــى الحَلْـــقِ همـــزٌ هـــاءُ ثـــم لوَسْـــطِهِ فعـــينٌ حَـــاءُ
أدْنَـــاهُ غـــينٌ خاؤُهـــا والقـــافُ أقصـــى اللســـانِ فَـــوْقُ ثُـــمَّ الكـــافُ

المبحث الثالث

(١٢) التمهيد ص١١٣.
(١٣) النشر ١٩٨/١، ويُنظر: المرعشي: جهد المقل ص١٢١.
(١٤) منظومة المقدمة ص١.

مخارج الأصوات الستَّة عند المحدثين

كانت الكتابات الأُولى لدى الدارسين الْمُحْدَثِين عن أصوات العربية تنحو منحى ما قرَّره علماء العربية والتجويد الأوائل في ترتيب مخارج الحروف، فقال المستشرق الألماني برجشتراسر بعد أن سرد مخارج الأصوات على نحو ما ورد عند سيبويه: "فهذا كله صحيح ما فيه شك، من وجهة نظر علماء الغرب"(١). وقال المستشرق الألماني أرتور شادِهْ وهو يتحدث عن ترتيب سيبويه للمخارج: "إنه بلغ في تعيين مواضع الحروف ومخارجها من الصحة والدِّقة، مما يَعْسُرُ علينا الزيادة والإصلاح"(٢).

وكان الدكتور إبراهيم أنيس أول مَن درس مخارج أصوات الحلق من الدارسين العرب المحدثين، وقدَّم لكلامه بالإشارة إلى أن المحدثين، ويقصد دارسي الأصوات من الغربيين، لم يحاولوا تحديد وظيفة الحلق بين أعضاء النطق، ثم قال: "ولعلَّ البحوث المستقبليّة تكشف لنا عن أسرار جديدة لأصوات الحلق"(٣). وأحسب أن عدم اهتمام دارسي الأصوات من الغربيين بأصوات الحلق متأتٍّ من عدم وجود أكثر هذه الأصوات في لغاتهم، فهي لا تشكِّل قضية عندهم.

---

(١) التطور النحوي ص١٣.

(٢) علم الأصوات عند سيبويه وعندنا ص٦٤.

(٣) الأصوات اللغوية ص٨٨ – ٨٩.

ثم ذكر الدكتور إبراهيم أنيس مخارج الأصوات الستَّة، وتابع علماء العربية في تحديد مخرج الغين والخاء، وهو أدنى الحلق إلى الفم، وفي تحديد مخرج العين والحاء، وهو وسط الحلق، لكنه في تحديد مخرج الهمزة والهاء استفاد من اكتشاف المحدثين للوترين الصوتيين ودورهما في النطق، فالهمزة تُنطق بانطباق الوترين انطباقاً تامًّا، فلا يسمحان بمرور الهواء إلى الحلق، ثم ينفرج الوتران فجأة فيُسْمَعُ صوت الهمزة، وتُنْطَقُ الهاء بتباعد الوترين الصوتيين وضغط الهواء خلالهما؛ فيُسْمَعُ نوعٌ من الحفيف الذي يشكِّلُ صوت الهاء(٤).

ويطول الكلام إذا تتبَّعت عبارة كل واحد من دارسي أصوات العربية المحدثين على انفراد، وقد يكون جمع أقوالهم في مخارج أصوات الحلق مفيداً من ناحيتين، الأولى: اختصار الكلام، والثانية: عرض عباراتهم في مخرج الصوت الواحد في موضع واحد مما يسهل الموازنة بينها.

وأحسب أننا لسنا بحاجة إلى تتبع أقوالهم في مخرج صوت الهمزة، لأنه ليس موضع اختلاف بين المحدثين، فهم جميعاً متفقون على أن الهمزة تخرج من بين الوترين الصوتيين على نحو ما قال د.إبراهيم أنيس(٥).

وهم أيضاً متَّفقون على أن الهاء تخرج من فتحة المزمار الكائنة بين الوترين الصوتيين، وذلك بتباعدهما وضغط الهواء خلالها(٦)، وهو ما أحسب أنهم واهمون فيه، على نحو ما سأبين في المبحث الآتي.

---

(٤) يُنظر: الأصوات اللغوية ص٨٨ –٩١.

(٥) يُنظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٣١، وكمال بشر: علم الأصوات ص٢٨٨.

(٦) يُنظر: المصدران السابقان ص١٤٨ و ص٣٠٤.

أمَّا مخرج العين والحاء، فإنَّ عباراتهم جاءت متقاربة، فقال الدكتور محمود السعران في تحديد مخرج الحاء: "يحدث احتكاك هذا الصوت في الفراغ الحلقي أعلى الحنجرة، إذ يضيق المجرى الهوائي في هذا الموضع بحيث يُحْدِثُ احتكاكاً، يُرْفَعُ الحنكُ اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، فالحاء صامت مهموس حلقي احتكاكي"، ثم قال عن العين: "وهو النظير المجهور للحاء"(٧).

وقال الدكتور أحمد مختار عمر: "الحلق مع جذر اللسان، ويسمَّى الصوت حينئذ حلقياً، وينتج في هذا المخرج صوتان هما الحاء والعين، ويتم إنتاجهما عن طريق تقريب جذر اللسان من الجدار الخلفي للحلق، بصورة تسمح بمرور الهواء، مع حدوث احتكاك (استمراري)، ويُمَيَّزُ بين الحاء والعين أنَّ الأولى مهموسة والثانية مجهورة"(٨). وصارت العبارة لدى الدكتور سعد مصلوح "جذر اللسان مع الجدار الخلفي للبلعوم الفموي، ومنها مخرج العين والحاء"(٩).

وقال الدكتور تمام حسان: "وصوت العين حلقي رخو مجهور مرقَّق. ويتم نطقه بتضييق الحلق عند لسان المزمار، ونتوء لسان المزمار إلى الخلف حتى يتَّصل أو يكاد بالجدار الخلفي للحلق. .. أمَّا صوت الحاء، فحلقي رخو مهموس مرقَّق، وهو المقابل المهموس لصوت العين"(١٠).

---

(٧) يُنظر: المصدران السابقان ص١٤٨ و ص٣٠٣-٣٠٤.

(٨) دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٢، ويُنظر: عبد القادر الخليل: المصطلح الصوتي ص٦٧.

(٩) دراسة السمع والكلام ص١٧٤.

(١٠) مناهج البحث في اللغة ص١٠٢ -١٠٣.

وقال الدكتور فوزي الشايب: "وعند نطق الحاء يحصل تضييق لمجرى الهواء عن طريق تقريب الحائطين الأمَّامي والخلفي للحلق. .. والعين هي النظير المجهور للحاء"(١١).

وأحسب أن عبارات هؤلاء الأساتذة الأفاضل لم تَنْبَنِ على أساس علمي واضح، بل هي أقرب إلى الخيال حين تُصَوِّرُ تقارب الحائطين الأمَّامي والخلفي للحلق لإنتاج صوتي الحاء والعين، وليس ثَمَّ حائطان بالمعنى الحقيقي، وليس ثَمَّ تقارب بين جذر اللسان والحائط الخلفي للحلق أو البلعوم الفموي، وليس ثَمَّ علاقة مباشرة بين نطق الحاء والعين ولسان المزمار، على نحو ما سنبيِّن في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

أمَّا مخرج الغين والخاء، فإنّ أكثر المحدثين يذهبون إلى أنهما يتكونان بأن يقترب أقصى اللسان من أقصى الحنك، بحيث يكون بينهما فراغ ضيِّق يسمح للهواء بالنفاذ مُحدِثاً احتكاكاً، والخاء صوت مهموس، والغين صوت مجهور(١٢).

وقال الدكتور تمام حسان عن الغين: "وهذا الصوت طَبَقِيٌّ رِخْوٌ مجهورٌ مُرَقَّقٌ. .. ويتمُّ النطق به بأن يرتفع مؤخر اللسان حتى يتَّصل بالطبق، وخَلْقِ صلة تسمح للهواء الرئوي بالمرور... لقد اعتبر النحاة والقراء الحلق مخرج الغين، وبهذا يستطيع الباحث أن يقف منهم أحد موقفين ينبني كل منهما على طريقة فهمهم لاصطلاح (حلق)، فإذا كان مفهوم هذا الاصطلاح في أذهانهم مطابقاً لما نفهمه نحن الآن [وهو الفراغ الكائن بين الحنجرة وجذر اللسان](١٣)، فهم – ولاشكَّ –

(١١) محاضرات في اللسانيات ص١٩٠.

(١٢) يُنظر: محمود السعران: علم اللغة ص١٤٧.

(١٣) يُنظر: مناهج البحث في اللغة ص٨٥ .

مخطئون في القول بأنَّ صوت الغين يخرج من الحلق، أمَّا إذا كان فهمهم للاصطلاح أوسع من فهمنا له حتى ليشمل ما بين مؤخر اللسان والطبق، فلا داعي للقول بخطئهم، والمقابل المهموس لهذا الصوت هو صوت الخاء. .. وما قِيل عن النحاة والقراء في اعتبارهم صوت الغين صوتاً حلقياً يُقال بحذافيره في صوت الخاء"[١٤].

ويحسن تذكير القارئ بأن (الطَّبَق) يُراد به الجزء اللين من الْحَنَكِ (أي: سقف الفم)، حيث تُنْطَقُ الكاف، ولاشكَّ في أنّ النحاة والقراء لا يتجاوزون بدلالة مصطلح (الحلق) ما هو معروف من دلالته على التجويف الكائن فوق الحنجرة إلى خلف جذر اللسان، وأول مجرى النفس إلى الخيشوم، ومن ثم فإنَّ الأمر يحتاج إلى التحقُّق للوقوف على أي الفريقين وقع في الخطأ: النحاة والقراء أم مَنْ يذهب إلى تخطئتهم من المحدثين.

ويذهب أكثر دارسي الأصوات المحدثين إلى عدِّ صوت الخاء والغين صوتين طبقيين يشاركان صوت الكاف في المخرج[١٥]، وعبَّر بعضهم بعبارة (أقصى الحنك)[١٦]. أو (مؤخرة سقف الحنك)[١٧]، وهي قريبة من دلالة كلمة (الطبق) التي تعني الجزء اللين من الحنك.

---

(١٤) مناهج البحث في اللغة ص١٠١ – ١٠٢.

(١٥) يُنظر: أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي ص٢٧٤، وعبد القادر الخليل: المصطلح الصوتي ص٦٧، وفوزي الشايب: محاضرات في اللسانيات ص١٩٢، وسعد مصلوح: دراسة السمع والكلام ص١٨٤.

(١٦) يُنظر: كمال بشر: علم الأصوات ص٣٠٣.

(١٧) يُنظر: عبد الرحمن أيوب: أصوات اللغة ص٢١٣.

وقد خطَّأَ دارسو الأصوات المحدثون علماء العربية والتجويد في تحديدهم مخرج الغين والخاء، بناء على هذا التصوُّر لمخرجهما، على نحو ما صرَّح الدكتور تمام حسان، وغيره[١٨]، وهم يرتِّبون أصوات أقصى اللسان على هذا النحو: (ك غ خ ـ ق).

وأحسب أنَّ هذا التصوُّر لمخرج الغين والخاء لدى المحدثين غير مُسَلَّم به بصورة نهائية، لأن إمكانية نطق خاء أو غين من الطبق لا تلغي إمكانية نطقهما من اللهاة أو من أعلى تجويف الحلق، أو حسب عبارة سيبويه من أدنى الحلق إلى الفم، كما مرَّ، وسوف أناقش هذه القضية في المبحث الآتي، إن شاء الله تعالى.

(١٨) يُنظر: رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة ص٣٠-٣١.

المبحث الرابع

تَصَوُّرٌ جديدٌ لمخارج الأصوات الستَّة

هناك عدد من المسائل الصوتية التي بحثها علماء العربية والتجويد، ودارسو الأصوات اللغوية المحدثون، تختص بصفات أصوات الحلق، ولا أجد ضرورة لتناولها في هذا البحث؛ لأنّها لا يتعلق بها ما نحن بصدد مناقشته من تحديد مخارج هذه الأصوات، ومن تلك المسائل ما يأتي:

١. تحديد صفة الهمزة من حيث الجهر والهمس، فقد قال المتقدمون إنها صوت مجهور، وينفي المحدثون أن تكون كذلك، واختلفوا في وصفها بالهمس، أو نفي الجهر والهمس عنها.

٢. إخراج الألف من بين أصوات الحلق، فقد ذكره سيبويه مع الهمزة والهاء، كما سبق، وتابعه كثير من علماء العربية والتجويد، وأخرجه عدد من العلماء المتقدمين والمحدثين من هذه المجموعة وخصَّصوا مخرج الجوف له ولحروف المد الأخرى.

٣. ناقش عدد من العلماء ترتيب أصوات المخرج الواحد، وأيهما متقدِّم على الآخر، فهل ترتيب أصوات الحلق: ء هـ ع ح غ خ، أو هو: (ء هـ ح ع خ غ)، وكانت لهم آراء في هذه المسألة، لا ضرورة لمناقشتها هنا أيضاً.

٤. جعل سيبويه صوت العين ضمن الأصوات المتوسطة، وتابعه في ذلك علماء العربية والتجويد، لكن بعض الدارسين استشكل إدراج العين ضمن المتوسطة، ونظيرُه المهموسُ (الحاء) صوت رخو، أو احتكاكي.

ومع أهمية تحقيق هذه المسائل الصوتية إلا أنها لا تعلُّق لها بما نحن بصدده، وسأكتفي بهذه الإشارة إليها، ومَن رغب في التوسُّع فيها فيمكنه متابعة ذلك في المصادر التي فصَّلت الحديث عنها.

وأودُّ تذكير القارئ بأن الاختلاف في تحديد مخارج أصوات العربية ليس بالأمر الجديد، فقد حصل على نطاق محدود بين علماء العربية والتجويد، وحصل على نطاق واسع في العصر الحديث، وإذا أراد الباحث أن يحدِّد سبب ذلك الاختلاف، فإنّه قد يكون عدم انكشاف حركة بعض أعضاء آلة النطق سبباً في الاختلاف في تحديد مخارج عدد من الأصوات أو كيفية نطقها.

وإذا كان الاختلاف قد وقع في تحديد مخارج أصوات طرف اللسان، وهي من أكثر الأصوات وضوحاً في العملية النطقية، فإن حصوله في أصوات الحلق، وهي بعيدة، وحركة أعضاء النطق عند تكوُّنها غير واضحة، أمر متوقَّع، وغير مستغرب.

وقد يكون من أسباب الاختلاف في تحديد مخارج أصوات الحلق عدم تدقيق بعض الدارسين في مكونات الحنجرة والتجويف الحلقي، فينعكس ذلك على تصوُّرهم لمخارج هذه الأصوات، وطريقة تعبيرهم في وصفها.

ولاشكَّ في أن من أهم منجزات علم الأصوات الحديث اكتشاف مكوِّنات الحنجرة، ودورها في عملية التصويت، لكن خلوّ اللغات الأوربية من أكثر أصوات الحلق قد أضعف عنايتهم بهذه الأصوات، على نحو ما صرَّح بذلك الدكتور إبراهيم أنيس، كما مرَّ، وحَرَم ذلك دارسي أصوات العربية المحدثين من تحقيق بعض المسائل المتعلِّقة بأصوات الحلق، عن طريق الوسائل الحديثة لدراسة الأصوات اللغوية عندهم.

ولاحظت في كتب علم الأصوات اللغوية الحديثة المرور السريع ببعض مكونات الحنجرة وأجزاء تجويف الحلق، خاصة ما سمَّاه بعض الدارسين بالوترين الكاذبين(أي الطيتين الدهليزيتين)، ولسان المزمار، حيث صرَّح كثير منهم بأنها لا دور لها في إنتاج الأصوات، على نحو ما أشرت إليه من قبل، وقد أهمل بعض

الدارسين ذكر هذه الأعضاء، وتصوَّر تجويف الحلق كأنه تجويف أنبوبي له جدران لها القابلية على التضامّ وتضيق مجرى النفس وإنتاج الأصوات، وأحسب أن هذا التصوُّر قد أدَّى إلى حصول بعض الأوهام في تحديد مخرج الحاء والعين بشكل خاص.

ولعل من المفيد تنبيه القارئ وتذكيره بأهمية معرفة مكونات الحنجرة وتجويف الحلق في تحديد مخارج الأصوات الستَّة على نحو أكثر دقة، وترتكز هذه المحاولة في إعادة تحديد مخارج هذه الأصوات على تصوّر دور جديد لبعض أجزاء الحنجرة، والحلق، وهي بالتحديد لسان المزمار وما سمَّوْهُ بالوترين الكاذبين، لأنني لاحظت وجود دور مهم لهذه الأعضاء في إنتاج أصوات الحلق.

ويمكن تقسيم الأعضاء التي تشترك في إنتاج الأصوات الستة على قسمين:

الأول: الحنجرة، وفوقها لسان المزمار (أو الغلصمة).

الثاني: تجويف البلعوم (أو الحلق) فوق الحنجرة.

والحنجرة تتكوَّن من صندوق غضروفي صغير، كما سبق بيان ذلك من قبل، لكن يجب التأكيد على أن لهذا الصندوق صِمَامَيْنِ: أحدهما سُفْلِيٌّ، ويمثله الوتران الصوتيان الحقيقيان (أو الصادقان)، والآخر عُلْوِيٌّ، ويمثِّله الوتران الصوتيان الزائفان، وأنا أدعو في هذا المقام إلى ترك وصفهما بالكاذبين أو الزائفين، وأقترح تسميتهما بالوترين العلويين، في مقابل الوترين السفليين، بناء على التسمية السائدة لهذه الأجزاء من الحنجرة بالوترين، وإلا فإنهما أقرب إلى الشفتين الرقيقتين الصغيرتين، وقد يكون الوتران العلويان أكثر كثافة وسماكة من الوترين السفليين، وبين الوترين العلويين والوترين السفليين توجد حجرة صغيرة سمَّاها بعض الدارسين (جيب الحنجرة) كما سبق بيان ذلك عند الحديث عن مكوِّنات الحنجرة.

ويمكن تصوُّر موضع الوترين العلويين (أو الطية الدهليزية) والسفليين (أو الطية الصوتية) وبينهما جيب الحنجرة من خلال هذه الصورة المأخوذة بالأشعة لمنطقة الحنجرة:

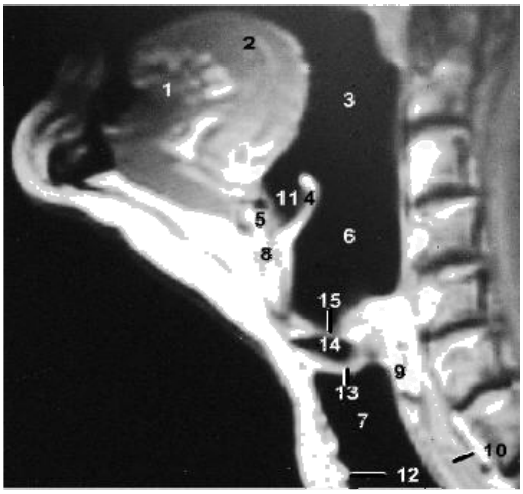

بيان الأجزاء المؤشرة في منطقة الحنجرة:

الرقم (١٥): الطية الدهليزية (أو الوتران الصوتيان الزائفان): Fold Vestibular

الرقم (١٤) جيب الحنجرة Ventricle

الرقم (١٣) الطية الصوتية **(أو الوتران الصوتيان)**: Vocal fold

مصدر الصورة كتاب: Dynamic Human Anatomy

Student version 2.0 Arthur F. Dalley

Douglas J. Gould

Copyright 2005

ولا يعني رفع صفة (الكاذبين) عن الوترين العلويين أن لهما القابلية على إنتاج النغمة الحنجرية التي يصدرها الوتران السفليان، وإنما يعني أنهما يشاركان في

إنتاج بعض أصوات الحلق الستَّة، بأن يكونا موضعاً لاعتراض النَّفَس وتضييق مجراه، على نحو ما سنوضح ذلك بعد قليل.

وأمَّا لسان المزمار، أو الغلصمة، فله وظيفة غير نطقية عند الدارسين، وهي حماية الحنجرة عند بلع الطعام، ويمنحه هذا البحث وظيفة نطقية، وهي الاشتراك في إنتاج بعض الأصوات الستَّة.

أمَّا تجويف الحلق الكائن فوق الحنجرة فأحسب أنه لا يشكِّل تجويفاً أنبوبياً كاملا، فهو عبارة عن حجرة يحدُّها من الأسفل لسان المزمار وأعلى الحنجرة، ومن الخلف جدار الحلق الخلفي، وينفتح من الأعلى إلى التجويف الأنفي، ومن الأمَّام يشكِّل جذر اللسان واللهاة وما يحيط بها من الحنك اللين والفتحة الكائنة بين سطح أقصى اللسان واللهاة الواجهة الأمَّامية لهذه الحجرة.

ولا شكَّ في أن اللهاة لها القابلية على التراجع إلى الخلف والاتصال بالجدار الخلفي لتلك الحجرة، فينسدُّ طريق النفس إلى التجويف الأنفي، ولكن هذه العملية لا علاقة لها بإنتاج الأصوات الستَّة، أمَّا جذر اللسان فإن تراجعه إلى الخلف لا يصل إلى الجدار الخلفي للتجويف الحلقي، أو يقترب منه على نحو يؤدي إلى إنتاج أي من الأصوات الستَّة.

أمَّا الجزء الأسفل من تلك الحجرة، فإنّه لا يشكِّل أنبوباً أو ما يشبه الأنبوب، فليس ثمَّة سوى لسان المزمار الذي يغطي فتحة الحنجرة عند عملية البلع، ولا يصل إلى الجدار الخلفي المقابل له، فوق فتحة المريء، كما تصوَّر ذلك بعض الدارسين في تحديد مخرج العين والحاء، لأنه لو وصل إلى الجدار الخلفي للتجويف الحلقي المقابل له لأدَّى ذلك إلى سدِّ منفذ الطعام إلى المريء.

وهذه صورة للحنجرة تبين مكوِّناتها من الخلف:

مصدر الصورة كتاب: Dynamic Human Anatomy

Student version 2.0 Arthur F. Dalley

Douglas J. Gould

Copyright 2005

وبناء على هذا التصوُّر لأجزاء الحنجرة وتجويف الحلق ودورها في إنتاج الأصوات اللغوية، وهو ما أرجو أن يكون صحيحاً في معظمه، سوف أعرض وجهة النظر الجديدة في تحديد مخارج الأصوات الستّة، وسوف أتحدَّث عنها صوتين صوتين، على نحو ما رتَّبها معظم الدارسين من المتقدمين واللاحقين، وهي الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

(١) مخرج الهمزة والهاء:

حدَّد الخليل وسيبويه مخرج الهمزة من أقصى الحلق، وتابعهم في ذلك علماء العربية والتجويد، وخَصَّصَ الدارسون المحدثون ذلك بقولهم: إنَّ مخرج الهمزة هو من بين الوترين الصوتيين، وذلك بأن ينطبقا فينحبس النَّفَس خلفهما، ثم ينفرجا فجأة فيُسْمَعُ صوت الهمزة، ولا تعارض بين المذهبين، فلم يكن علماء العربية والتجويد السابقون على معرفة بالوترين، وعَبَّرُوا عنهما بعبارة أقصى الحلق. وليس لديَّ ما أزيده على ما قالوا، سوى أني أصف مخرج الهمزة بأنه (حنجري سفلي) بناء على وصف الوترين اللذين تصدر عنهما الهمزة بالوترين السفليين، تمييزاً لهما عن الوترين العلويين اللذين كانا يوصفان بالكاذبين، واقترحت تسميتهما بالعلويين.

أمَّا صوت الهاء، فإنّ القدماء والمحدثين ذهبوا إلى أنه من مخرج الهمزة إلا أنه ينتج بتباعد الوترين الصوتيين (السفليين) ويندفع الهواء بينهما محدثاً حفيفاً يتشكَّل منه صوت الهاء، فالهاء بهذا الوصف صوت حنجري رخو مهموس.

وقد ترجَّح لدي أن هذا الوصف لإنتاج صوت الهاء غير دقيق في بعض جوانبه، خاصة تحديد النقطة التي يخرج منها، وترجَّح عندي أنَّ مخرج الهاء هو من بين الوترين الصوتيين العلويين اللذين وُصِفَا بالكاذبين، وأحسب أن الوقت حان لتبرئتهما من هذه الصفة، فإنهما صادقان، كالوترين الصوتيين السفليين. فالهاء يتم نطقه بتقارب الوترين العلويين، ويندفع النَّفس خلالهما في ممر ضيِّق، فيحدث الحفيف الذي يتشكَّل منه صوت الهاء، مع بقاء الوترين الصوتيين السفليين متباعدين كحالتهما في نطق الأصوات المهموسة، ويتحصَّل من ذلك وصف الهاء صوتياً على هذا النحو:

الهاء صوت حنجري (علوي) رخو (أي احتكاكي) مهموس.

وإذا أردت أن تتحقق من صحة هذا المذهب، فيمكنك تكرار نطق الهمزة والهاء (أءْ، أهْ، أءْ، أهْ) أو (ءءءء)، وتكرار نطق الهاء (هـ هـ هـ هـ)، فسوف تحس أن مخرج الهاء من نقطة أعلى من النقطة التي يخرج منها صوت الهمزة.

وكذلك لو أنك نطقت صوت الهاء بقوة ونحوت به نحو الحاء (هههههههححححح) لوجدت أن الحاء تخرج من حيث ينقطع صوت الهاء، ومعنى ذلك أن مخرج الهاء أعلى من مخرج الهمزة، وذلك الموضع هو ما بين الوترين العلويين حين يقترب أحدهما من الآخر.

وهذه صورة لمخرج الهمزة والهاء كما تتصورها الدراسات الصوتية السابقة:

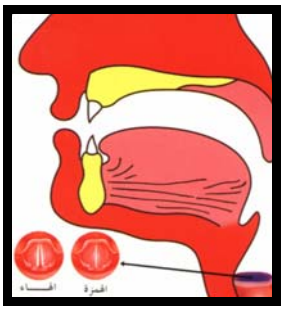

الصورة منقولة من اللوحة التي أعدَّها الدكتور أيمن رشدي سويد لمخارج حروف العربية

ويُلاحظ على هذه الصورة عدم الإشارة إلى الوترين الصوتيين الكاذبين (أو الطيتين الدهليزيتين)، وقد أظهرت الصورة أن الهمزة والهاء يخرجان من مخرج واحد هو الوتران الصوتيان، لكن الهمزة بانطباقهما، والهاء بانفتاحهما. ويترجَّح عندي أن مخرج الهمزة من الوترين السفليين، وأن مخرج الهاء من الوترين العلويين، والصورة الآتية توضِّح موضع المخرجين:

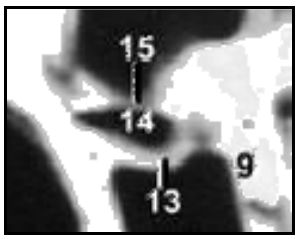

فالموضع عند رقم (١٣) هو مخرج الهمزة، والموضع عند رقم (١٥) هو مخرج الهاء.

(٢) مخرج الحاء والعين:

ذهب علماء العربية والتجويد إلى أن الحاء والعين يخرجان من وسط الحلق، كما ذهب هذا المذهب عدد من الدارسين المحدثين، لكن بعضهم حاول تخصيص مخرج الصوتين على نحو أكثر تحديداً، فذهب بعضهم إلى أنهما ينتجان بتقريب الحائطين الأمَّامي والخلفي للحلق، وقال بعضهم: بأن نطقهما يتم بمشاركة لسان المزمار وتراجعه إلى الخلف حتى يكاد يتَّصل بالجدار الخلفي للحلق، و نحو ذلك من الأقوال التي نقلتها من قبل، وأحسب أن هذه التحديدات لمخرج الصوتين تفتقر إلى الدِّقة.

وترجَّح عندي أن مخرج الصوتين هو من بين الوترين الصوتيين العلويين، وذلك بتقاربهما إلى درجة تسمح للهواء بالنفوذ من خلالهما، فيحدث احتكاك مسموع يتشكَّل منه الصوتان، والحاء مهموس، والعين مجهور، ويمكن وصفها بناء على ذلك على هذا النحو:

الحاء صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي)، مهموس.

والعين صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي)، مجهور.

ولا أجد في عملية النطق بالحاء والعين حصول تقريب لحائطي الحلق، ولا تراجع لسان المزمار إلى الجدار الخلفي، فحركة أعضاء التجويف الحلقي عند

النطق بالصوتين ليست من الخلف والأمام، لإحداث التضييق الذي يلزم لنطق الصوتين، وكل ما هناك تقارب الوترين الصوتيين العلويين بحركة من الجانبين إلى الداخل، لأن امتدادهما طولي من الأمَّام إلى الخلف، ويبدو أن الفتحة بينهما تتخذ شكلاً أقرب إلى الشكل الذي يتخذه الوتران الصوتيان السفليان حينما يكونان متباعدين، وهو الشكل المثلَّث، لكن قاعدة المثلث في الوترين السفليين من الخلف ورأسه في الأمَّام، بينما قاعدة المثلث في الوترين العلويين من الأمَّام ورأسه من الخلف.

وإذا أردت أن تتأكد من صحة ما ذكرته لك من كون مخرج الحاء والعين من بين الوترين العلويين، فانطق بصوت الهاء مع إطالة الصوت به، ثم ضيِّق الفتحة بين الوترين العلويين اللذين يخرج من بينهما الهاء، على ما رجَّحت من قبل، فإنك ستجد الصوت يتحوَّل إلى صوت الحاء، إذا ازداد اقتراب الوترين بعضهما من بعض، وهذا يدلُّك على أنّ الهاء والحاء والعين تخرج من مخرج واحد، والفرق بينهما أن الهاء تخرج بتباعد الوترين العلويين والحاء والعين بتقاربهما.

وهذه صورة مخرج العين والحاء كما تتصوَّرها الدراسات الصوتية السابقة:

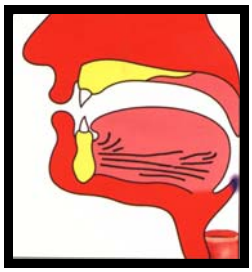

الصورة منقولة من اللوحة التي أعدَّها الدكتور أيمن رشدي سويد لمخارج حروف العربية

والملاحظ في الصورة أنها تجعل مخرج العين والحاء باتِّصال لسان المزمار بالجدار الخلفي لتجويف الحلق، وهو أمر ليس عليه دليل واضح، والراجح في

تحديد مخرج الصوتين أنهما يخرجان من بين الوترين الصوتيين العلويين (أو الطيتين الدهليزيتين)، من موضع الرقم (١٥) في الصورة الآتية:

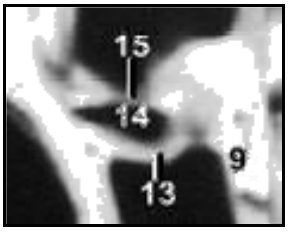

(٣) مخرج الخاء والغين:

حدَّد علماء العربية والتجويد مخرج الخاء والغين من أدنى الحلق إلى الفم، وهي عبارة فيها من العموم ما يمكن أن تختلف فيه الآراء، لكن المتقدمين لم يحاولوا تقييد ذلك العموم فيها، وحافظوا على ذلك التحديد لمخرج الصوتين.

أمَّا المحدثون، فإنّ القليل منهم حافظ على العبارة القديمة، كما سبق أن نقلنا بعض أقوالهم، والكثيرون أعطوا تحديداً جديداً لمخرج الصوتين، وهو من بين أقصى اللسان والحنك اللين، أو الطبق، عند مخرج الكاف، وانتقدوا تحديد المتقدمين لمخرج الصوتين.

ولاشكَّ في أنّ امتداد نطق الخاء والغين يصل إلى منطقة اللهاة، لكن يبدو أنّ مبدأ الصوتين من نقطة أعمق من ذلك، وكان سيبويه قد حاول إثبات أن مخرج القاف أعمق من مخرج الكاف، فقال: "والدليل على ذلك أنك لو جَافَيْتَ بين حَنَكَيْكَ فَبَالَغْتَ، ثم قُلْتَ: قَقْ، قَقْ، لم تَرَ ذلك مُخِلاً بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان أخلَّ ذلك بهنّ"[١]، ولو أننا فعلنا ما ذكره سيبويه لم نجد ذلك مخلاً بالخاء والغين، وهو ما يدل على أنهما يخرجان من نقطة أعمق من الموضع

(١) الكتاب ٤/٤٨٠.

الذي ذكره المحدثون في تحديد مخرجيهما، وهذه صورة تبيِّن مخرج الخاء والغين عند المحدثين:

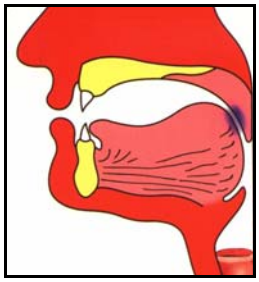

والذي يترجَّح عندي أن الخاء والغين يُنْطَقان باقتراب لسان المزمار (أي: الغلصمة) من حافتي فتحة الوترين العلويين، وهو يقتضي تراجع أقصى اللسان نحو الخلف، ويؤدي ذلك إلى سماع الحفيف الذي يتشكَّل منه صوت الخاء والغين، والخاء مهموس، والغين مجهور، ويمرُّ النَّفَس بعد ذلك من فوق أقصى اللسان، بينه وبين أقصى الحنك، واللهاة مسترخية في طريق النَّفس مائلة إلى الأمَّام، وقد تكون هذه الصورة لمخرج الحرفين أدقّ من الصورة السابقة:

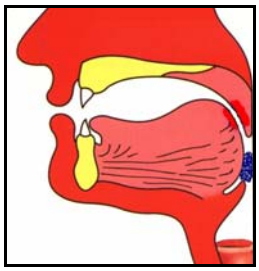

ومن الممكن أن يكون مخرج الصوتين أعمق ممّا يبدو في الصورة قليلاً، كما في الصورة الآتية:

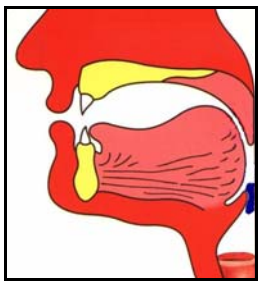

ويمكن وصف الخاء والغين بناء على هذا التصوُّر في طريقة نطقهما على النحو الآتي:

الخاء: صوت غَلْصَمِيٌّ، رِخْوٌ، مهموسٌ، مستعلٍ.

والغين: صوت غَلْصَمِيٌّ، رخوٌ، مجهورٌ، مستعلٍ.

وكلمة (غَلْصَمِيٌّ) تحدد مخرج الصوتين، وهي تعني (لسان المزمار)، والنسبة إلى كلمة واحدة خير من النسبة إلى كلمتين، لاسيّما أن كلمة (الغَلْصَمَة) هي المستخدمة في التراث اللغوي العربي على ما يسمَّى الآن لسان المزمار. ولاشكَّ في أن كل صوت يخرج بالتقاء عضوين، وعادة ما يُنسب إلى أحدهما، والنسبة في الخاء والغين إلى (الغَلْصَمَة) أوضح من النسبة إلى الوترين العلويين، حتى لا يلتبس مخرجهما بمخرج الحاء والعين.

وقد يعترض البعض على هذا التحديد لمخرج الصوتين، ويصرُّ على عدِّهما من أقصى اللسان، وهو أمر محتمل، لأن صوتهما يمرُّ على هذه النقطة، ولكن يبدو لي أن مصدر التصويت فيهما أعمق من ذلك، ويترجَّح عندي أنهما عند اقتراب السطح الحنجري للغَلْصَمَة (أي لسان المزمار) من الحافَّة العليا للوترين الصوتيين العلويين، مع بقائهما متباعدين، وتستطيع أن تتحسَّس ذلك بأن تضيق مخرج الصوتين حتى تجد أن الصوت قد انقطع بانطباق الغلصمة على الوترين العلويين.

وهذا التحديد لمخرج الصوتين أقرب إلى وصف علماء العربية والتجويد لمخرجهما بأنه من أدنى الحلق إلى الفم، من قول المحدثين أنهما طبقيان. والله تعالى أعلم.

خاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن العلوم ثمرة جهود أجيال متتابعة من الدارسين، ولا عجب أن يضيف المتأخرون على جهود السابقين، وها نحن نجد العلوم تتقدَّم على نحو مطَّرد

وسريع، يبني اللاحقون على ما أسَّسه السابقون، وهكذا تبنى الحضارات وتتكامل العلوم وتتقدَّم، ولا أنسب لنفسي في هذا البحث إدراك ما لم يدركه الأولون، ولكن هي أفكار طرقت صفحات الفكر، وألَحَّتْ عليَّ فدوَّنتها في هذه الورقات، فإن كانت صواباً، فالفضل لله وحده، وهو المنعم والموِّفق والمعين، وإن كانت غير ذلك فمن تقصيري وعجزي، وأرجو أن يكون في إخلاص القصد، والرغبة في خدمة هذا العلم الشريف، وخدمة متعلِّميه، وفي قلَّة الوسائل والمصادر، وصعوبة الأحوال وفقدان الأمن ما يُعْتَذَرُ به لي.

إن فكرة هذا البحث تدور حول تقديم تصوُّر جديد لتحديد مخارج أصوات الحلق الستَّة، وقد عرضتُ وجهة نظر المتقدمين والمحدثين، ثم أتبعت ذلك ببيان بعض الأفكار التي انبنت عليها وجهة نظري في إعادة تحديد مخارج هذه الأصوات، وانتهيت من ذلك إلى ما يأتي:

الهمزة: صوت حنجري سفلي، شديد (انفجاري) مهموس أو لا مجهور ولا مهموس، وليس في هذا التحديد من جديد سوى إضافة كلمة (سفلي)، للدلالة على أنّ الهمزة تُنطق بانطباق الوترين الصوتيين السفليين.

الهاء: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مهموس، وهو تحديد جديد لمخرج هذا الصوت، وهو عندي أقرب إلى اليقين، ومعنى (علوي) أي الهاء يُنْطَقُ من بين الوترين العلويين اللذين كانا يوصفان عند الدارسين المحدثين بالكاذبين.

والحاء: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مهموس.

والعين: صوت حنجري علوي، رخو (احتكاكي) مجهور.

وهذا التحديد أقرب عندي إلى اليقين، وقد تتساءل عن الفرق بين هذين الصوتين والهاء، ويتلخَّص ذلك في أنّ الهاء يُنتج بتباعد الوترين العلويين، والحاء والعين بتقاربهما.

والخاء: صوت غَلْصَمِيٌّ رخو (احتكاكي) مهموس، مستعلٍ.

والغين: صوت غَلْصَمِيٌّ رخو (احتكاكي) مجهور، مستعلٍ.

ويترجَّح عندي هذا التحديد على ما قال به بعض المحدثين من أنهما صوتان طبقيان، وهو بعيد جداً على نحو ما بينت في ما سبق من قول.

وهذه صورة طبيعية لمقطع من الحنجرة من الأعلى، وهي صورة تساعد على تصوُّر موقع مخارج أصوات الحلق التي يقترحها هذا البحث:

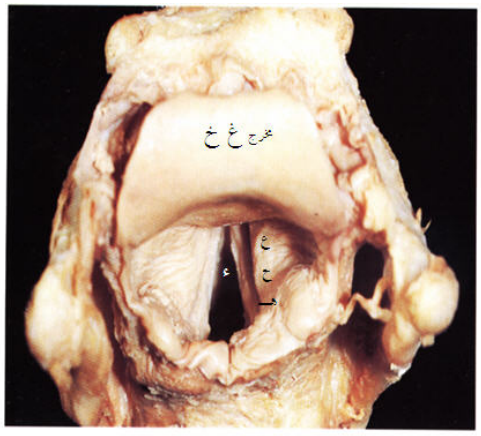

مصدر الصورة كتاب: Human Anatomy:
Color Atlas And Text
Third Edition

وبعد أن انتهيت من عرض معالم وجهة النظر هذه في تحديد مخارج أصوات الحلق أرجو من القارئ أن لا يتعجَّل بالحكم على ما ورد في هذا البحث بالبطلان،

وأدعوه أن يطيل التأمل في نطق الأصوات الستَّة، وأن يحاول التمييز بين حركة الوترين الصوتيين السفليين، وحركة الوترين الصوتيين العلويين، وحركة لسان المزمار (أي الغلصمة)، فالحركة التي نحسُّها في الحنجرة عند نطق الهمزة هي حركة الوترين السفليين، والحركة التي نحسُّها في الحنجرة عند حمل ثقل ووضعه هي حركة الوترين العلويين، والحركة التي نحسُّها في منطقة ما فوق الحنجرة عند البلع هي حركة لسان المزمار، وتستطيع أن تبتكر وسائل أخرى في تحسُّس تلك الحركات والتمييز بينها، وإذا ما أُتيحت لبعض القرَّاء وسائل آلية أكثر دقَّة لتحقيق بعض فرضيات هذا البحث، فإنّي أرجو أن يسارع إلى إعلانها.

ثم إني أقترح ترك تسمية الوترين العلويين (أو ما يسمى بالطية الدهليزية أو الثنية الدهليزية) بالكاذبين أو الزائفين، تلك التسمية التي استندت إلى الاعتقاد بأنهما لا دور لهما بعملية النطق، وللتمييز بينهما وبين الوترين الحقيقيين أجد أن نسميهما بالوترين الصوتيين العلويين، في مقابل الوترين الصوتيين السفليين، ما دام لكل منهما دوره في إنتاج الأصوات، هذه على الأقل تسميات مقترحة لدارسي الأصوات اللغوية، ولا تخصُّ أهل التشريح.

ووجدت بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث أن ما قاله الخليل بن أحمد في تحديد مخارج هذا الأصوات أقرب إلى الحقيقية مما قاله سيبويه واللاحقون، فقد جعل الهمزة وحدها في حَيِّز من أقصى الحلق، والهاء والحاء والعين من حيزٍ واحد أيضاً، وتميزت الهاء بهَهَّةٍ، والحاء بِبُحَّةٍ، عن العين، وجعل الخاء والغين في حيِّز واحد، وكنت أمرُّ على كلام الخليل واستحضر ما يقوله العلماء من صحة تحديد سيبويه لمخارج هذه الأصوات، وضَعْفِ مذهب الخليل، وأجد الآن الأمر على العكس من ذلك، على الرغم مما في كلام الخليل من عدم التخصيص والتحديد لمخارج تلك الأصوات.

ولا شكَّ عندي في أن ما ورد في هذا البحث يحتاج إلى تمحيص وتسديد، من خلال التعمُّق في دراسة مكونات الحنجرة وتشريحها خاصة الغلصمة (لسان المزمار) والوترين (العلويين)، ومن خلال الاستعانة بما تقدمه الوسائل الحديثة في دراسة الأصوات، لكن ملاحظاتي الذاتية في نطق الأصوات الستَّة، والاستعانة ببعض الحقائق التي تضمنتها كتب الأصوات اللغوية وكتب التشريح، قادتني إلى كتابة هذا البحث، عسى أن يجد من المتخصِّصين عناية وتأمُّلاً لإيضاح ما فيه وتمحيصه.

جعله الله تعالى من العلم النافع، وآخر دعوانا أنَّ الحمد لله رب العالمين.

المصادر

١. إبراهيم أنيس (دكتور): الأصوات اللغوية، ط٤، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧١.

٢. أحمد محمد قدُّور (دكتور): أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م.

٣. أحمد مختار عمر (دكتور): دراسة الصوت اللغوي، ط١، عالم الكتب، القاهرة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.

٤. أرتور شادِهْ: علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، إخراج د.صبيح التميمي، ط١، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٥. برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجه د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

٦. بسام عشمه وعميد روفائيل: علم التشريح السريري (الرأس والعنق)، ط١، دار المعاجم، دمشق ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م [وهو ترجمة عن كتاب باللغة الإنكليزية].

٧. تمام حسان (دكتور): مناهج البحث في اللغة، ط٢، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م.

٨. ابن الجزري (أبو الخير محمد):

أ. التمهيد في علم التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م.

ب. منظومة المقدمة، تحقيق أيمن رشدي سويد، ط٢، دار المناهج، جدة ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥ م.

ج.النشر في القراءات العشر، إشراف الشيخ علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

٩. ابن جني (أبو الفتح عثمان): سر صناعة الإعراب، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط١، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٣هـ =١٩٥٤م.

١٠.حلمي خليل (دكتور): التفكير الصوتي عند الخليل، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٨م.

١١. أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى أحمد النماس، ط١، القاهرة ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

١٢. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج١، تحقيق د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م.

١٣. الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد): التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٩٩٩م = ١٤٢٠هـ.

١٤. رمضان عبد التواب (دكتور): المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ =١٩٨٢م.

١٥. ريتشارد سنل (دكتور): التشريح السريري لطلبة الطب، ترجمة الدكتور محمد أحمد سليمان، مراجعة الدكتور أحمد ذياب، المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية، الكويت ١٩٩٨م.

١٦. سعد عبد العزيز مصلوح (دكتور): دراسة السمع والكلام: صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك، عالم الكتب، القاهرة ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

١٧. سمير شريف استيتية (دكتور): الأصوات اللغوية: رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر، عمان ٢٠٠٣م.

١٨. سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة.

١٩. ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله): أسباب حدوث الحروف، طبعة تفليس ١٩٦٦م.

٢٠. شريح بن محمد الرعيني: نهاية الإتقان في تجويد القرآن، مخطوط، مكتبة الجمعية الملكية الأسيوية في البنغال، بكلكتا بالهند، رقم (٧٩٥)، نسخة مصورة في مكتبة الدكتور حازم حيدر.

٢١. عبد الرحمن أيوب (دكتور): أصوات اللغة، ط١، مطبعة دار التأليف، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٢. عبد القادر مرعي العلي الخليل (دكتور): المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، ط١، جامعة مؤتة ,١٩٩٣

٢٣. عبد الوهاب بن محمد القرطبي: الموضح في التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، ١٤٢١هـ =٢٠٠٠ م.

٢٤. العطار(أبو العلاء الحسن بن أحمد): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.

٢٥. فوزي حسن الشايب (دكتور): محاضرات في اللسانيات، ط١، وزارة الثقافة، عمان ١٩٩٩م.

٢٦. كمال بشر(دكتور): علم الأصوات، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.

٢٧. مالمبرج (برتيل): علم الأصوات، تعريب ودراسة د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٨٥.

٢٨. محمود السعران (دكتور): علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة ١٤١٧هـ =١٩٩٧م.

٢٩. المرعشي (محمد بن أبي بكر): جهد المقل، تحقيق د.سالم قدوري الحمد، ط١، دار عمار، ١٤٢٢هـ =٢٠٠١م.

٣٠. مكي بن أبي طالب القيسي: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق د.أحمد حسن فرحات، ط٣، دار عمار، عمان ١٤١٧هـ =١٩٩٦م.

٣١. ابن منظور(محمد بن مكرم): لسان العرب، مطبعة بولاق، القاهرة.

تحديدُ مواقعِ القبائلِ العربيَّةِ ولهجاتِها في خرائطِ الدِّراساتِ اللُّغويّة وأَثرُه في الدَّرسِ اللهجيِّ

د. جمعان بن عبد الكريم *

مُلخّص

أفادت كثير من البحوث اللهجية المعاصرة من معطيات الجغرافيا اللغوية؛ إذ قامت بتوظيف الخرائط في ضبط مواقع اللهجات العربية، تبعاً لضبط مواقع القبائل العربية نفسها في أثناء عصر الاحتجاج اللغوي.

ولكن تلك البحوث أهملت الدقّة في معظم الخرائط اللغوية؛ ممّا أدى إلى أن تفقد تلك الخرائط وظيفتها، هذا إن لم تشكّل تلك الخرائط عامل لبس واضطراب في تحديد اللهجات فضلاً عن كون بعضها عامل خطأ وتشويه، وقد استعرض البحث أربعة من الأمثلة في أهم الدراسات اللهجية المعاصرة، كعيّنة من تلك الخرائط حاول فيها التنبيه على تحديد مواقع القبائل العربية، وما في تلك التحديدات من ملحوظات مختلفة، ممهّداً لذلك بمبحث حول أهمية تحديد المكان والزمان في درس لهجات القبائل العربية القديمة.

وكانت أهم نتيجة في البحث هي وجوب إعادة النظر في أغلب التحديدات التي يحدُّها بعض اللغويين المعاصرين لمواضع سُكنى القبائل العربية؛ لأنها تحديدات تتّسم بالبعد عن الدِّقة والاستقصاء، كما يجب إعادة النظر كذلك في أغلب الخرائط اللهجية المبثوثة في دراسات اللهجات العربية القديمة، والحذر من الاعتماد عليها فقط، مع اقتراح رسم أطلس لغوي مكاني زماني لمواقع القبائل العربية، ولهجاتها حتى العصر الحديث؛ ليكون مرجعاً للباحثين يقوم به نفر من المؤرخين والجغرافيين واللغويين.

* أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية – جامعة الباحة – المملكة العربية السعودية .

مقدِّمة

لقد تطوَّرت الدراسات المتعلّقة باللغة العربية ولهجاتها في العصر الحديث تطوّراً واضحاً فيما يتعلّق بالنتائج التي وصلت إليها، أو المناهج العلمية التي اتَّبعتها، أو حتى فيما يتعلّق بالأدوات والوسائل التي استعملتها، من تنسيق طرائق كتابة البحث اللغوي،أو استعمال بعض الأشكال والرسوم، والخرائط الجغرافية أو الصوتية في البحث اللّهجي.

وعند النظر إلى استعمال الخرائط الجغرافية أو الصوتية يمكن أن يلحظ الباحث انتشار هذه الخرائط، وتكرار تداولها عن طريق نقلها من بحث إلى آخر في دراسة اللهجات العربية خصوصاً ما تعلّق منها بدراسة اللهجات العربية القديمة. أمّا الدرس اللهجي الحديث فقد اتّبع في بعض دراساته المناهج العلمية في صنع الأطالس اللغوية.

وكيفما كان الأمر، فإنّ استعمال الخرائط في دراسة اللهجات تقليد بحثيّ انتقل إلى البحوث العربية بوساطة المستشرقين الذين درسوا اللهجات العربية.

وتهدف تلك الخرائط إلى زيادة إيضاح المادة العلمية بوضعها في شكل يسهِّل الوصول إلى المعلومة، كما يسهِّل مقارنتها بالمعلومات الأخرى.

أمّا خرائط الأطالس اللغوية الحديثة، فهي تقدّم المعلومة كاملة من خلال الخريطة؛ فالخريطة هي الجزء الأساس في البحث.

وستقوم هذه الدراسة حول النوع الأول من الخرائط. أمّا النوع الثاني، فله دراساته المستقلة، وإن كانت بعض البحوث اللهجية قد حاولت استثمار طريقة خرائط الأطالس اللغوية كخرائط إيضاحية؛ **ولا** مناص حينئذ من الإشارة إلى بعض تلك البحوث أيضاً.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن تكون أجزاؤه كما يلي:

. مقدّمة يليها مبحثان كالآتي:

. المبحث الأول: أهمية تحديد مواقع القبائل العربية مكانياً وزمانياً.

. المبحث الثاني: أبرز الملحوظات على الخرائط الجغرافية اللهجية.

ـ ثم يلي هذين المبحثين خاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، فمصادر البحث ومراجعه.

المبحث الأول: أهمية تحديد مواقع القبائل العربية مكانياً وزمانياً

تكمن أهمية تحديد مواقع القبائل العربية القديمة في أنها السبيل الوحيد لتحديد مواقع لهجاتها من جزيرة العرب، والدّرس اللهجيّ مازال يكنف بعض جوانبه اضطراب أو نقص أدّى إلى غموض وتناقض في النتائج العلمية المتوخّاة من خلال المصادر القديمة التي وصلت إلينا.

ومن صور ذلك الغموض تحديد البيئات اللهجية الكبرى، وما يتبعها من قبائل، وتحديد طبيعة الأماكن التي تسكنها بعض القبائل وأثرها في لهجتها.

ومن الطرق التي يمكن من خلالها تجلية أجزاء من ذلك الغموض، وكشف نواحٍ من ذلك التناقض القيام بالتحديد الدقيق لمواقع القبائل العربية؛ إذ بوساطة ذلك التحديد يمكن توضيح أثر التجاور بين القبائل في التأثُّر والتأثير المتبادل فيما بينها، فمن المعلوم أن التجاور بين الجماعات البشرية، أيّاً كانت صفة ذلك التجاور سلمياً أو حربياً، من العوامل المهمة في تكوين اللهجات أو تغيّرها.

فالعاملان الرئيسان في تكوّن اللهجات، وهما الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، والصراع اللغوي نتيجة الغزو أو الهجرات[1] مع التسليم بحدوثهما في اللهجات العربية، إلا أنّ درس أثرهما لم يكن مكتملاً؛ لنقص المادة اللهجية التي وصلت

---

(١) انظر :

ـ أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م، عالم الكتب، القاهرة، ص ٧٢ ، ٧٣.

. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م، ص ٢١.

إلينا، وللاضطراب في تحديد مواقع القبائل العربية، أو في أحسن الحالات التقصير في إيلائه مكانه الجدير به من الاهتمام.

علاوة على ذلك، فإنّ التصوّر الصحيح لطريقة الصراع اللغوي، وكيفية حدوثه بين اللهجات، وهو العامل الأهم في تكوّن اللهجات [١]، لا يمكن الوصول فيه إلى نتائج صحيحة من غير تدقيق المعلومات الجغرافية للقبائل العربية.

وقد تنبّه بعض الباحثين من المستشرقين إلى أهمية العناية بالتحديد الصحيح للمراد من أسماء القبائل، أو المراد من بيئاتها، وما يقع فيه من لبس، وإن كان قد رُدّ ذلك اللبس إلى القدماء من اللغويين العرب في الغالب. يقول رابين: "ولعلّ أكثر ما يضلل الباحث، وقوع الخلط بين المجموعات القبلية الكبيرة والصغيرة، وكثيراً ما نجد اسم تميم يُطلق ويُراد به إحدى فصائلها التي اختلفت لهجتها عن بقية الفصائل اختلافا قوياً، أو اسم الحجاز مراداً به كنانة أو خزاعة أو المدينة أو عالية... إلخ". [٢]

وإن كان هناك اتفاق من حيث المبدأ مع رابين في ورود بعض العبارات العامة في تحديد بعض اللهجات؛ فقد زاد الأمر ضغثاً على إبالة الخطأ الذي ارتكبه كثير من دارسي اللهجات العربية المعاصرين في عدم التحديد الدقيق لمواقع القبائل العربية، وخصوصاً من المستشرقين الذين تابعهم بعض الباحثين العرب دون تدقيق، أو مراجعة.[٣]

---

(١) انظر أنماطا من ذلك الصراع في:

- اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧١م، ص ١٦٤-١٧٢.

(٢) اللهجات العربية الغربية القديمة، حاييم رابين، ترجمة عبد الرحمن أيوب، جامعة الكويت، ١٩٨٦، ص ٣٧.

(٣) يمكن التمثيل في هذا المجال بنقد الشيخ حمد الجاسر لتحديدات قبيلة باهلة في موسوعة دائرة المعارف الإسلامية التي زادت في غموض اسم القبيلة، وفي الغموض حول موقعها ...، انظر:

- باهلة القبيلة المفترى، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحوث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص ١٠٦، و ص ٦٩٩، هامش رقم (١).

وقد أدرك مجمع اللغة العربية في القاهرة أهمية جمع ما يتعلّق بالمصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة، فقدّمت لجنة اللهجات في المجمع اقتراحاً بجمع تلك المصطلحات و تحديدها، ومن بين المصطلحات ما يتّصل بالجغرافيا اللغوية نحو: أهل الحاضرة، أهل البادية، أهل السواد ... إلخ[١]

ولكن المجمع، مع الأسف، لم يُولِ مصطلحات الجغرافيا اللغوية عناية تُذكر واكتفى بترديد ألقاب اللهجات العربية التي ذكرها القدماء.

ولوعي بعض الباحثين العرب بأهمية هذه الناحية؛ فإنه طالب أن تُدرس اللهجات العربية دراسة بيئية لا دراسة عنصرية "بمعنى أنّنا إذا أردنا أن نفهم ظاهرة لغوية تنتسب إلى قبيلة بذاتها، فلن يكون فهمنا لها صحيحاً باعتبار أن هذه القبيلة تنتسب إلى عدنان أو إلى قحطان مثلاً، ولكن باعتبارها تعيش في بيئة معينة"[٢]. وهي نظرة صائبة؛ فما يكون من ألفاظ في بيئة قبيلة تعيش في الجبال يختلف عن قبيلة تعيش في الصحراء، أو في بيئة زراعية. وعليه فإنّ لهجة القبيلة يجب أن تتأثَّر بالموضع الذي عاشت فيه، ولذلك كان لزاماً الاهتمام بالتحديد الدقيق لسُكنى القبيلة العربية، ويُضاف إلى ذلك أنّ الاهتمام بالصِّلات الاجتماعية بين القبائل العربية، وما امتازت به من اعتداد بالمحافظة على أنسابها لابدّ من مراعاته عند درس لهجات القبائل العربية؛ لأنّه قد يُلقي الضوء على موطن القبيلة،

= كما يمكن التمثيل لذلك بالخريطة التي رسمها ت. م جنسون للنطق بالجيم ياءً في كتابه الذي عنوانه دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية، ترجمة د. أحمد محمد الضبيب العربية، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٣هـ ص ٦٤. حيث لم يقم بتحديد دقيق للنطق بالجيم ياء، وللمزيد من الاطّلاع حول ذلك انظر:

– التوزيع الجغرافي الصحيح لنطق الجيم ياء، جمعان عبدالكريم، جريدة البلاد السعودية، ملحق التراث، ع ١٦٢٢٩٤، س ٧٠، ١٤٢١/١٠/٢٣هـ الموافق ٢٠٠١/١/١٨م .

(١) انظر: اللهجات العربية بحوث ودراسات، جمع وإعداد ثروت عبد السميع، ومراجعة د. محمد حماد، وإشراف كمال بشر، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ص ٢٠٥.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥م ، ص ٢.

أو انتقالها مهاجرة إلى جوار قبيلة قد لا تتصل معها في النسب أو العادات والتقاليد الاجتماعية.

ومن أكثر الذين اهتمّوا بمسألة تحديد مواقع القبائل العربية أحمد علم الدين الجندي، الذي خصّص لها مبحثاً في بداية بحثه في اللهجات العربية أسماه "جغرافيا اللهجات"[١]. وهذا هو الصحيح الذي لا يمكن التفريط في أهميته في مبحث لهجي على الإطلاق.

لكن الأمر الأكثر إغفالاً من دارسي اللهجات العربية المعاصرين هو التحديد الزمني للّهجات تبعاً لتنقّل العربية وعدم استقرارها في مكان واحد، سواء أكان ذلك التنقّل في العصر الجاهلي، أم في ما بعده من عصور. فتأريخ انتقال قبيلة طيء، على سبيل المثال، من اليمن إلى حائل حيث أجأ وسلمى وفيد، ثم انتقال كثير منها إلى العراق وإلى بوادي الشام[٢] في فترات متقادمة في الجاهلية، وفترات متفرّقة بعد الإسلام لا يمكن تجاهل أثره اللهجيّ في المراحل التأريخية المتعاقبة، وعلاوة على ذلك، فإنّ بعض الكتب تذكر أن معظم بطون طيء لم تخرج من بين الجبلين في بداية الأمر، حاشا بطن جديلة التي خرجت من بين الجبلين قبل الإسلام متَّجهة إلى الشمال الغربي من ديارها؛ لتزاحم قبيلة كلب في شمالي الجزيرة العربية. أمّا بعد الإسلام، فقد خرج بطن بحتر ليحلّ محلّ كلب في رمل عالج الذي يُدعى الآن النفود الكبير، ثم لتدخل كثير من بطونها إلى العراق[١] بل إن

---

(١) انظر: اللهجات العربية في التراث، أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٣م ج١، ص ٥٣-٩٩.

(٢) انظر:

. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بيروت ١٩٦٨-١٩٧١، ج ٤، ص ٢١٩.

(١) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة، الرياض، بدون تأريخ، القسم الأول، ص ٧، وص ١٠.

جزءاً من طيء جاور الأزد فترة من الزمن[٢]، ناهيك عمّا ثبت من استيطان بعضهم لإيران قبل الإسلام.[٣]

ومن ذلك، على سبيل المثال، انتقال بكر بن وائل من الجزيرة العربية إلى العراق في بداية ظهور الإسلام، ثم محاولتها العودة إلى الجزء الشمالي من الصَّمان حيث جزء من ديارهم السابقة، وهناك وقعت بينهم وبين بني تميم، الذين استولوا على ديار بكر السابقة، موقعة الشيطين.[٤]

ومن الأمثلة المهمة التي قد تسهم في فهم تطوّر اللغة العربية الفصحى انتقال قبيلة كندة، التي منها الشاعر امرؤ القيس، من وسط الجزيرة العربية حيث سكنت في حمى ضرية والغمر ورجوعها إلى حضرموت.[٥]

وزيادة على ذلك فقد اختلفت تنقلات القبائل العربية بعد الإسلام عنها في الجاهلية لما جدّ من دوافع الهجرة لنشر الدين الجديد، فعلى سبيل المثال نجد قبيلة قيس، وخصوصاً قبيلة بني نمير، تترك كثير من بطونها وسط نجد؛ لتزاحم قبيلة كلب على مواطنها شرقي نهر الأردن وجنوبي دمشق في العصر الأموي، وتضطرها إلى نزول

---

(٢) انظر:

. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط الأولى ١٣٤٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد – الهند، ٢٠٩/١.

ـ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط الأولى ١٣٠٦ هـ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر،٢٦/٣(بجر).

. لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبد الكريم الغامدي، نادي جازان الأدبي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص٣٠٠.

(٣) انظر: اللهجة العربية في خوزستان. محمد شكيب أنصاري، مجلة الدراسات اللغوية مج ٥ ع ٤ (شوال . ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ يناير . مارس ٢٠٠٤م) ص ٢٠٦.

(٤) انظر: الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج الأول، ص ٣٩٩–٤٠٠.

(٥) انظر: الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد علي الأكوع، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م، ج ٢، ص ٣١.

الأغوار من ناحية الغرب، ولا تكتفي بذلك، بل تُزاحم قبيلة تغلب في شرقي السماوة لتنزل بالقرب من الفرات. (١)

ومن ذلك أيضاً الاختلاف حول جبل (رَقَد)، الواقع الآن في حدود منطقة القصيم ضمن التقسيمات الإدارية للمملكة السعودية، هل هو من بلاد غطفان أو من بلاد بني أسد؟ لذلك يذهب محمد ناصر العبودي إلى أنّه من ديار بني أسد، أمّا جعله من ديار غطفان "فربما كان ذلك في زمن غير زمن صدر الإسلام كما هو المصطلح في ذكر بلاد القبائل عند البلدانيين"(٢)

المبحث الثاني: أبرز الملحوظات على الخرائط الجغرافية اللهجيّة

إذا أمعن الباحث النظر في الدراسات اللهجية ليسبر الطريقة التي حُدِّدت بها مواقع القبائل العربية، فإنه سيجد طريقتين: الطريقة الأولى تقوم على الإشارة إلى مواضع تلك القبائل بوساطة تحديد أسماء الأماكن التي ذكر بعض القدماء أنها سكنتها.

والطريقة الأخرى تعمد إلى إيضاح تلك الأماكن وتصويرها في خرائط جغرافية تحدّد موضع القبيلة من الجزيرة العربية والقبائل المجاورة، ثم تعمد إلى تسجيل سماتها اللهجية على تلك الخرائط.

وأهم ما يؤخذ على كلتا الطريقتين عدم توخي الدّقّة في تتبّع مواقع القبائل العربية ومحاولة تقصّي كل المواقع التي سكنتها؛ إذ إنّ القبائل العربية كانت كثيرة التّرحال حتى في أثناء العصر الجاهلي.

---

(١) انظر: كتاب الأغاني. لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، مصورة عن طبعة بولاق ج ٢٠ ص ١١٨– ١٣١ في ذكر نسب القطامي وأخباره.

(٢) المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم)، محمد ناصر العبودي، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، القسم الثالث (خ – ش)، ص ١٠١٤.

ومن ذلك جعل جبل (خزاز) المشهور في حمى ضرية لغاضرة من أسد عند ياقوت الحموي؛ ممّا دفع بالشيخ محمد ناصر العبودي إلى القول: "إنما خَزاز واقع في بلاد باهلة، مما يؤيد أن قول ياقوت وهم"

– المرجع السابق، ص ٨٩٩ .

فإذا جاورت قبيلة ما قبيلة أخرى في إحدى الفترات الزمنية، فإنّ تلك المجاورة قد تؤدّي إلى بعض التغيرّ اللهجي في لهجة كلتا القبيلتين، أو إحداهما على الأقل، وهذا الأمر له دور كبير في تعقّب اللهجات العربية، من حيث قوة انتشارها وعلاقاتها باللغة الفصحى المشتركة.

وسيعمد البحث إلى ضرب أمثلة لتحديد مواقع القبائل العربية في الخرائط اللهجية في الدراسات الحديثة، وذكر أبرز الملحوظات على تلك الخرائط، ثم يقوم البحث بصنع بعض النماذج لخرائط تحديد مواقع القبائل العربية ولهجاتها، وفق ما تمليه دقّة البحث العلمي مع الحرص على تحاشي الملحوظات التي ظهرت في كثير من الخرائط اللهجية.

المثال الأول: خريطة جزيرة العرب لبيان مواقع القبائل التي اشتهرت لهجاتها.[١]

(١) جميع الخرائط في هذا البحث لا تُعدُّ مرجعاً للحدود الدولية.

This maps in this research is not considerd as reference for international boundaries

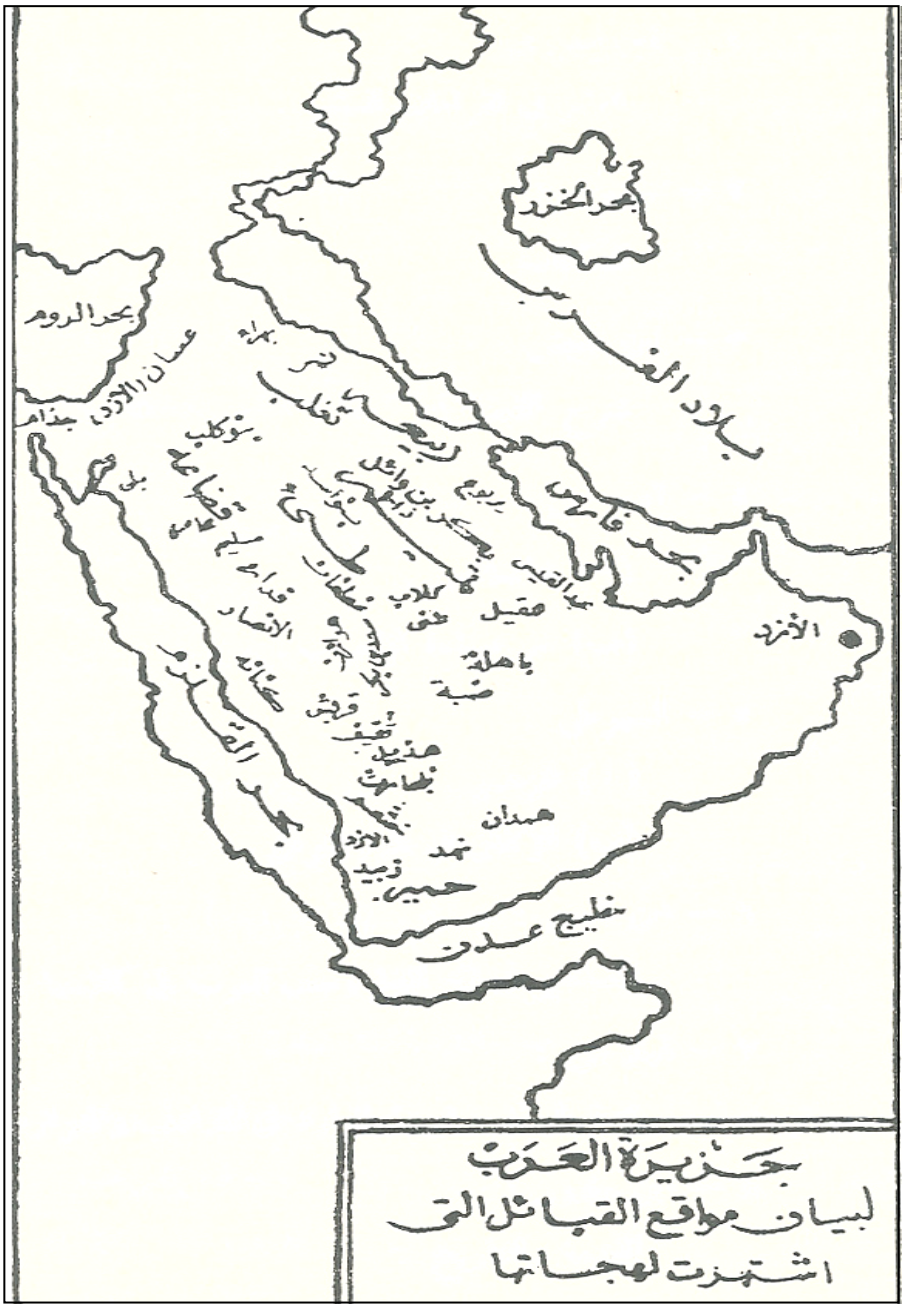

وهذه الخريطة هي التي اعتمدها إبراهيم أنيس في كتابه "في اللهجات العربية" ص ٣٣٥

وأبرز التنبيهات على هذه الخريطة ما يلي:

أولاً: الملحوظات العامة

ـ إهمال مقاييس الخرائط. وإهمال هذه المقاييس يؤدي إلى اضطراب المسافات، ومن ثمَّ إلى عدم التحديد الدقيق لمواقع القبائل العربية.

ـ عدم الاعتماد إلا على خريطة واحدة في الكتاب، توضّح مواقع القبائل العربية ولهجاتها على الرغم من أن منهج المستشرقين الذين درس على أيديهم إبراهيم أنيس يكثر من الاعتماد على الخرائط اللهجية؛ لإيضاح مواقع القبائل العربية ولهجاتها.

ـ عدم الاهتمام بالناحية الزمانيّة في تحديد مواقع القبائل العربية، خصوصاً عند ذكر بعض اللهجات التي تكون في أكثر من قبيلة؛ إذ قد يكون سبب الاتّفاق اللهجي في حالة تباعد بعض القبائل أنّها كانت متجاورة في بعض الأزمنة.

ثانياً: الملحوظات التفصيلية

١- عدم وضوح بعض الكلمات في الخريطة المرسومة، كالكلمة المرقومة فوق الميم الثانية من قبيلة تميم.

٢- الخطأ في تحديد موقع قبيلة أزد؛ إذ إنّ قبيلة الأزد في هذه الخريطة تظهر في عمان وهذا صحيح. ولكنها تظهر في داخل اليمن الجغرافي؛ ممّا يؤدّي إلى اعتبارها من القبائل الساكنة في اليمن، وهي قد هاجرت من اليمن في فترات مختلفة قبل الإسلام لعلّ آخرها كان في ١١٥م[١].

---

(١) انظر:

ـ صفة جزيرة العرب، للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد علي الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ص ٣٧٠ – ٣٧٣.

– مروج الذّهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ط الثانية، ١٩٧٣م، ج٢، ص ١٧١– ١٧٣.

. الأنساب، لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، وزارة التراث القومي والثقافة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص ١٨١ – ٢٠٦.

أمّا القبائل المجاورة للأزد، فتُظهر خريطة إبراهيم أنيس السابقة أنّها تحدّ بقبيلة خثعم من الشرق والشمال، وقبيلة زبيد من الجنوب، وقبيلة نهد من الشرق، وهذا غير صحيح؛ إذ إنّها تحدّ بـ**القبائل القيسية** التالية: فهم وعدوان وسلول وعقيل وعامر بن ربيعة وبنو كلاب وباهلة وبنو خفاجة وسواءة بن عامر من جهتي الشمال الشرقي والشرق. وتحدّها ثقيف من الشمال.

كما تحدّ بـ**القبائل القحطانية** التالية: خثعم وأكلب من جهة الشرق، وبلحارث بن كعب المذحجية من جهة الجنوب الشرقي ناحية نجران وماحولها. ويحدّها من الجنوب قبيلة جنب المذحجية، وقبيلة حمير.

أمّا القبائل المضرية، فتحدّها قبيلة هذيل في الشمال. وقبيلة عكل من الشرق في أبيدة. وقبيلة عنز التي تسكن بعض فروعها مع الأزد من جهة الجنوب.[1]

هذا، ويمكن أن يُلحَظ التناقض البيّن في تحديدات إبراهيم أنيس في خريطته حينما ذكر أنّ قبيلة دوس، التي هي من أشهر قبائل أزد السراة، قد عاشت على مسافة غير بعيدة من مكة، وكان أهلها على اتّصال بالبيئة الحجازية قبل الإسلام[2] في حين أنّه جعل القبائل الأزدية، في العمق اليمني من خريطته على الساحل المجاور للحديدة، لا يحدّها سوى زبيد وخثعم ونهد، وكل ذلك بعيد عن

= ـ اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، أحمد حسين شرف الدين، مطابع الفرزدق، الرياض، ط الثانية ١٤٠٥هـ ، ص ٩٠.

. سبأ بين التأريخ والنص القرآني، الأستاذ رابح لطفي جمعة، مجلة الدارة، ع٢، س ١٧ (محرم وصفر وربيع أول ١٤١٢هـ) ص ١٠٠.

(١) انظر: لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبد الكريم الغامدي، ص ٢٩-٣٠.

(٢) انظر في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ص ١٧٧.

الصواب. وينبغي أن يعلم أن قرب دوس وأزد شنوءة- وهما من قبائل أزد السراة من مكة- جعل بينهما صلات لهجية كثيرة ...[١]

وهاتان خريطتان توضّح أولاهما أهم فروع قبيلة أزد السراة، مع تحديد دقيق لترتيب تلك المواقع، في حين توضّح الأخرى أهم القبائل المجاورة لأزد السراة.[٢]

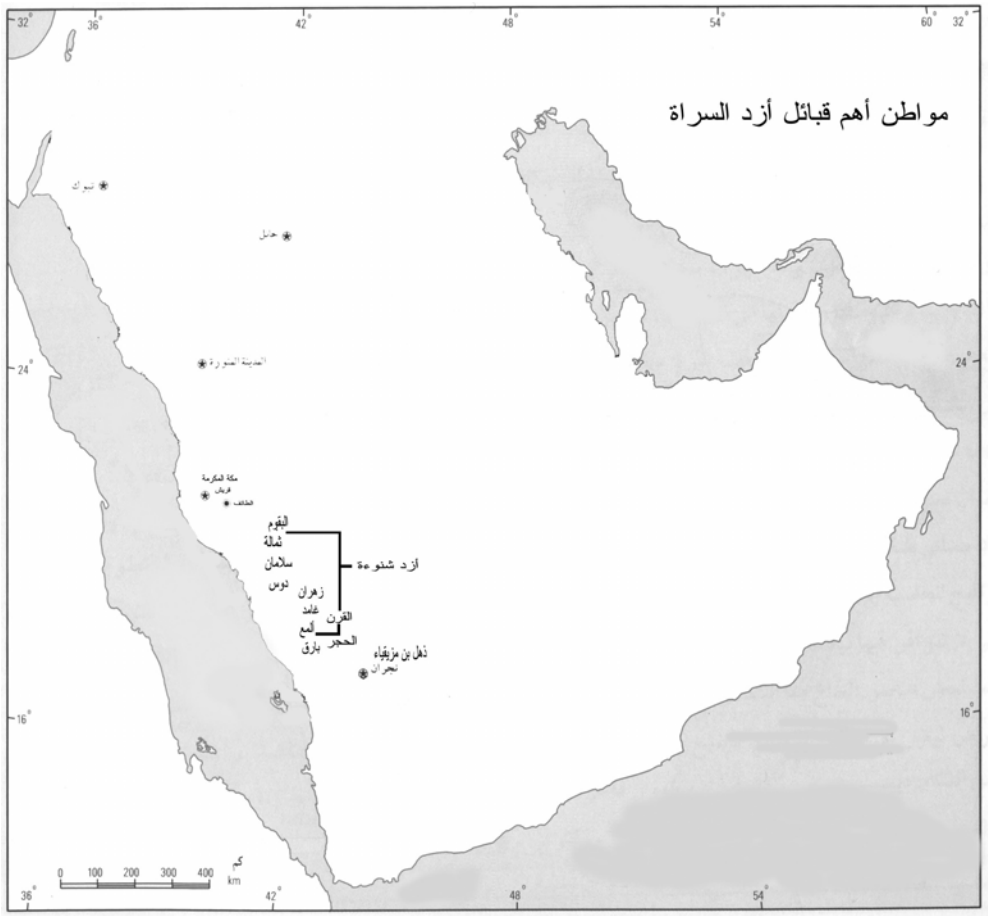

(١) انظر لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبدالكريم الغامدي ص ٣١١.

(٢) نقلتُ هاتين الخريطتين من المرجع السابق، النسخة المخطوطة المودعة بمكتبة كلية اللغة العربية -جامعة الإمام، الرياض، ج ٢، ص ٦٦٦-٦٦٧ .

أهم القبائل المجاورة لأزد السراة
تبوك
حائل
المدينة المنورة
مكة المكرمة
الطائف
سعد بن بكر
ثقيف
هذيل
بجيلة
عامر بن ربيعة
فهم وعدوان
عكل بنوكلاب
سواءة بن عامر
باهلة
عقيل
خفاجة
أكلب
قشير
سلول بن عامر
زبيد
بلحارث بن كعب
جنب
نجران
جرش
حمير
عنز
0 100 200 300 400
كم
km
32°
36°
42°
48°
54°
60°
24°
16°

وممّا لاشكّ فيه أنّ هذه الحدود لقبيلة أزد السراة يترتّب عليها تصوّر صحيح لما أحدثته المجاورة في التأثير اللهجي، كما قد يترتّب عليها تصوّر دقيق لتطوّر اللغة العربية الفصحى[١].

ومن الملحوظات التي وقع فيها إبراهيم أنيس بسبب عدم الاهتمام بمعرفة القبائل العربية وبمواقعها في كتابه، وهي تتعلق بقبيلة الأزد ما يلي:

ـ نسبة قلب (العين) في الفعل (أعطى) نوناً إلى سعد بن بكر القيسية وهذيل والأزد والأنصار.[٢] حيث لم يفسّر السبب في وجود هذه اللهجة في تلك القبائل. وهذا التوزيع للهجة يدل على أنها لهجة أزدية انتقلت للقبائل المجاورة لها، كما يدل على أن سعد بن بكر القيسية كانت مجاورة لأزد السراة. ويرجّح كون هذه للأزد وجودها في الأنصار الذين هم جزء من الأزد. ثم إنّ انتشار هذه اللهجة في هذه القبائل يرجّح أنّ المقصود بالأزد هم أزد السراة. وقد أكّد ذلك وجود اللهجة في نصّ لهجي نادر لأحد أفراد قبيلة دوس وهي من قبائل أزد السراة [٣].

ـ عدم إيضاح علاقة أبي هريرة بأزد السراة في لهجة المُدية مرادفة للسكِّين، والاكتفاء بردّ نسبته إلى قبيلة دوس وجعلها بطن من "بلحارث" مع أنّ النسبة إلى بلحارث هي نسبة مُلبسة.[٤] هل هي بلحارث بن كعب المذحجية أو هي كعب بن الحارث بن كعب الشنئية الأزدية، أو غير ذلك من القبائل التي اسمها بلحارث؟

. سرد نسبة اللهجة الواحدة إلى قبائل مختلفة دون محاولة تفسير اشتراك تلك القبائل في لهجة واحدة في أغلب الكتاب، ينظر على سبيل المثال فتح حرف المضارعة الذي نقل نسبته إلى أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل.[٥]

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٨١-٣١٥ .

(٢) في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس ص ١٤٠.

(٣) انظر: لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي ص ٦٥.

(٤) في اللهجات العربية ص ١٧٧.

(٥) المرجع السابق ص ٣٣٤ .

والسبب هنا هو المجاورة بين تلك القبائل. ولكن هذه المجاورة لا يمكن أن تتّضح من خلال الخريطة الإيضاحية التي رسمها الدكتور إبراهيم أنيس في آخر كتابه عن اللهجات العربية.

٣- الخطأ في تحديد مواضع القبائل العربية الأخرى مثل: عُقيل التي وضعها في الجهة الشرقية من اليمامة فيما هي من القبائل القيسية التي عاشت في الجزء الجنوبي الغربي من نجد؛ لذلك فهي من القبائل القيسية الميامنة، أي التي تحدّ القبائل اليمانية في العقيق (وادي الدواسر الآن) وتصل بعض بطونها إلى بيشة مجاورة لقبائل أزد السراة[١] كما انتقل بعد ذلك جزء منها إلى العراق فيما بعد ظهور الإسلام كأغلب القبائل العربية.

ومن الأخطاء الأخرى في الخريطة التي اعتمدها إبراهيم أنيس وضع همدان في حضرموت ومع أن بعض همدان قد سكن حضرموت، إلا أنّ معظم همدان هم في شمالي صنعاء وشرقيها، وخصوصاً في الجوف وريدة. أمّا أرضهم في تهامة فهي شرقي زبيد، وفي السحول. أي أنهم كانوا على وجه العموم في جنوبي بلاد خولان، وبعض بطونهم تعيش في شمالي صعدة وبالقرب من نجران، ويخالطون حِمْير ما بين صنعاء وذمار في بعض الديار.[٢] ومازالت كثير من بطونها، كبكيل وحاشد في مواطنها إلى الآن.

ومثل ذلك الخطأ في تحديد قبيلة زبيد المذحجية، حيث أدخلت في عمق بلاد اليمن مع أنّها كانت تسكن في نجد اليمن الشمالي الشرقي، وكانت تمتد مساكنها إلى تثليث شمالاً[٣].

---

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تأريخ، ج١، ص ٦٢٨ (بيشة)، ج ٤، ص ١٥٨.

(٢) انظر: الإكليل، للهمداني، ج ٢، ص ١٥٩، وج ١٠، ص ٢٦، ٣٥، ٣٧، ٥٥، ١٠٥، ١٠٧، ١١٠، ١٤٨.

(٣) انظر: المرجع السابق، ج، ص ١٧٧-١٧٨.

ويلحظ كذلك الخطأ ذاته في قبيلة ضبة التي جُعلت في جنوبي نجد يحدّها من الشمال باهلة ومن الغرب سعد بن بكر. وليس لها حدود جنوبية بقبائل أخرى في حين أنّ الصحيح أنّ قبيلة ضبة سكنت بعض بطونها الصَّمان، مجاورة لبني العنبر من تميم، يقول الأصفهاني: "فإذا خرجت من الجواء، فأنت في الصمان، وهو لضبة وكعب بن العنبر وعبدالله ونهشل ابني دارم"[١] لكن ديارها الرئيسة كانت تمتدّ في حمى ضرية إلى الوشم وإلى ساجر أي أنّ ضبة مع بعض القبائل الأخرى، كتيم وبقية الرباب وعكل مع بعض بني عامر كانت في الجزء الجنوبي من حمى ضرية، وكانت تلك القبائل تفصل ما بين غني التي تسكن في الجزء الشمالي من الحمى مجاورة لبني أسد، وما بين باهلة أخت غني في النسب.[٢]

وبذلك يتّضح خطأ تحديد مسكن قبيلة ضبة ليس في خريطة الدكتور إبراهيم أنيس، بل في أغلب الخرائط القبلية واللهجية، ولعلّ هذا الخطأ قد أتى عن طريق التعميم الخاطئ الذي جعل ديار ضبة جنوبي بلاد بني تميم[٣]؛ ممّا جعل بعضهم يجعل مساكن هذه القبيلة في جنوبي نجد، مع أنّ المقصود بجنوبي بلاد تميم هو في الصّمان خصوصاً، لأنّ بلاد بني تميم كانت تمتدّ جنوباً إلى أن تصل إلى يبرين.[٤]

---

(١) بلاد العرب، الحسن بن عبدالله الأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر و صالح العلي، ط الأولى ١٣٨٨هـ ، ص ٢٩٦.

(٢) انظر في ضبط هذا التحديد:

- معجم البلدان، لياقوت: ج١، ص ٥٢٦ (البكرات) ، ج٢، ص ٤٠ (تعشار)، ج٢ ، ص ٣٦٣ (حوايا)، ج ٣، ص ١٩٠ (ساجر)، ج٤ ، ص ٧٩- ٨٠ (العالية).
- تاج العروس: (الفقو) ج١٠، ص ٢٨٣، ج١٠، ص ٢٩٤ (تعشار، قسا) ، ج ١٠، ص ١٠٣ (الحواء).
- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (عالية نجد)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، منشورات دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م، القسم الأول، ص ١٦

(٣) انظر: المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ٢٠٥/٤.

(٤) انظر: بلاد العرب للأصفهاني، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، ص ٢٧٤ وص ٢٧٨.

كما يُلحظ في قبيلة عامر أنّه جعلها في الخريطة شمالي تيماء تحدّها قبيلة قضاعة من الشمال وتحدّها سليم من الجنوب، في حين أنّها كانت تعيش في عالية نجد، وتمتد مساكنها من تربة ورنية جنوباً حتى تصل إلى ديار بني سليم إلى الشرق من المدينة والحدّ بين القبيلتين هو بالقرب من بئر معونة[١].

والتحديد غير الدقيق يشمل قبيلة باهلة التي جُعلت في الخريطة في الجنوب الشرقي لنجد في حين أنّها في غربي نجد فيما يسمّى سواد باهلة[٢]، وتمتد ديارها في الماضي إلى ما يُسمَّى الآن بالعرض[٣] من القويعية التي تبعد عن الرياض حوالي ٢٠٠كيلاً إلى الغرب. كما أنّ هناك بطناً من باهلة منفصل عن ديارها كان في أسفل حمى ضرية بالقرب من النير وثهلان إضافة إلى أنّ جزءاً آخر قد ابتعد كثيراً عن القبيلة ليسكن في بيشة، وبذلك فإنّ ديار باهلة الرئيسة تمتد على وجه التقريب ما بين خطي طول ٤٤/٠٠ وَ١٥ /٤٥ ْ، وخطي عرض ٢٢/١٠ ، ٢٤/٢٠ ْ.

ومثل ذلك الخطأ في تحديد قبيلة غطفان حيث جُعلت في الخريطة في الجنوب الغربي لقبيلة طيء، علماً أنّ مساكنها في الغرب وفي الشمال الغربي لقبيلة طيء[٤].

ومن ذلك أيضاً جعل مواطن قبيلة أسد إلى الشمال الشرقي من قبيلة طيء، وهذا غير دقيق كما سيتّضح بعد قليل حين يتناول البحث مساكن هذه القبيلة بالتفصيل (كنموذج لما يجب مراعاته من دقّة في تحديد القبائل العربية القديمة).

---

(١) انظر: الأمكنة والمياه والجبال، للزمخشري، تحقيق إبراهيم السامرائي، بغداد، ١٩٦٨م، ص ١٣٨، وص ١٩.

(٢) انظر: صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ٣٣٣.

(٣) انظر: باهلة القبيلة المفترى عليها، مرجع سابق، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٤) انظر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، حمد الجاسر، مرجع سابق، القسم الأول، ص ٩.

٤- إهمال العنصر الزمني المتمثّل في تنقّل بعض القبائل في الفترة الممتدة قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم بقرنين من الزمن، فعلى سبيل المثال، قبيلة أسد التي جعلها شمال قبيلة طيء سكنت في أكثر من موضع، وتفصيل ذلك كالآتي:

أولاً: كانت منازلهم الأولى في تهامة جنوبي مكة حيث سكن خزيمة أبو أسد إلى الغرب من قبيلة هذيل حيث "استطالوا في تلك التهائم إلى أسياف البحر".(١)

ثانياً: سكنت بعض بطون أسد في مكة واستمرّت فيها حتى بعد ظهور الإسلام محالفة لبعض بطون قريش، ومن أكبر بطون أسد في مكة بنو غُنم بن دودان.(٢)

ثالثاً: هاجر جمهور قبائل بني أسد إلى نجد بعد أن أجلت خزاعة "بني أسد عن الحرم فخرجت، فحالفت طيئاً، ثم حالفت بني فزارة".(٣)

وقد قامت وفاء فهمي السنديوني بتحديد موضعهم من خلال مقارنتها كتب المواضع، ومن خلال أخبارهم وأشعارهم "فوجدت أنّ منازلهم كانت تمتد من آخر حدود بلاد طيئ عند أبانين (أبان الأسود وأبان الأبيض) من شرقي سلمى حتى تلتقي بالقصيم، وفيه منازلهم أيضاً يسكنون أعاليه، وشماله وغربيه، ويقيمون في وادي الرُمة، ويسيطرون على طرق الحاج ويفصل بينهم وبين طيء منطقة فيد"(٤)

ويبدو أنّ قبيلة بني أسد إضافة إلى سكناها الشمال الغربي لنجد كان لها مواضع في شرقي نجد وشماله الشرقي، مجاورة لبني تميم حيث كانت تنزل

---

(١) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري. تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط الأولى، ج١، ص٨٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار القلم، بيروت، بدون تأريخ ج ٢، ص ١١٦ – ١١٧.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج ٩، ص ٥٥ (حلف).

(٤) شعر قبيلة بني أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ص ٣٢.

المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم)، محمد ناصر العبودي ، القسم الثالث، ص ١٢١٧.

الصمان والدو[١]، ولم تفصل الدكتورة وفاء بين هذه المواضع؛ إذ تظن كما يبدو من الخريطة الإيضاحية التي رسمتها في بحثها أنها متّصلة، وليس الأمر كما ظنّت.[٢]

وقد امتدّت قبيلة بني أسد إلى آخر حدود نجد الشمالية وهي سواد الكوفة منذ الجاهلية، وتوغّلت حتى دخلت في الحيرة[٣]. وقد أيّدت وفاء فهمي السنديوني وصول ديارهم إلى العراق ببعض أشعارهم التي تصف دجلة والسفن التي تشبه الظعن وهي تمخر فيه.[٤]

ولكن المشهور أنّهم كانوا يخالطون طيئاً في الشمال الغربي لجبلي أجأ وسلمى للحلف الذي بين القبيلتين، وكانت مناهل الحاج لقبيلة أسد خاصة حتى الكوفة، أمّا كلب وبعض بني تميم، فقد كانوا يسكنون قريباً منهم في الحزن والتيسية.[٥]

رابعاً: رجوع بني أسد من نجد إلى تهامة في أثناء حروبهم مع حجر الملك الكندي، وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص:

---

(١) انظر:

- معجم ما استعجم للبكري المقدمة ج١، ص ١٣.
- أطلس الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، سامي عبدالله المغلوث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الثانية ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥ م ، ص ٤٨- ٥٠. حيث قام بتحديد بعض ديار أسد على الخريطة عند الحديث عن موقعتي بُزاخة والبُطاح.

(٢) انظر: شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، ص ٣٠. حيث رُسمت خريطة إيضاحية لمساكن هذه القبيلة ولمساكن القبائل الأخرى، ولكثرة الأخطاء في تحديدات تلك المساكن. اكتفى البحث هنا بالإشارة إليها. ويظهر أنّ السبب في تلك الأخطاء هو عدم معرفة بعض الباحثين بتحديد المواقع الجغرافية في الجزيرة العربية على وجه الدقة، وإن كانوا يتابعون القدماء في التحديد عن طريق الوصف المكاني.

(٣) انظر:

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٣/ ٢١٢.

(٤) شعر قبيلة بني أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ص ٤٠-٤١.

(٥) انظر:

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، حمد الجاسر، ص ١١.

ومنعتـهم نجداً فقد حلّوا على وجل تهامة[١]

والذي يظهر أنّ هذه الهجرة لم تطُل فقد رقَّ لهم حجر الكندي، وأرجعهم إلى ديارهم من نجد [٢].

خامساً: سكنى بعض بطون أسد في اليمن في شبوة[٣] ونجران[٤]. وهذا الرأي وإن أيّدته الدكتورة وفاء السنديوني لاتّساع منازل القبيلة ممّا يحتمل أن يكون فريق منهم قد نزح إلى اليمن؛ لأنّها من القبائل ذات العدد الهائل ككندة وقضاعة[٥]. فإنّه رأي مرجوح أمّا سكناها شبوة وهي داخل اليمن، فلا يؤيّده منطق ولا تأريخ، فالبيت الشعري لبشر بن خازم الأسدي الذي استشهدت به على سكناهم شبوة وهو قوله:

ألا ظعن الخليط غداة ريعوا بشبوة فالمطي بنا خضوع[٦]

فليس فيه دليل واضح على سكنى بني أسد شبوة؛ فشبوة ليست من مواضع الظعن، بل هي قرية استقرار. ثم إنّ احتمال تشابه أسماء المواضع وارد في مثل هذه الأبيات، ناهيك أنّ البيت وما بعده لا يدل دلالة صريحة على أنّ الشاعر يصف منازل بني أسد، ويؤيّد ما سبق أنّ ياقوتاً الحموي يذكر أن شبوة اسم موضع، ولم يحدّده ويستشهد ببيت بشر بن خازم السابق، ثم يقول: وشبوة أيضاً من حصون

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بيروت، ص ١٢٦.

(٢) انظر:

- المحبَّر، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي، تحقيق: الآنسة إيلنزة لختن شتيدر، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان، ١٤٠٣هـ / ١٩٧٢م، ص ٢٠٤.

(٣) معجم ما استعجم، للبكري، ج٣، ص ٧٨٠.

(٤) الرّوض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط الثانية، ١٩٨٤م، ص ٥٧٤ (نجران).

(٥) انظر:

- شعر قبيلة بني أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام ص ٤٣-٤٤.

(٦) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، ط٢، دمشق١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ١٢٩.

اليمن في جبل ريمة، وينقل عن الأزدي أنّ شبوة في طرف العراق، وأخيراً شبوة المشهورة وهي بلد من اليمن على الجادّة من حضرموت إلى مكة.(١)

أمّا النّصّ الذي جعل الحميري فيه أسداً يسكنون نجران هو أيضاً قد لا يتوافق مع

القبيلة المضرية المشهورة بأسد؛ لأنّ ذلك قد يكون مجرد اتّفاق في الاسم(٢)، أو لأنّ المقصود ببني أسد ربما يكون كما يظهر هم الأزد الذين سكنوا نجران، وهم يذكرون في بعض المراجع بالسين بدلاً من الزاي.(٣)

سادساً: استقرار كثير من بني أسد في العراق بعد الإسلام خصوصاً في الكوفة لقربها من ديارهم (٤)، وسكن بعضهم في البصرة.(٥) وهي تكاد تكون القبيلة الوحيدة التي لم يبقَ لها امتداد في جزيرة العرب في هذه الأيام.

وعلى ذلك تكون خريطة منازل بني أسد كالآتي:

(١) انظر:

– معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٦٦ (شبوة).

(٢) انظر:

– الإكليل للهمداني، ج ١، ص ٩٦، وص ١٠٥، ج ٢، ص ٣٥– ٥١ حيث توجد أسماء بطون وقبائل ذات أصل يمني تتسمى بأسد.

(٣) انظر:

– التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري، تحقيق: حمد الجاسر، ط الأولى ١٤١٣هـ /١٩٩٢م، ج ٢،ص ٩٩٢، وج ٣، ص ١٦٢٦.

– تاريخ ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م، مج ٣، ج ٢، ص ٥٠٤.

– لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبدالكريم، ص ٧٣

(٤) انظر:

– المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ج٤، ص ٢٠٤، وص ٢٢٢.

(٥) الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثالثة، بدون تأريخ، ص ٥٠١.

وللدّقّة الشديدة يجب أن يذكر أن حدود قبيلة أسد الجنوبية هي الربذة التي تقع على خط الطول ٤١،١٧َ ْ، وخط العرض ٢٤,٣٨َ ْ[١]. أمّا حدودهم الشمالية، فتمتد مختلطة بديار طيء حتى تصل الكوفة في العراق.

وإنّ ممّا يترتب على ذلك ترجيح تحديد التلتلة (كسر حرف المضارعة) في القبائل العربية في أسد وتميم وقيس لما بين هاتيك القبائل من تجاور واضح؛ وبناء على ذلك يُرجَّح أنّ النّصّ الذي ورد فيه أن قبيلة أسد تفتح حرف المضارعة[٢] مخالفاً النصوص الأخرى التي تنصّ على ميلها إلى التلتلة[٣] المراد به أزد السراة؛ إذ هي أقرب إلى قريش التي أُثر عنها فتح حرف المضارعة.[١]

---

(١) انظر: أطلس المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م، خريطة رقم (٩)، ص ٢١١.

(٢) انظر:

- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بدون تأريخ . ١١/ ٢٢٦ (خال).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تأريخ ١٨٧/١ (خيل).
- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، بدون تأريخ ٢٥٨/١.

(٣) انظر:

- الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٤، وص ٢٨.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثالثة، دار التراث، بدون تأريخ ، ٢٥٢/٢.

والنصّ الواقع فيه الإشكال هو ما جاء في الصاحبي: " نَستعين ونِستعين عن الفراء هي مفتوحة في لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر". ويمكن أن تُفسّر هذه العبارة على جعل علامة الوقف (.) بعد كلمة قريش ويؤكد هذا الوقف النصوص الأخرى التي تنسب التلتلة إلى أسد، أو يمكن جعل علامة الوقف بعد كلمة أسد(.) ويراد بها حينئذ أزد كما ذهب إلى ذلك رابين، وهو الأقرب إلى الصواب حيث يرد الفعل (أخال) إلى الأزد، وتطَّرد ظاهرة الكسر في قبيلة بني أسد.

(١) للاستزادة في قضية نسبة التلتلة إلى أسد أو أزد السراة يمكن الرجوع إلى المراجع الآتية:

المثال الثاني: الخرائط اللهجية في كتاب اللهجات العربية الغربية القديمة لحاييم رابين.

اعتمد رابين كعادة كثير من المستشرقين في بحوثهم اللهجية على الخرائط الجغرافية في إيضاح مواطن القبائل العربية ولهجاتها، وقد بلغ عدد الخرائط التي رسمها عشرين خريطة مبتدئاً بخريطة رئيسة في أول الكتاب ص ٥ عنوانها: منطقة اللهجات العربية الغربية.

وهذه هي الخريطة التي اعتمدها:

. اللهجات العربية الغربية لرابين، ١١٨.

. اللهجات العربية في التراث ٣٩٢/١.

. فصول في فقه العربية، رمضان عبد التواب، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ١٢٤ هامش رقم ٣.

. لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبدالكريم الغامدي، ص ٣٨.

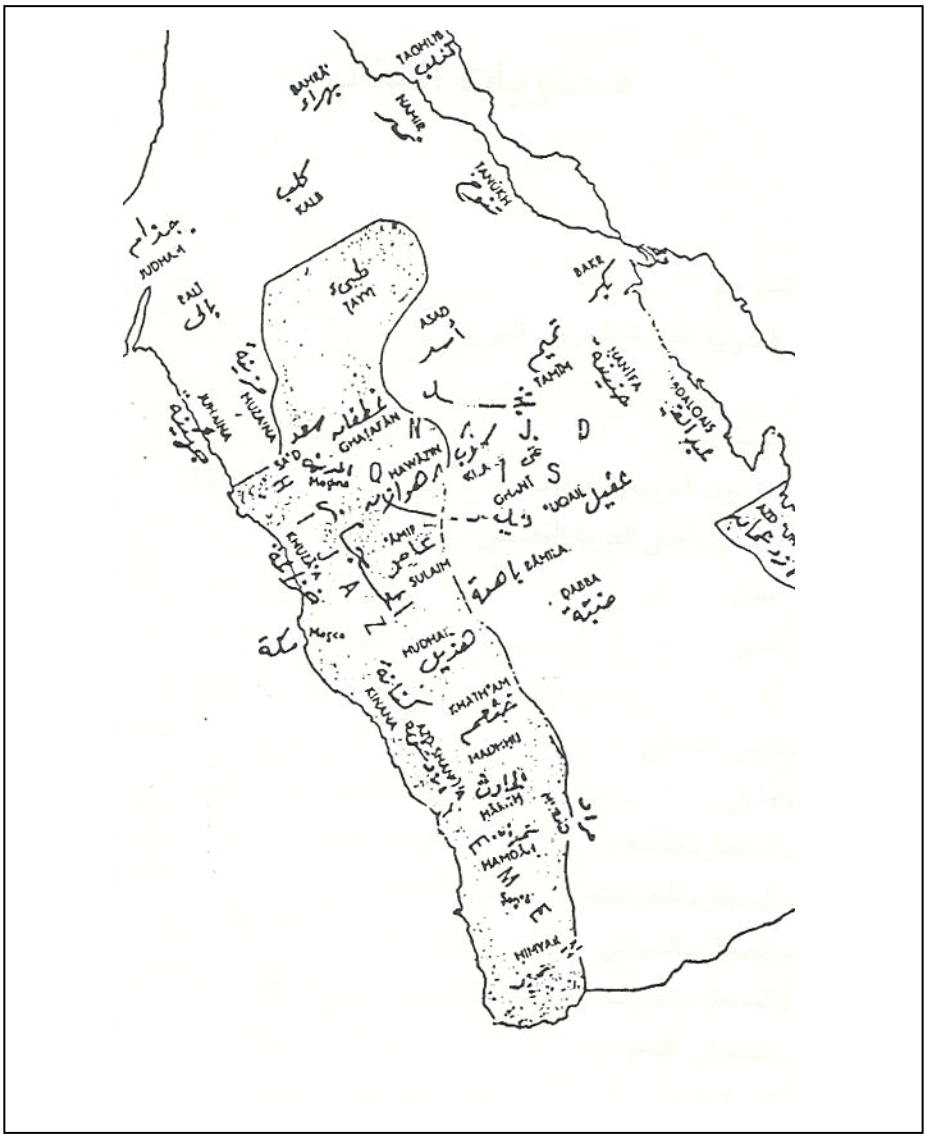

أمّا بقية الخرائط، فهي نسخ مطابقة للخريطة الأولى مع اختلافات قليلة لا تكاد تُذكر سوى خريطة واحدة وهي: خريطة المناطق التي تكلّمت الحميرية في عصر الهمداني ص ٩٢.

ويمكن النظر إلى التنبيهات على خرائط رابين البالغ عددها ١٩ خريطة في ضوء الآتي:

أولاً: الملحوظات العامّة

١) لم تعتمد الخرائط على مقاييس الخرائط التي تحدد أبعاد الخريطة بدقّة.

٢) أهملت الخرائط التغييرات التي حدثت في مواضع القبائل العربية في أثناء تنقلاتها.

٣) كُتبت أسماء المواضع باللغة الإنجليزية ثم تُرجمت إلى اللغة العربية، لذلك لابدّ من الاعتماد على مواضع الكتابة بالحروف اللاتينية في تحديد مواضع القبائل ولهجاتها.

٤) اختلاف الخريطة رقم ٦ ص ١١٥عن الخريطة الأساس؛ إذ ذكرت فيها قبائل ومواضع جديدة هي: نجد، قيس، أسد، غني، نمر. و تتكرّر هذه الأسماء في خريطة رقم ٧ص ١١٧، ٨ ص ١٢٤، ٩ ص ١٣٤.

في حين يُضاف إليها في الخريطة رقم ١٠ ص ١٣٦ عدي. وتختلف الخريطة رقم ١١ص ١٤٩ بإضافة أسماء مواضع لغات سامية كُتبت في الخريطة بهذا الشكل "كنعانية"، "آرامية"، وفي الخريطة رقم ١٢ ص ١٩٥ تُضاف أيضاً "العربية الجنوبية الحديثة"، وفيما مضى خلط بين مسمّيات لغات ومسمّيات قبائل ومسمّيات لهجات.

٥) تعدّدت طرق الإشارة إلى السّمات اللهجية في الخرائط، وإن اعتمدت في أغلبها على تظليل المواضع، ففي بعض الخرائط كالخريطة رقم ٩ ص ١٣٤ تُذكر أسماء القبائل والتظليل المميز للهجة، كما تُذكر صيغة اللهجة في الخريطة. أمّا في خرائط أخرى، فتُظلّل مواضع القبائل فقط، كالخريطة رقم ٧ ص ١١٧.

وتتميز الخريطة رقم١٧ ص ٣٣٤، إضافة إلى ذكر أسماء القبائل وذكر هيئة النطق اللهجية، بوضع خط فاصل بين القبائل يقسمها إلى نصفين وهنا تتجلّى قيمة الخريطة في توخّي الدّقّة لتمييز موضع اللهجة.

ثانياً: الملحوظات التفصيلية

من أهم الملحوظات على الخريطة الرئيسة في ص٥ التعميم غير الصحيح في وصف منطقة الدراسة **بـ"منطقة اللهجات العربية الغربية"**، ففضلاً عن كون التظليل يدلّ على دخول لهجة أزد عمان فيها، فإن الخريطة تُدخل جزءاً كبيراً من وسط الجزيرة العربية كأعالي نجد وطيء في منطقة اللهجات العربية الغربية.

وذلك غير دقيق؛ إذ الأولى أن تُقسّم المناطق اللهجية الرئيسة في جزيرة العرب تقسيماً مكانيا ثابتاً، وتقسيماً زمانياً متغيّراً.

فالتقسيم المكاني الثابت يجعلها في ثلاثة أجزاء كبرى هي:

منطقة لهجات جنوبي الجزيرة العربية، ومنطقة لهجات وسط الجزيرة العربية وشرقيها، ومنطقة لهجات غربي الجزيرة وهذه الأخيرة تبدأ من الطائف جنوباً، وتشمل معظم القبائل القيسية والكنانية.

أمّا التقسيم الزّماني المتغيرّ، فينظر إلى هجرات القبائل العربية وغزواتها. و مثل هذه الخرائط لابد تشير، على سبيل المثال، إلى انتقال الأزد إلى يثرب وأثر ذلك الانتقال، وتشير إلى سُكنى كثير من القبائل اليمنية القديمة من ثموديين ولحانيين ومعينيين وغيرهم في المنطقة الممتدّة من شمالي يثرب إلى جنوبي دمشق، وتشير أيضاً إلى انتقال قبيلة طيء إلى شمالي نجد وتكوينها جزيرة لغوية فريدة في ذلك الموضع، كما تشير إلى خروج قبيلتي بكر وتغلب من تهامة إلى نجد ثم شمالي نجد، وانتقالهما بعد ذلك إلى العراق.

إنّ نظام تلك الخرائط الزمانية يبدو في خطوط تتّجه دائماً ناحية الشمال، كما يظهر أن معظمها هجرات يمانية اختلطت بفرعي اللهجتين الغربي والشرقي.

أمّا **مواقع القبائل** التي وقع فيها الخطأ في خريطة رابين، فهي في قبيلة ضبة[١] ومثل ذلك يتحقق في قبيلة حنيفة التي وضعها في الشمال الشرقي، لنجد بالقرب من كاظمة "الكويت" الآن مع أن المواطن الرئيسة لهذه القبيلة في اليمامة في وسط نجد في واديها المشهور باسمها.[٢]

ثم إنه وضع قبيلة تسكن شمالي المدينة تُدعى "سعد" ولم يوضح المقصود بها، فإذا كان يقصد بها سعد بن بكر، كما يوحي كلامه من ذكر سعد بن بكر بعد المدينة.[٣] وتؤكده الخريطة الموضوعة في ص٧٠ لتمييز التوزيع الجغرافي لكل من (أعطى) و (أنطى)، فذلك خطأ بيِّن الخطأ؛ إذ سعد بن بكر من القبائل القيسية التي تعيش في جنوب شرقي مكة وفي جبال السراة المطلّة على نخلة اليمانية بالقرب من الطائف.[٤]

وبذلك يتّضح اتصال لهجة الاستنطاء بين مجموعة من القبائل المتجاورة من اليمن إلى أزد السراة إلى القبائل القيسية، خصوصاً سعد بن بكر إلى قريش، ثم الأنصار الذين، وإن بعدت ديارهم عن القبائل السابقة، إلا أن رجوعهم في النسب إلى الأزد هو السبب في وجود هذه اللهجة فيهم.[٥]

ومن أخطاء كتابة أسماء القبائل في اللغة الإنجليزية قبيلة "PAL" التي ترجمها د.عبد الرحمن أيوب إلى "بالي"، وليس هناك قبيلة عربية بهذا اللفظ البتَّة. مع أنّ المستشرقين درجوا على جعل شرطة على A لتدل على أنها فتحة طويلة (ألف)، وليست فتحة قصيرة. أمّا النطق الصحيح فهو "بَلِيّ" بفتح ثم كسر.

---

(١) انظر: الموقع الصحيح لهذه القبيلة في ص ٦٩-٧٠.

(٢) انظر: معجم البلدان، ج ٤، ص ١١٦ (العرض).

(٣) اللهجات العربية الغربية القديمة. حاييم رابين، ترجمة . د عبد الرحمن أيوب، ص ٦٩.

(٤) انظر:

- معجم البلدان، لياقوت، ج١، ص ٥٩٩ (البوباة).

- تاج العروس، للزبيدي، ج٩، ص ٣٠٦ (قرن)، حيث ذكر من مواطنهم قرن الحبالى وأنه واد يجئ من السراة لسعد بن بكر.

(٥) انظر: لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبدالكريم، ص ٦٥، و ص ٣٠١، وص ٣٠٤.

ولأجل تحرّي الدّقة في نسبة اللهجات العربية القديمة ينبغي استقصاء كثير من المصادر اللغوية وغير اللغوية، وتتضح أهمية هذا الأمر حين نرى رابين ينسب إلزام المثنّى الألف إلى سفيان بن أرحب من همدان اعتماداً على الهمداني، مع محاولة تأويل المثال الوارد عنهم ... وهو "رأيت أخواك" ...[١]، ولكن نصّ الهمداني في الإكليل ينسبها إلى همدان وما جاورها، وهذا هو نصّه في الإكليل: "ومن قصور بلد همدان قصر نوفان بن أبتع بخيوان، وفيه يقول فروة بن مسيك المرادي:

والله لـــــولا معمـــــر وســـــلمان وابنـــا عـــرار ووفيـــا همـــدان
إذن تواردنـــــا حـــــوالا نوفـــــان يحملننـــــا وبيضـــــنا والأبـــــدان

حوالا لغة همدان ومن جاورها تقول: "حلّ قيد بعيراك، وخذ ديناراك"

وفي هذا النص أكثر من فائدة لهجية: أولها ورود أمثلة غير المثال الذي حاول رابين تأويله ...، وثانيها: التصريح بأن هذه اللغة لهمدان **ومن جاورها**، وبذلك تبدو أهمية الجوار في التقارب اللهجي ملحوظة حتى عند القدماء.

أمّا ثالث هذه الفوائد، فهي أن قائل البيتين ليس من همدان بل هو من مراد المذحجية، وهي مجاورة لهمدان.[٢]

ومن البعد عن الدّقة في تحديد مواضع القبائل العربية ما نجده في الخريطة نفسها من تحديد موضع قبيلة مذحج مكتوباً في هذه الخريطة باللاتينية وفي بعض الخرائط المنسوخة عنها كالخريطة في ص ١١٥ مكتوباً باللغة العربية.

(١) انظر: اللهجات العربية الغربية القديمة، ص ١٣٠، وانظر صفة جزيرة العرب، للهمداني، ص ١٣٤.

(٢) مازالت بقايا هذه اللهجة تنتشر انتشاراً واسعاً في القبائل البدوية ذات الأصول اليمنية حيث تمتد من اليمن إلى جنوبي نجد، وتكاد أن تنتشر حتى في وسط نجد عند كثير من القبائل البدوية ذات الأصول العدنانية، ويبدو من الأمثلة المتبقية مثل "السلام علاكم" الدالة بمعنى النطق ... أنّ هذه اللهجة لا تختص بإلزام المثنى للألف، بل هي نوع من رفع الياء إلى ناحية الألف مع النطق بها ألفاً مفخمة. أي أنها الظاهرة المقابلة للإمالة تماماً، وقد خفي هذا الأمر عن أغلب الدارسين.

وقد وضعت قبيلة مذحج في هذه الخريطة في مابين بلحارث من الجنوب وخثعم من الشمال، ومراد شرقاً مع أنّ مراد جزء من مذحج كما أن بلحارث هي جزء من

قبيلة مذحج أيضاً[١]، ولكن التحديد الأدقّ لموضع هذه القبيلة الكبيرة يشمل أجزاء واسعة من جنوبي الجزيرة العربية صعوداً إلى جنوبي نجد. فنجدُها في تهامة من وادي مور إلى وادي بيش ويخالطها الأشعريون وعك وكنانة، وفي سروها تخالط (ذو رعين) وحِمْير، وكذلك في حضرموت. أمّا قبائل همدان، فتخالط مذحجاً في الجوف والمنطقة الممتدّة من الجوف إلى نجران وفي نجران كذلك، وتخالط مذحج في سراة جنب وسنحان قبائل خولان وشهران وخثعم وبنو عامر، وتخالط في شمال حضرموت وفلاة صيهد نهداً وجرماً وكندة وبعض عامر بن صعصعة. وعموماً، فإنّ جمهور بلاد مذحج يمتدّ من حضرموت وشمالي الجوف إلى تبالة وبيشة وعقيق عقيل (وادي الدواسر)، وتستعرض بلادها حتى تصل إلى أعراض نجد.[٢]

ومن تلك الأخطاء عند رابين أيضاً توزيع اللاصقة للغائب المذكر، ثم رسمها في خريطة لهجية[٣]، وقد أَرجع تسكين الهاء ونقل حركتها إلى الحرف الذي قبلها إلى قبيلة عنزة مستشهداً ببيت من الرجز وهو قوله:

عجبت والدهر كثير عجبه من عنزي سبّني لم أضربُه

---

(١) انظر:

– جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار المعارف، مصر، ط الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ج٢، ص ٤٧٦–٤٧٧.

(٢) انظر:

– شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي (سنة ١٣٢هـ) جمعاً وتحقيقاً ودراسة، تأليف د. محمد بن عبدالله منور آل مبارك، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م، منشورات نادي جازان الأدبي ص ٢٧–٣٣.

(٣) انظر:

– اللهجات العربية الغربية، ص ١١٢.

وقد ذكر سيبويه هذا البيت في هجاء عنزة، ولا يعقل أن قائله هو من عنزة ناهيك أنه منسوب في كتاب سيبويه إلى زياد الأعجم [١]؛ ممّا ينفي نسبة هذه اللهجة إلى عنزة بتاتاً

والحقيقة أنّ معظم التحديدات في كتاب رابين– سواء في الخرائط أم في صلب الكتاب– لابدّ من إعادة النظر فيها.

ويجب كذلك الحذر عند ورود بعض المصطلحات الحديثة في بحث رابين التي لم يكن يعرفها العرب مثل تحديده لقبيلة (ضبة) أنها في الشمال الغربي من الربع الخالي[٢]، فلم يكن مصطلح الربع الخالي معروفاً في الجاهلية والعصور الإسلامية القديمة، وإنما أطلق عليه هذا الاسم في العصور المتأخرة.

المثال الثالث: الأطلس اللغوي في اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي

يكاد هذا الأطلس يشترك في كثير من أخطاء مواقع القبائل العربية مع إبراهيم أنيس ورابين؛ يدرك الباحث ذلك إذا نظر إلى الخريطة الأساسية في هذا الأطلس التي جرى على ضوئها التوزيع اللهجي في خرائط الأطلس كآفة، وعددها ٣١ خريطة، وتلك الخريطة كالتالي:

---

(١) انظر:

– الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ م، ج ٤، ص ١٧٩–١٨٠.

(٢) انظر: اللهجات العربية الغربية ص ١٢٦.

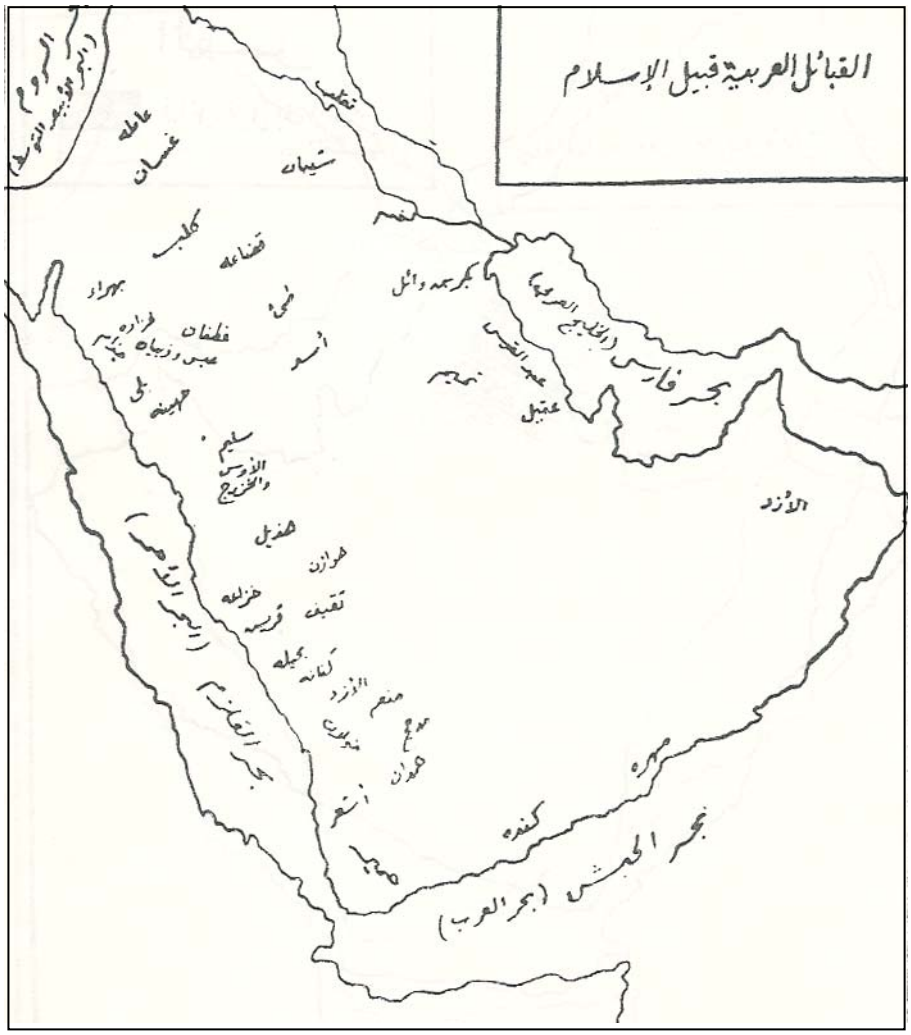

ويُلحظ على هذه الخريطة إضافة إلى التحديد المكاني أن عنوانها كان تحديداً زمنياً للمواقع، إذ حُدّت بما قبل الإسلام، وهذا أمر حسن ينحو إلى الدقّة وهو لا يتوافر في المثالين السابقين، ولكن مواقع بعض القبائل لم تكن بتلك الدقّة المتوخّاة:

فمن القبائل القيسية المهمة والتي أخذ عنها اللغويون كثيراً قبيلة عُقيل، ولأهمية هذه القبيلة ينبغي تحديد موقعها بدقّة، ولكن موقعها في هذه الخريطة التي يعتمد عليها الأطلس اللغوي كاملاً يُعدُّ خطأ كبيراً؛ إذ وُضعت في شرقي الجزيرة العربية على سواحل الخليج جنوبي قبيلة عبد القيس، وهذا يجعل هذه القبيلة القيسية مجاورة لقبائل ربيعة في هذه الناحية من جزيرة العرب.

والصحيح أنّ قبيلة عُقيل كانت تسكن في الجنوب الغربي لنجد، وكانت من القبائل القيسية المجاورة للقبائل اليمنية. (١)

كما يُلحظ على هذه الخريطة عدم اشتمالها على بعض القبائل القيسية المهمة في وسط الجزيرة العربية كقبائل بني عامر وكلاب وباهلة وغني، بل إن مسمّى (قيس) على أهميته لا نجده فيها. ويُلحظ كذلك خلوّها من قبيلة ضبة، وقبائل الرِّباب.

فإذا انتقل الدّارس إلى خرائط الأطلس اللغوي المرفقة، وهي ٣١ خريطة تعتمد على الخريطة السابقة، فإنّها تزيد مواضع اللهجات غموضاً؛ لأن الاعتماد فيها كان على طريقة التظليل دون ذكر أسماء، وبعض مواضع تلك التظليل كانت في مواضع خالية في الخريطة الرئيسة، إضافة إلى أنّ طريقة ضبط حدود تلك الأماكن المظلّلة، ورسم أشكال التظليل المختلفة لم يكن مبنياً على أساس منهجي واضح.

---

(١) انظر ص ٧٠.

وهذا أنموذج من تلك الخرائط.

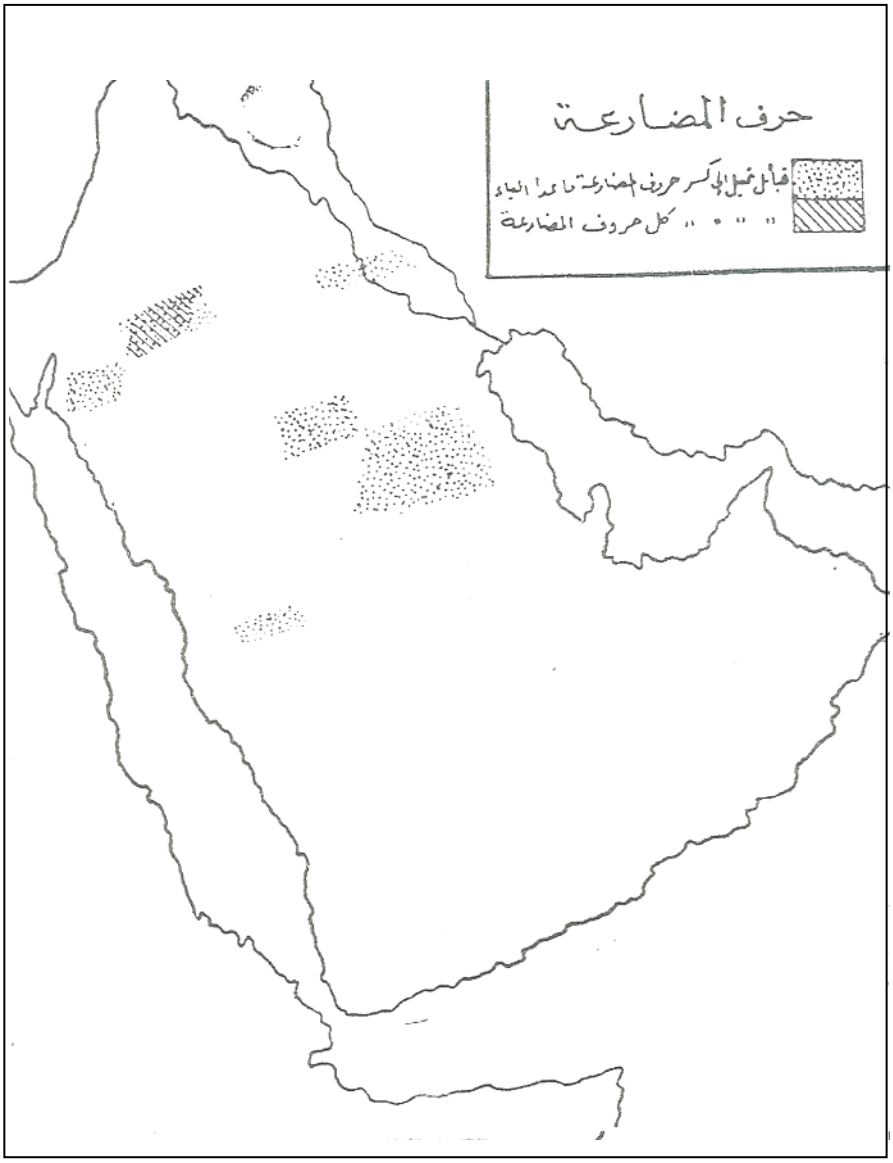

وبمقارنة هذه الخريطة بخريطة رابين حول هذه الظاهرة الموجودة في ص ٢٨ من هذا البحث يتّضح أن هذه الخريطة تنحو ناحية الغموض، وعدم التحديد الدقيق للخط الفاصل بين اللهجات، فضلاً عن غياب تفاصيل أهم القبائل التي تنطق بهذه اللهجة إذا قُورنت هذه الخريطة بالخريطة الأولى الأساسية.

ثم لو عقدت مقارنة أخرى للظاهرة في خريطة رابين، لرأينا ترجيحه أن تشترك أسد مع قريش في هذه الظاهرة المقصود بها أزد.[١] وتلك القبائل متّصلة البلاد مع أزد السراة.

أمّا تحديدات هذه الخريطة، فلا وجود فيها البتة لتحديد يمثّل أزد السراة، فضلاً عن إغفال تحديد كسر حرف المضارعة لقبائل قيس التي تعيش في عالية نجد. بل إن التحديد الموجود على الخريطة لفتح حرف المضارعة هو في عالية نجد، وليس في الحجاز

ممّا يشكّل إرباكاً ولبساً لقارئ الخريطة، بل الخرائط أجمع التي وُضعت في هذا الأطلس اللهجي.

المثال الرابع: الخرائط اللغوية في بحث الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية، للدكتور قباري محمد شحاتة.[٢]

يُعدُّ هذا البحث من أحدث البحوث اللهجية التي اعتمدت في تحديد مواقع القبائل العربية على الخرائط اللغوية في بعض كتب اللهجات المشهورة.

---

(١) انظر: اللهجات العربية الغربية، ص ١١٨.

(٢) مجلة علوم اللغة، المجلد السادس، العدد الثالث، ٢٠٠٣، ص ٨٣ – ٢٠٨. وقد كان هذا البحث من أقوى الدوافع على إنجاز هذه الدراسة عن تحديدات مواقع القبائل العربية؛ إذ على الرغم من الأخطاء التي كانت كثيراً ما تلفت النظر إليها، وكان يرصدها الباحث في الخرائط في البحوث اللهجية عموماً، إلا أن استمرارها وتوارثها حتى في البحوث الحديثة جعل من اللازم التنبيه على تلك الأخطاء، وخطر أثرها في الدرس اللهجي.

فقد اعتمد في توزيع قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها على استنساخ الخريطة الرئيسة في كتاب اللهجات العربية الغربية لرابين التي سبقت الإشارة إلى ما فيها من ملحوظات.

وقد اعتمد قباري محمد شحاتة على تقسيم رابين للقبائل العربية؛ ومن ثم فقد أدخل في بحثه بعض القبائل العربية التي تسكن العراق، واعتمد أيضاً فصل قبائل قيس لجعل بعضها في اللهجات العربية الغربية وبعضها في وسط الجزيرة. وتقسيم رابين لم يعتمد على تحديد دقيق لمواضع القبائل القيسية، كما لا يظهر منه أنه اعتمد على خصائص لهجية معينة تفرض هذا التقسيم.

والأمر ذاته مع قبيلة طيء التي تسكن في شمالي نجد، فقد أخرجها رابين اعتماداً على تفرّدها بخصائص لغوية معينة، ولم يضع اعتباراً للمكان وللقبائل المجاورة لطيء والمتحالفة معها كقبيلة أسد.

ويلحظ أن قباري محمد شحاته قد نقل خريطة رابين بتحديد أزد عمان وهم من القبائل التي تسكن في شرق الجزيرة العربية وجنوبيها الشرقي، ولم يشر إلى موقفه من هذه القبيلة، وهل هي فعلاً ضمن نطاق اللهجات العربية الغربية؟

ولكن د. قباري لحظ على خريطة رابين خلوها من ذكر قبيلة ربيعة[١] حيث أثبت أن هذه القبيلة تسكن في وسط الجزيرة العربية وشرقيها.

ولكن النقد الموجَّه إلى رابين غير صحيح على إطلاقه؛ لأنه ذكر في خريطته أهم قبيلتين من قبائل ربيعة وهي حنيفة وعبد القيس[٢] التي لم يشملهما بحث د. قباري بأيَّة دراسة، أو حتى إشارة إلى خلوّ القراءات القرآنية من خصائص صوتية تنسب إلى هاتين القبيلتين.

---

(١) انظر المرجع السابق: ص ٨٧.

(٢) انظر في رجوع هاتين القبيلتين إلى ربيعة:

. جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، ص ٢٩٥، وص ٣٠٩.

وإضـافة إلـى ذلـك يمكـن أن يـدرك الباحـث أن معرفـة اللهجـات العربيـة وتصنيف خصائصها لا يكفي فيه تحديد مواضعها فحسب، بل يجب الإلمام بعلم الأنساب لمعرفة أصول تلك القبائل وفروعها، فعلى سبيل المثال عند نسبة إحدى الخصائص الصوتية في هذا البحث جعلها الباحث كما يقول: " عند ثلاث قبائل: قيس، أسد، عقيل"[1] وكان يجب أن يُشار إلى أن قبيلة عقيل هي جزء من قبيلة قيس؛ لكي تتّضح حدود الظاهرة وأسبابها.

(١) الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية، للدكتور قباري محمد شحاتة، مجلة علوم اللغة، المجلد السادس، العدد الثالث ص ١٩٨، وانظر: ص ١٥٤.

خاتمة

وبعد فإنّ بين يدي الباحث مجموعة من كتب اللهجات الأخرى التي لا تختلف كثيراً في بعدها عن الدقّة والتحرّي في ضبط مواطن القبائل العربية في جزيرة العرب عن الأمثلة الأربعة المساقة في هذا البحث، بل يتعدّى الأمر ذلك إلى بعض البحوث التأريخية والأدبية.(١)

ولذلك لابدّ من استقصاء دقيق لمواضع القبائل العربية وتنقلاتها، في الجاهلية، ثم في الإسلام إلى منتصف أو أواخر القرن الرابع الهجري حيث ينتهي عصر الاحتجاج الذي حدّده القدماء لتلك القبائل، ليس ذلك فحسب، بل لابدّ من معرفة مضبوطة بأنساب تلك القبائل، وتحديد المواضع التي كان جمهورها يسكنها، والمواضع التي سكنتها بعض فروعها، أو بطونها.

كل ذلك لا غنية عنه لمعرفة ما حدث من تطور، أو تغيّر في لهجات القبائل العربية القديمة، وعلاقة كل ذلك باللغة العربية الفصحى المشتركة، فضلاً عن ضبط نتائج الدراسات اللهجية، وإمكان توزيع اللهجات العربية القديمة إلى نطاقات، أو بيئات لهجية صحيحة.

---

(١) انظر على سبيل المثال:

. اللهجات العربية في التراث لأحمد علم الدين الجندي ١/ ٣٥.

ـ الأضداد في اللغة لمحمد حسين آل ياسين، مطبعة دار المعارف، بغداد، ط الأولى ١٩٧٤م /١٣٩٤ هـ، ص٦٦٤.

. شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، الدكتورة وفاء فهمي السنديوني، ص ٢٩-٣٠.

ـ مجتمع المدينة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم–، د. عبد الله عبد العزيز بن إدريس، جامعة الملك سعود، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٢٧٦.

ـ أطلس الخليفة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه–، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٤٥.

ولا جرم أن ضبط مواقع لهجات القبائل العربية يعين في تتبّع التطوّر التأريخي للغة العربية صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، و يساعد كذلك في رسم أطلس لغوي جغرافي لتلك اللهجات.(١)

وعلى ذلك فإنّ من فوائد تحديد مواقع القبائل العربية تحديداً دقيقاً، أنّه يمكن في ضوئه دارسة أثر البيئة في اللهجة، ودراسة أثر تجاور القبائل العربية، كما يمكن التأكّد من صحة رأي اللغويين القدماء في الأخذ عن بعض القبائل دون بعضها الآخر حينما قعّدوا للغة العربية المشتركة، علاوة على وصول الدرس اللهجي إلى غايته القصوى، بتصنيف اللهجات العربية القديمة إلى بيئات لغوية واضحة المعالم يُؤخذ فيها بأثر المكان والزمان والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والدينية في تمييز تلك البيئات.

ويمكن في مختتم هذا البحث، التقدّم بالاقتراحات التالية التي ربما يكون فيها عون على تحرّي الدّقة في ضبط مواضع اللهجات العربية القديمة:

أمّا الاقتراح الأول: فهو إعادة رسم الخرائط اللهجية مع الاهتمام بالمكان أكثر من الاهتمام بالقبيلة؛ إذ إنّه من المقرر أنّ كثيراً من القبائل العربية قد غيّرت مواطنها أكثر من مرة خلال عصر الاحتجاج اللغوي الممتد من قبل الإسلام إلى منتصف القرن الرابع الهجري

ويتمثّل الاقتراح الثاني في متابعة العلماء الذين اهتموا بالأخذ والرواية عن الأعراب في عصور الاحتجاج اللغوية، وتصنيفهم في فئات على حسب الفترة

---

(١) انظر: الأطلس اللغوي الجغرافي في علاقة اللهجات العربية بلهجة أزد السراة في:
لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، رسالة ماجستير مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، ١٤٢٠ هـ /٢٠٠٠م، النسخة المخطوطة. وللأسف لم يُطبع هذا الأطلس حينما طُبعت الرسالة في طبعتها الأولى لظروف طباعية خاصة بالناشر. وقد احتوى هذا الأطلس على اثنتين وثلاثين خريطة.

الزمانية، فبعضهم يكون في منتصف القرن الثاني الهجري من ١٥٠هـ . ٢٠٠ هـ، وبعضهم يكون في النصف الأول من القرن الثالث الهجري من ٢٠٠ـ ٢٥٠ هـ، وآخرون يكونون في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري من ٢٥٠ . ٣٠٠ هـ، والفئة الأخيرة تكون في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ٣٠٠ . ٣٥٠ هـ.

وتجري في أثناء ذلك محاولة لتحديد موضع القبيلة التي أخذ منها، ثم تجري مقارنتها بموطن الاحتجاج اللغوي المكاني في تلك الفترة وما حدث فيها من متغيرات سكانية أو اجتماعية أو لهجية.(١)

هذان الاقتراحان لمن يريد تأصيل اللهجات العربية في عصر الاحتجاج اللغوي.

أمّا أولئك الدّارسون للهجات العربية بإطلاق، فينبغي عليهم تحديد الموطن الأصلي للقبيلة، وتحديد القبائل المجاورة لها، ثم معرفة ما طرأ على تأريخ القبيلة من تغير في مسميات بعض بطونها، ومعرفة ما جرى لها من تنقلات في أثناء تركها لموطنها الأصلي أو ترك بعض أجزائها لذلك الموطن؛ إذ إن أكثر القبائل العربية قد انفصلت عنها بعض فروعها في أماكن لا تتصل بموطنها الأصلي. يلي ذلك القيام بصنع مقارنة لهجية للقبيلة الواحدة تأخذ في الاعتبار عامل المكان والزمان للوصول إلى نتائج لهجية مضبوطة تعين على التصوّر التأريخي للغة العربية الفصحى، ولن يتم ذلك على صورة أقرب للعلمية ما لم يُنجز أطلس اللهجات العربية القديمة.

قائمة المصادر والمراجع

---

(١) وقد فطن القدماء إلى أهمية التفاوت في الأخذ عن الأعراب حيث افتخر البصريون في نهاية القرن الثاني الهجري وما يليه على الكوفيين في الفترة ذاتها أنهم أخذوا اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، في حين أخذها الكوفيون عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ.

انظر: الإصباح في شرح الاقتراح للسيوطي، تحقيق محمود فجال، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، ص ٤٢٣–٤٢٤.

ـ أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة د. أحمد مختار عمر، الطبعة الثانية،١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م، عالم الكتب، القاهرة.

ـ الاشتقاق، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط الثالثة، بدون تأريخ، مكتبة الخانجي، القاهرة.

–الإصباح في شرح الاقتراح للسيوطي، تحقيق محمود فجال، دار القلم، ط الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دمشق.

ـ الأضداد في اللغة لمحمد حسين آل ياسين، مطبعة دار المعارف، ط الأولى ١٩٧٤م /١٣٩٤، بغداد.

. أطلس الخليفة أبي بكر الصديق –رضي الله عنه–، سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، مكتبة العبيكان، الرياض.

ـ أطلس المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية،١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض.

– الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار عزالدين للنشر والتوزيع، مصورة عن طبعة بولاق، بدون تأريخ.

ـ الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني، تحقيق: محمد علي الأكوع، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء.

ـ الأنساب، لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، وزارة التراث القومي والثقافة، عُمان.

. الأمكنة والمياه والجبال، لجارالله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق إبراهيم السامرائي، ١٩٦٨م، بغداد.

. باهلة القبيلة المفترى، حمد الجاسر، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ-١٩٩٠م، منشورات دار اليمامة للبحوث والترجمة والنشر، الرياض.

. بلاد العرب، الحسن بن عبدالله الأصفهاني، تحقيق حمد الجاسر و صالح العلي، ط الأولى ١٣٨٨هـ، منشورات دار اليمامة للبحوث والترجمة والنشر، الرياض.

. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط الأولى ١٣٠٦ هـ، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر.

ـ التعليقات والنوادر لأبي علي الهجري، تحقيق: حمد الجاسر، ط الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الرياض.

ـ التوزيع الجغرافي الصحيح لنطق الجيم ياء، جمعان عبدالكريم، جريدة البلاد السعودية، ملحق التراث، ع ١٦٢٢٩٤، س ٧٠، ١٤٢١/١٠/٢٣هـ، الموافق ٢٠٠١/١/١٨م.

ـ جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، تحقيق: عبدالسلام هارون، ط الثالثة ١٣٩١هـ/١٩٧١م، دار المعارف، مصر.

ـ جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط الأولى ١٣٤٤هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد – الهند.

ـ الخصائص الصوتية لقبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها من خلال القراءات القرآنية، للدكتور قباري محمد شحاتة، مجلة علوم اللغة، المجلد السادس، العدد الثالث، ٢٠٠٣.

ـ دراسات في لهجات شرق الجزيرة العربية، ت .م. جونسون، ترجمة د. أحمد محمد الضبيب العربية، مطبوعات جامعة الرياض، ١٣٩٣هـ، الرياض.

ـ ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق: عزة حسن، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، دمشق.

. ديوان عبيد بن الأبرص، دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، بيروت.

ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبدالمنعم الحميري، تحقيق: إحسان عباس، ط الثانية، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت.

. سبأ بين التأريخ والنص القرآني، الأستاذ رابح لطفي جمعة، مجلة الدارة، ع٢، س ١٧ (محرم وصفر وربيع أول ١٤١٢هـ).

. السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار القلم، بدون تأريخ، بيروت.

ـ شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، دار الفكر، بدون تأريخ، بيروت.

ـ شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق وفاء فهمي السنديوني، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الرياض.

. شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي (سنة ١٣٢هـ) جمعاً وتحقيقاً ودراسة، تأليف د. محمد بن عبدالله منور آل مبارك، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م، منشورات نادي جازان الأدبي، جازان.

ـ الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق السيد أحمد صقر، ١٩٧٧م، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

ـ صفة جزيرة العرب، للحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، تحقيق: محمد علي الأكوع الحوالي، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المشهور بتاريخ ابن خلدون، ١٩٨١م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

- فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

- في اللهجات العربية، الدكتور إبراهيم أنيس، الطبعة الثامنة، ١٩٩٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

. الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير، ط الثانية، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت.

. الكتاب لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م، دار الكتب العلمية بيروت . مكتبة الخانجي بالقاهرة.

. اللغة العربية في عصور ما قبل الإسلام، أحمد حسين شرف الدين، ط الثانية ١٤٠٥هـ، مطابع الفرزدق، الرياض.

- اللغة والمجتمع، الدكتور علي عبد الواحد وافي، ١٩٧١م، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.

. لهجة أزد السراة في عصر الاحتجاج اللغوي، جمعان عبد الكريم الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، نادي جازان الأدبي، جازان.

. اللهجات العربية الغربية القديمة، حاييم رابين، ترجمة عبد الرحمن أيوب، ١٩٨٦ م جامعة الكويت، الكويت.

ـ اللهجات العربية بحوث ودراسات، جمع وإعداد ثروت عبد السميع، ومراجعة د. محمد حماد، وإشراف د. كمال بشر، ٢٠٠٤ م، القاهرة.

ـ اللهجات العربية في القراءات القرآنية، د. عبده الراجحي، ١٩٩٥م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

ـ اللهجات العربية في التراث، الدكتور أحمد علم الدين الجندي، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا.

. اللهجة العربية في خوزستان، محمد شكيب أنصاري، مجلة الدراسات اللغوية مج ٥ ع ٤ (شوال /ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ يناير . مارس ٢٠٠٤م).

ـ مجتمع المدينة في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم–، د. عبد الله عبد العزيز بن إدريس، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، جامعة الملك سعود، الرياض.

. المحبَّر، لأبي جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي، تحقيق: الآنسة إيلنزة لختن شتيدر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٧٢م، دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور، باكستان.

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، ط الثانية، ١٩٧٣م، دار الأندلس، بيروت.

. المزهر في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، الطبعة الثالثة، بدون تأريخ، دار التراث، القاهرة.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، بدون تأريخ، المكتبة العلمية، بيروت.

. معجم البلدان، ياقوت بن عبدالله الحموي، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، بدون ت، دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (بلاد القصيم)، محمد ناصر العبودي، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (شمال المملكة)، حمد الجاسر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٨م منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

- المعجم الجغرافي للبلاد السعودية (عالية نجد)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، ط الأولى، ج١، ١٩٤٥، ج٢، ١٩٤٧، ج٣ ١٩٤٩، ج٤ ١٩٥١م، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ١٩٦٨-١٩٧١م، ساعدت جامعة بغداد على نشره، بيروت.

شَعْرَنــة الحياة:

دراسة في بـعض أسجاع العرب الاجتماعية

د. عبدالله بن سليم الرشيد

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية اللغة العربية– قسم الأدب

مدخل:

في نثر العرب آثار لم يُلتَفت إليها، مع كثرة ورودها في كتب المتقدِّمين، وتردُّدِ أغلبها على الألسنة، ولم يُخضِعها أحدٌ – فيما أعلم– للدراسة الأدبية؛ لأنّها ليست كثيرة، وللجهل بقائليها، وتباعد معانيها في الظاهر، واختلاف مناسباتها.

ومن هذه الآثار أقوالُ ساجع العرب في الأنواء، وهي شائعة مشتهرة، وأقوالُ العرب في أحوال القمر، وأسجاعٌ أخرى أنطقت في بعضها العربُ ما لا ينطق.

وهي أقوال لا يُعرف لها قائل، ولا حُقِّق زمن قولها، لأنَّها متداولة في معجمات اللغة وكتب المعاني، والأغلب أنَّها ممَّا قيل في زمن مبكِّر.

وقد رأيت اتخاذها مادة لهذا البحث، مُدخلاً في نطاقه بعض النصوص النثرية التي لم تُنسَب إلى قائل معيَّن، بل تأتي في سياق (قالت العرب)، أو (العرب تقول)، شريطة أن تكون مسجوعة.

وقد وصفتُها بـ (الاجتماعية)؛ لوثيق علاقتها بأحوال المجتمع العربي، من حيث إنّها تصوِّر أنماطاً من التفكير، وألواناً من وسائل العيش، وطرق التواصل.

وقد جعلت هذه الدراسة في أقسام أربعة، بادئاً بدراسة ما قيل في الأنواء، مثنّياً بدراسة أسجاعهم في أحوال القمر، مُردِفاً بدراسة أسجاع على ألسنة الحيوان، ثم بدراسة أسجاع أخرى متفرِّقة، خاتماً ببيان ما يجمع بين هذه الأسجاع من حيث المعاني والأداء.

١- أقوال ساجع العرب في الأنواء:

١-١ قال أبو حنيفة الدينوري مبيّناً أسباب ما قالوا من السجع في الأنواء، رابطاً إياه ببعض أحوالهم: "وقد سَجَعَت العرب في النجوم أسجاعاً بما أدركوا من طول تجربتهم، أحكم علمَها الماضي، وقد ورِثَها الباقي، فسارت متواترة محفوظة، وهي من أشدِّ الأمم تفقّداً لذلك وعناية به؛ لأنَّ جُلَّهم قُطّانُ بَوادٍ...تُبّاعُ غيث، قليل على غيره تعويلُهم، فأبصارهم إلى السماء طامحة، وبنواحيها مُوَكَّلة، يطبِيهم البرقُ إذا لمع، والغيث إذا وقع، والماء إذا نقع، ويُظعِنُهم الحرُّ إذا وهَج، ويُجهِدُهم البردُ إذا ركد، فهم بين نجعة وحضور، لهم في كلِّ ريح تُهب، وكوكب يطلع، ونجم ينوء، أمرٌ مُسْهِر أو مُنِيم"(١).

وفي كلام بعض اللغويين على هذه الأسجاع لهجة تُعلِي قيمتها، وتُبرِز ما تنطوي عليه من قِيَم في المعاني والأداء، يقول الأبهري: "واشتدَّت عنايتهم بما يحدث في الجو من حرّ وبرد ومطر، وما يتجدَّد في الأرض من طلوع نبت وبلوغه، وهَيْجه ويُبْسه، وما يلزم من العمل والسعي... فوصفوا ذلك عند طلوع كل نجم، بكلام مسجَّع، يأثِره قرن عن

(١) ربيع الأبرار ٥٧/١. وقد جعلت أقوال ساجع العرب في الأنواء ملحقاً أول بهذا البحث.

قرن، ويرويه فيما بينهم خلَف عن سلَف، ويدرسونه حتى يعرفه الصغير والكبير، وفيها غريب ومعانٍ تدخل في اللغة، لا يعرفها إلا العلماء بها"[٢].

١-٢ ويستوقف الناظر في هذه الأسجاع، أنَّ من روَوْها نسبوها إلى (فقيه العرب)، وأحياناً إلى (ساجع العرب).

وفي التعبير عن قائلها أو قائليها بـ (فقيه) تنويهٌ بما حوت من المعاني الدّقاق، التي يحتاج الناس إلى معرفتها، فليس القائل امرأ لا يدرك مواضع القول ومعانيه، بل هو (فقيه)، ينبغي أن يُؤخذ كلامه مأخذ التسليم.

أما التعبير عنه بـ(الساجع)، ففيه التفات إلى الأسلوب أو النمط الذي اختير لتكون منسوجة عليه؛ لأنَّها مسجوعة، وتكاد بعض جملها تكون شعراً.

١-٣ إنَّ هذه الأسجاع التي تتناول الأنواء، توجز ما يقع من تغيُّرات في الجو، وما يتبع ذلك من اختلاف في التعايش معها، حتى إنَّها تشمل بعض ما يتعلَّق بالمأكل والمشرب والملبس والمنام.

وإذا صحّ حكم الساجع على مظاهر الطبيعة لأنها ليست مما يُخلِف في العادة، كقوله: "توقَّدت الحِزَّان"، و"لم يبقَ بعُمانَ بُسرة، إلا رُطَبة أو تمرة"، و"حسرت الشَّمسُ القناع، وأشعَلت في الأفقِ الشُّعاع، وترقرقَ السرابُ بكلِّ قاع"؛ فأحكامه على تصرُّف الناس واختلاف سعيهم في معاشهم، أو تدبيرِهم لأمور حياتهم لا يعني تحقّقَ ذلك، بقدر ما هو وصايا ونصائح للتكيُّف مع تقلّبات الجوّ، فقوله: "إذا طلع النجم، اتُّقِيَ اللحم" نصيحة واضحة، وإن لم تكن مباشرة، ومثلها: "تُخُوِّفت السيول".

---

(٢) حدائق الآداب ١٥٥. ويُذكر أن للعرب من العناية بالفلك والأنواء، ما جعل كثيراً من تسمياتهم لها تنتقل إلى بعض اللغات الأخرى. انظر: أسماء النجوم في الفلك الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٥٩، ج١، ٨٩.

ثم يعمد الساجع إلى أمر آخر قد لا يكون ذا صلة وثيقة بالأنواء وتغيّراتها، وهو تقويم طباع الناس، بمدح العمل الحسن وذمّ السيئ ضمناً:

"إذا طلع الشرَطان، استوى الزمان، وخضِرت الأغصان، وتهادت الجيران"(٣). فهو هنا ينعت ظواهر طبيعية، ويُلحِق به ما يُحَسِّن الحياة في نظره: "تهادت الجيران"، وهو بلا شك مرتبط بواقعهم؛ لأنَّ أحوالهم حينئذ تحسُن، فيمكنهم التهادي.

ومثل هذا قوله: "إذا طلعت الطرفة، بكَّرت الخُرْفة، وكثُرت الطُّرْفة، وهانت للضيف الكُلْفة"، فما هذه الجملة الأخيرة – مع انطوائها على البُشرى– إلا حثٌّ على إكرام الضيف الذي له في أدبياتهم شأن معروف، أمَّا قوله: "إذا طلع السِّماك، ذهب العِكاك، وقلَّ على الماء اللِّكاك"، فهو أشبه بالنصح والتقويم للسلوك، إذ يحثّ على إقلال الازدحام على الموارد. وأقول مثل هذا عن قوله: "قصُر النهار للصائم"؛ إذْ يوحي بالحثِّ على انتهاز فرصة قصر النهار بالصيام فيه.

والتوجيه المباشر في هذه الأسجاع قليل جداً، فلم يأتِ إلا في نصٍّ واحد هو قوله: "إذا طلعت الزُّبانى، أحدَثتْ لكلِّ ذي عيالٍ شانا... فاجمع لأهلك ولا تَوانى(٤)". ولعلّ هذه الصّراحة في التوجيه هي التي جعلت قوله: "إذا طلع النجم، اتُّقِيَ اللحم، وخِيفَ السُّقْم" يُنسَب لِـ "بعض أطباء العرب"(٥).

والساجع يعمد في الغالب إلى الشدائد فيحذِّر منها، ويُلفتُ الناس إلى الاستعداد لها. ويقلّ في سجعاته ذكر الخصب والنعمة؛ لأنَّه موقنٌ بحاجة الناس إلى التعريف بالطارئ المُقلق، والإعداد له، أكثر من حاجتهم إلى تعريفهم بما ينعمون فيه.

---

(٣) المزهر ٥٢٨/٢.

(٤) الأصل أن يقول: (ولا توانَ)، ولكنه أبقى الألف ليتحقّق له السجع.

(٥) الأنواء والأزمنة ٨٧.

وأقواله موجزة مكثَّفة، فهو يُومئ إلى المعنى إيماءً، ويدلّ ببعض ما يذكر على آخرَ غيره، فقوله مثلاً: "فلا تغْذُوَنَّ إمَّرةً ولا إمَّرا" مخصوصٌ في ظاهره بالإمَّر[٦]، ولكنه يريد "جميع الغنم، وخصَّ الضأن؛ لأنَّها أعجز عن الطلب من المَعْز، والمعْز تدرك ما لا يدرك الضأن"[٧]. وقوله: "لولا نوء الجبهة، ما كان للعرب رفهة" فيه إيجاز لمعانٍ كثيرة، فنوء الجبهة هو أنفع نجوم السماء، بإذن الله، فمطره نافع للأرض[٨]، والرِّفهة، تشمل الرِّفْه في المأكل والمشرب والملبس ومرعى النَّعَم وغيرها.

وهذه المعاني التي جاءت في كلام الساجع مؤيَّدة ببعض الشعر والرجز، فلبعضهم مثلاً:

إذا سُهيلٌ مغربَ الشمسِ طلعْ فابنُ اللبونِ الحِقُّ والحِقُّ جَذعْ[٩]

وفي الخراتَيْن وغيرهما قال الرّاجز:

إذا رأيت أنجماً من الأسد جبهتَه أو الخراةَ والكتَدْ

بال سهيلٌ في الفضيخ ففسدْ وطاب ألبانُ اللِّقاحِ فبردْ[١٠]

ما يعني أنّها معانٍ شائعة متداولة، يأثِرها خلف عن سلف.

١-٤ أشار البلاغيون إلى أنَّ للمعاني ألفاظاً تشاكلها[١١]، وهو ما يصدِّقه كثير من هذه الجمل، فقد ساير اللفظُ المعنى في هذه السّجَعات، واشتدَّ وقع الألفاظ مع اشتداد المعاني، ورقّ لرقَّتها، مثلما نجد في قوله: "إذا طلع النجم، فالحرُّ في حدْم، والعُشب في

(٦) الإمَّر: الضأن.
(٧) المخصص ١٧/٩.
(٨) انظر: الأنواء والأزمنة ٧٤.
(٩) المخصص ١٦/٩.
(١٠) اللسان (خرت).
(١١) انظر: عيار الشعر ١١، وقانون البلاغة ١٥٠.

حطْم، والعانات في كدْم"، ذلك أن نطق هذه الألفاظ وانسيابها (حدم، حطم، كدم) ليس مثل رِقَّة الألفاظ الماثلة في قوله: "إذا طلع سعد السعود، نضر العود، ولانت الجلود، وكُرِه في الشمس القعود"، ففي النَّصّ الأخير امتداد في النفَس، يوفّره المدُّ عند التلفّظ بـ (العود، الجلود، القعود)، وهو امتداد نفَسِي مريح لناطقه، يتماهى مع ارتياح القائل للمعاني التي يتغيّاها.

ولكن امتداد النفَس بالمدود لا يؤدي إلى راحة المتكلِّم إذا اشتمل النصّ على ألفاظ ليست كذلك، مثلما أجد في قوله: "إذا طلع الإكليل، هاجت الفحول، وشُمِّرت الذيول، وتُخُوِّفت السيول"؛ ذلك أنَّ الأفعال التي تواترت فيه (هاجت، شُمِّرت، تُخُوِّفت)– وبخاصة الأخيران اللذان بُنيا للمجهول، فلم يكن التلفّظ بهما سلِساً– هذه الأفعال اعترضتْ سبيل المدود، فعكَّرت ما توفِّره من راحة للنفَس؛ فكان ذلك أوفر لدقّة التعبير عن المعاني.

ومن مظاهر دقَّة التعبير مجيء التصغير في قوله (طلع النجم غُدَيَّة)، فقد صغَّر الوقت قصداً؛ لأنَّ الحَرَّ يحتدم من أول طلوع الشمس(١٢)، وكذلك التعبير بالفعل (وحوح) في قوله: "وحوح الوِلْدان"، فتكرار الواو والحاء يُشاكل ما يُسمَع منهم عند تشكّي شدة البرد. وهذه الدقَّة تؤيِّد وجهة النظر التي رأت أن الأدب القديم – وبخاصة ما كان شفويّاً– كان أكثر توفيقاً في معالجة اللغة(١٣).

وجرس الألفاظ في الغالب مناسب للمعاني، فالنصّ المذكور سلفاً: "إذا طلع النجم، فالحرُّ في حدْم..."، احتوى (الدَّال)، وهو حرف انفجاري مجهور، و(الحاء والرّاء والعين)، وهي أحرف مجهورة، وجاء تركيب الألفاظ مناسباً لكلمة (النجم) إيقاعياً، وهو ما سمّاه

(١٢) انظر: الأنواء والأزمنة ٨٥.

(١٣) انظر: محاورات مع النثر العربي ٣٥٣.

بعض القدماء (تعادل الوزن)، وهو مستحسن في نظرهم ومطلوب[١٤]، وقد تمثّلت فيها الشِدَّة المرادُ التعبير عنها، فالألفاظ فيه تابعة للمعاني، وهو ما اشترطه بعض البلاغيين للحكم على السجع بالجودة والإحكام[١٥].

وقد حمل المتن اللغوي في أغلب هذه الأسجاع إحساس الإنسان بما في الكون من قوة وطاقة، يعجز تجاهها[١٦]؛ ففيها تعبير بصيغ تدلّ على وقوفٍ حائرٍ لا يستطيع إلا التسليم بالأمر، مثل: "نشف الثرى، وأَجَن الصَّرى"، و"اقشعَرَّ السَّفْر"، و"اشتدّ الزمان"، و"أعجلت الشيخَ البوْلة، واشتدَّت على العيال العَوْلة". إنَّ كلَّ هذه التغيرات تُظهِر عجز الإنسان وضعفه؛ إذ إنَّه يجد بعض آثارها في ماله بل في نفسه، فلا يستطيع إلى دفعها سبيلاً.

١-٥ وحيث إنَّ الساجع محكوم بكلمات لا بدَّ أن يبنيَ عليها أسجاعه، كان مجال الانتقاء عنده ضيّقاً، إذ ليس هو كمن يبتدئ الكلام بما شاء من الألفاظ.

ثم إنَّه بعد ذلك محكوم بمعانٍ لا بُدّ أن يحيط بها، ويستوعبها، فهي مستحوذة على اهتمامه. والاضطرار إلى المعاني في البلاغة أشدُّ منه إلى الألفاظ[١٧].

ومن ثَمّ كانت البراعة في الصياغة المسجوعةِ، المحُوطة بما ذُكر، الملزوزةِ في قرَن، كانت أظهرَ، ودلالتُها على تمرّس الساجع بفنون القول والمهارة الفنية أكبر.

وبناء هذه الأقوال على السجع المتكلَّف لا يقدح في قيمتها؛ مثلما لا يقدح تكلُّف الوزن والقافية في الشعر[١٨]، ذلك أنَّ المقاصد التي يريدها القائل تجعل السَّجع أساساً

---

(١٤) انظر: قانون البلاغة ٢٨.

(١٥) انظر: المثل السائر ٣١٣/١.

(١٦) انظر: الرؤية الإنسانية في حركة اللغة ١١٢.

(١٧) قانون البلاغة ٢٧.

(١٨) انظر: إحكام صنعة الكلام ٢٢٨.

في كلامه. و"السَّجع من مميِّزات البلاغة الفطرية، فهو في أكثر اللغات يجري باطِّراد في الحِكَم والأمثال"[١٩]، وقد عُرِف ميل الأذواق العربية إليه منذ الجاهلية[٢٠]، فهو هنا متَّصلٌ بما عُرف به كثير من النثر العربي. وهو منهج في بناء الكلام، رأى بعض الباحثين أنه يُورث المهابة، ويحفظ السيرورة، وأنه مظهر من مظاهر الافتتان بالقول[٢١].

وغالب سجعاته جاءت منسابة مع السياق الذي هي فيه، ولم يُضطرَّ لتغيير كلمة، إلا كلمة (الطَّرْف)[٢٢]، فقد جعلها (الطَّرْفة)؛ ليستوي له السجع[٢٣].

١-٦ وقد وُفِّق الساجع إلى استثمار ألفاظ الأنواء في بناء ألوان من البديع، كالمجانسة بين (الطَّرفة) و(الطُّرْفة)، و(الهقْعَة) و(الفقعة)، و"جاء الشتاء **كالكلب**، وصار أهل البوادي في **كـرْب**" ، ولزوم ما لا يلزم، مثل: "إذا طلعت الطَّرْفة، بكَّرت الخُرْفة، وكثُرت الطُّرْفة"، و: "إذا طلعت البلدة، زَعِلت كلُّ ثُلْدة".

ويُلحَظ غيابُ فنَّيْن من البديع كثيرَيْ الورود في كلام العرب، وهما الطباق والمقابلة، فليس في هذه الأسجاع شيء منهما، والعلّة في نظري بادية، وهي أن ألفاظ كلِّ نص قيل في نوء من الأنواء تأتي غير متضادَّة، لأنَّها تخدم معنىً واحداً في الغالب، فما قيل في نوء الشَّوْلة – مثلاً– كلُّ جمله يفيد معنى اشتداد البرد، وما قيل في سعد السعود يفيد معاني طيب الزمان: "ذاب كلُّ جمود، واخضرَّ كلُّ عود، وانتشر كلُّ مَصْرود".

---

(١٩) النثر الفني في القرن الرابع ١/٧٥.

(٢٠) انظر: السابق ١/٨٥.

(٢١) انظر: محاورات مع النثر العربي ٤٨، ٤٩.

(٢٢) الطَّرْف: كوكبان بين يدي الجبهة، يُقال: هما عينا الأسد، ولذا قيل لهما (الطَّرف).

(٢٣) انظر: الأنواء والأزمنة ٩٧.

١-٧ تسيطر على هذه الأسجاع الجُمل الفعلية، وشذَّ عنها أسجاع ثلاثة في طلوع النجم (الثريا): "إذا طلع النجم، فالحرُّ في حدْم، والعُشب في حطم، والعانات في كدْم". "إذا أمسى النجمُ بقَبَل، فشهرُ فتىً، وشهرُ حَمَل، وإذا أمسى النجمُ بدَبَر، فشهرُ نَتاجٍ وشهرُ مطر، وإذا أمست الثرَيّا قمّةَ راس، فليلةُ فتىً وليلةُ فاس"، وفي طلوع الدلو: "إذا طلعت الدَّلْو، فالربيع والبدو، والصَّيف بعد الشَّتو".

وإنما غلبت الجمل الفعلية؛ لأنها أسجاعٌ تنظِّم شؤون الناس، وتبيِّن لهم ما يفعلون في كل أوان، والجمل الفعلية مرتبطة بالحركة والتغيُّر، وما هذه الأسجاع إلا إيجاز لتغيّرات الأجواء وتبدُّل الأزمان، ما بين قيظ قائظ، وصيف لافح، وخريف جافٍ، وشتاء قارس، وربيع زاهر، فكان الانصراف إلى التعبير عن ذلك كلِّه بالأفعال أدعى للتوازن مع طبيعة الزمان المتغيرة، ومن أجل إيقاع الحقائق في النفوس.

إنَّ اللغة في هذه النصوص وأشباهها تتراءى في حال حياة وحركة[٢٤]، من خلال الأفعال المتوالية، التي جاء الساجع بها على أنَّها حقائق واقعة، فيخبر بما سوف يقع، اعتماداً على التجربة، فما وقع سلفاً يتكرَّر خلفاً.

وهو يعبِّر عن كلِّ أحوال الزمان بالجملة الشرطية المبدوءة بـ (إذا)، ولهذا الحرف دلالة القطع بوقوع ما بعده[٢٥]، فلا محيد له عن التعبير به؛ لأنَّ اختلاف الزمان وتتابع الأنواء وما يقع فيها أمر محتَّم.

على أن تلك الجمل الاسمية القليلة تحتوي معاني الحركة والمغالبة والتوتّر، فمعانيها تخدم الجوَّ العامَّ الذي تعبِّر عنه هذه الأسجاع.

١-٨ استوقفني في تلك الأسجاع أنَّ البناء للمجهول يأتي للفعل الذي يقع من الناس: "جُنِيَ النخلُ بُكرة...ولم تُترك في ذات دَرٍّ قطرة"، "امتِيزَ عن المياه زُلفة"، "رُفع

(٢٤) انظر: الرؤية الإنسانية في حركة اللغة ١١٩.

(٢٥) انظر: بغية الإيضاح ٢١٦/١.

كيْـل، ووُضِـع كيـلٌ وقَيْـل"، "ضُـرِب الخبـاء...وكُرِه العـراء"، "شُـمِّرت الـذيول، وتُخُوِّفـت السيول"، "أُكِلت القِشْدة"، "زُمَّت الأسقية"، "هِيبَ الجَزْو"، "اقتُضِـيَ الدَّين"، "اتُّقِيَ اللحم، وخِيفَ السُّقْم".

أمَّا الفعل الذي لا يدَ للناس فيه، من حيث إنَّه ظاهرة طبيعية، أو سلوك من سلوك الحيوان، فهو مبنـي للمعلوم أبداً: "توقَّدت الحِزَّان، واستعرَت الذِّبّان، ونشَّت الغُدران"، "توقَّدت المَعْزاء، وكنَسَت الظِّباء"، "حَسَرت الشمسُ القناع، وأشعلتْ في الأفق الشعاع، وترقرق السرابُ بكلِّ قاع"، "طاب الهواء"، "تربَّل النضْر"، "نضر العود"، "كثُر الثَّعْد"، "استوى الزمان، وخضِرت الأغصان"، "تزيَّنت الأرض كلَّ الزين".

وسرّ اعتماد المبني للمجهول فيما هو من عمل الإنسان، انطواؤه على شيء من التخويف في بعضها مثل: "وشُمِّرت الذيول، وتُخُوِّفت السيول"، إضافة إلى أن تشمير الذيول وتخوُّف السيول لا يقع من الناس كلهم، فناسب حينئذٍ أن يكون الفاعل مجهولاً. وقوله:(زُمَّت، هِيب،...) هو أدعى لإيقاع الهيْبة والتوجّس، والحضّ على الاستعداد، وهذا ممَّا قصد إليه الساجع، فهو إذ يقول (زُمَّت) يريد (زُمُّوا)، وإذ يقول: "شُمِّرت الذيول، وتُخُوِّفت السيول" يريد (شمِّروا.. واحذروا).

ومن دواعي العدول إلى المبني للمجهول كونه أكثر تحقيقاً للإيجاز الذي تمتاز به تلك الأسجاع.

أمَّا البناء للمعلوم في مثل: "حسرت الشمسُ القناع، وأشعلتْ في الأفق الشعاع، وترقرق السرابُ بكلِّ قاع"، فهو أمر حتميّ الوقوع، لا يد للإنسان فيه، ولا بدّ فيه من ذكر الفاعل؛ دفعاً للتوهّم، فلو قال مثلاً: (أشعِل الشعاع)؛ لالتبس المراد به، فهل هو شعاع الشمس، أو هو شعاع يشعله البشر؟، ثم إنَّ التصريح باسم (الشمس) في هذا السياق مهمٌّ جداً؛ لعلاقتها الشديدة بما يطرأ على المناخ من تغيّر.

١-٩ كان ممَّا اشترطه ابن الأثير للكلام المسجوع "أن تكون كلُّ واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالةً على معنى غير المعنى الذي دلَّت عليه أختها"(٢٦). وهذا هو ما توافر في هذه الأسجاع، فإنَّ كلّ جملة تضيف معنى جديداً في الغالب، فقوله: "إذا طلعت الدَّلْو، هِيبَ الجَزْو، وأنسَلَ العفو، وطلب الخِلْوُ اللهو"، أفاد أموراً ثلاثة، أمراً يتعلق بالنبات، وثانياً يتعلق بالحيوان، وثالثاً يتّصل بالإنسان. وقد استغرق هذا التعبير الموجز أهمَّ مكوِّنين من مكوِّنات البقاء في حياة الإنسان.

وبعضها هو نوع من الإطناب، كقوله: "إذا طلع القلب، جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في كرْب"، فالجملة الثانية (وصار...) هي ضربٌ من الإطناب؛ فقد أفادت الجملة التي قبلها معنى اشتداد البرد.

١-١٠ يبدو لقارئ هذه الأسجاع ما تختزنُ من صور فنية، أغلبها صورٌ حقيقية، تمثُلُ من خلالها صورة المجتمع العربي- أو جزء منه على الأقل- في أحوال الكرب والجدب، والنعيم والخصب، ولكنها تحوي إلى ذلك صوراً تُوسِّل في تركيبها بضروب من البيان، أبرزها الاستعارة، مثلما في قوله: "جرى السرابُ على الأكْم"

"حسرت الشمسُ القناع"

"وقيل للبرد: اهْدَه"

وهي استعارات يشي بعضها بما أوتي الساجع من قدرة بيانية، فقد شخَّص المعنويات في بعض هذه الأمثلة، واستقام له التعبير غاية الاستقامة حين جعل الناس – لِشدَّة ما يعانون- يناشدون البرد: اهدَه.

إنَّ الاستعارة توفِّر "تلاقياً بين سياقين ودلالتين، فالكلمة المستعارة من محيط بعيد عمَّا يجري في السياق الأساسي لا تنفصل دلالتها وتتحول، بل هي تحمل ظلال السياق

(٢٦) المثل السائر ٣١٦/١.

القديم، وتكتسب من هذا الإطار الدلالي الجديد، فتغدو كلمة جديدة"[٢٧]، وأضرب المثل باستعارة الساجع الفعل (تزيَّن) في قوله: "تزيَّنت الأرض كلَّ الزين"، فقد جاء به من محيط أنثوي؛ لأنَّ الغالب فيه أن يُستعمل مع النساء، فهنَّ في الغالب ذوات الزينة. واستعارته إياه لما حفلت به الأرض من مظاهر الربيع صرَّح بالمعنى المراد في سياقه الجديد، ولم يفارق ظلال سياقه الأول، فالأرض وربيعها عند العربي هي الحياة، مثلما تُعدّ المرأة جزءاً مهمّاً من الحياة أيضاً. والجِدَّة هنا في صبغ الأرض بصبغة أنثوية محبَّبة.

وكذلك استعارته (توقَّد) في قوله: "توقَّدت المَعْزاء"، فقد كانت ناجعة في إسباغ صفة جديدة على (المَعزاء) – وهي الأرض الصلبة–، إذ تتمثَّل للسامع ناراً تلهَّب، لا حجارة.

ومن التشبيهات النادرة في هذه الأسجاع قوله: "جاء الشتاء كالكلب"؛ واختيار الكلب للتشبيه موفّقٌ؛ لصلته بحياتهم ومعرفتهم بطبائعه، وبخاصة حين يكون ضالاً مُصْحِراً، والبرْد يزداد قسوة وشدّة في الصحراء. وجذر (ك ل ب) تجتمع فيما يُشتقُّ منه معاني الشِّدَّة والجهد والإلحاح، ومنها الكلَب، وهو اشتداد البرْد[٢٨].

وأكثر أقوال الساجع تعتمد الكناية، مثل: "وجعل صاحب النخل يرى"، مكنِّياً عن إطلاع النخل، فصاحبها يرى الثمرة وقد كبرت، و"جُنِيَ النخلُ بُكرة"، وإنما يُجنى بُكرة فراراً من الحر[٢٩]، "ورمتْ بأنفسها حيث شاءت الصبيان"، كناية عن طيب الهواء

(٢٧) جماليات الأسلوب ١٢٠.

(٢٨) انظر: أساس البلاغة (كلب).

(٢٩) الأنواء والأزمنة ٩٦.

وانكسار البرد، "وتلاقت الرعاء بالنمائم"، قيل في شرحها: "لأنهم حينئذ يفرغون، ولا يشغلهم رعي، فيتلاقون ويدسُّ بعضهم إلى بعض أخبار الناس"(٣٠).

وهذه الصور الفنية مكتملة العناصر، فهي مستقاة من عالم حسِّي، "ابتغى الراعي شُكَيَّة"، "نشَّت الغُدران"، "عرِقت العِلْباء". ولا شكَّ في أنَّ "الصور الحسِّية التي تعبِّر عن موقف إنساني عام هي أكثر الصور تأثيراً"(٣١). وأكثرها يعبِّر عن الطبيعة البدوية الغالبة على العرب، فالألفاظ مشتقة من تلك البيئة، وصادرة عنها.

وهي وثيقة الصِّلة بعالم نفسي يعيشه الساجع، وما تلك الجمل التي تحوي توجيهاً إلا ترجمة لآراء الساجع في الحياة والناس.

والانفعال ظاهر فيها، فقوله مثلاً: "تنازَت السَّفَهَة، وقلّت في الأرض الرُّفْهَة"، يعبِّر عن انفعال الساجع تُجاه بعض ما لا يرضى من واقعه في الجملة الأولى- واختيار لفظ (السفَهَة) مؤذنٌ بهذا – وانفعالٍ نفسيٍّ آخر تُجاه ما يرى الناسَ عليه من الضيق وقلّة المتَع في الجملة الأخرى. وقوله: "وصار أهل البوادي في كرْب"، تعبير دقيق عمّا يقاسيه أهل البوادي عند احتدام البرد، وقد عبَّر عنه بصورة فنية تترجم ذلك التفاعل الذي يعيشه الساجع مع قومه.

أمَّا القيمة، فهي متمثِّلة في إعطائها صورةً كاملة عن أحوال العرب مع تقلُّب أجوائهم، ويمكن عدُّ أسجاع الأنواء – مجتمعةً- صورةً كلِّيّة، أشبهَ بلوحة فنية، تُوجز أحوال العرب في معايشهم وسُبُل تكيُّفهم مع بيئتهم، وما يطرأ عليها من تغيرات.

---

(٣٠) السابق ١١٣.

(٣١) الصورة الفنية في النقد الشعري ٨٨.

وقيمة الكناية بخاصة – وهي الغالبة على الأسجاع– تتجلّى في ثنائية الدلالة، لأنَّ اهتمام القائل – والسامع من بعدُ– يصل إلى الزاوية المؤثرة في كيان التجربة[٣٢]، وهي التي يكون الإلحاح عليها، والعناية بها، فقوله مثلا: "وصار في الأرض لُمَع"، كناية لطيفة عن العشب، جنح من خلالها الساجع إلى إحداث هِزّة الطرب بالفأل؛ لأنَّ نبات العشب والتماعه هو من أكبر مظاهر استمرار الحياة عندهم.

١– ١١ ما الذي دعا العرب إلى أن يجعلوا كلامهم على هذا النحو من الاتِّساق والإيجاز؟، ولِمَ آثروا أن يكون تقييد المعارف محكوماً بتلك الصياغات؟

إنَّه الحاجة إلى نقل التجارب أوَّلاً، ذلك أن تعاهُد المعاني بصياغة موجزة واضحة موقّعة أدعى إلى بقائها على الألسن، وانتقالها من جيل إلى جيل، والعمل بمقتضاها.

وهذا القصد مشهودٌ له بالتحقُّق، وهو قصدٌ صرّح به بعض البلغاء، فعبد الصمد الرقاشي، يُسأل: لِمَ تُؤْثِر السجع على المنثور، وتُلزِم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟[٣٣]، فيقول: "إنَّ كلامي لو كنت لا آملُ فيه إلا سماع الشاهد، لقلَّ خلافي عليك، ولكني أريدُ الغائبَ والحاضر، والراهنَ والغابر، فالحفظُ إليه أسرع، والآذانُ لسماعه أنشط، وهو أحقُّ بالتقييد، وبقلَّة التفلُّت، وما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلّمت به من جيّد الموزون[٣٤]، فلم يُحفَظ من المنثور عُشْرُه، ولا ضاع من الموزون عُشْرُه"[٣٥]. وهذا

(٣٢) انظر: جماليات الأسلوب ١٤٢.

(٣٣) المراد بالقوافي وإقامة الوزن هنا أن يكون الكلام مسجوعاً.

(٣٤) المراد بالموزون الكلام المسجوع أو المزاوج.

(٣٥) البيان والتبيين ٢٨٧/١.

القول صريح الدلالة على أنَّه كان يُنظَر إلى الكلام المسجوع نظرة تقدير[٣٦]، وأنَّ السجع عنصر كريم في بلاغة العرب[٣٧].

ثم إنَّهم حريصون على أن يظلَّ للكلمة سحرها وبريقها في أبنائهم وحفدتهم، فهم يُعنَون بها في سياقها العام وسياقها الخاص، لإدراكهم قيمة البيان والبلاغة.

فأمَّا السياق العام، فلأنَّها تخدم طبيعة البيان العربي، من حيث إيثارُ الجزالة والفخامة، وتلوينُ القول بكلِّ ما يُقتدر عليه من ألوان البلاغة.

وأمَّا السياق الخاص، فلأنَّ فيها ما يسِمُها بِمِيْسَم ذي صبغة مائزة، فهي تدور في فلك تنظيم الحياة، وإيجاز متطلباتها المعيشية، وألفاظُها وتراكيبُها تشي بخصوصيتها.

١-١٢ ليس الساجع في رأيي امرأ واحداً، ولم تصدر تلك السجعات عن لسان واحد، ولكنها أقوال تراكمت، ومرّت بقرون عدّة، فصقلتها التجارب، وهذّبتها المعارف المتجدِّدة، وأضيف إليها وزِيد فيها، بدليل أنَّه قيل في بعض الأنواء أكثر من نص، ولاختلاف الروايات في بعض النصوص، وفي بعضها ما يدلّ على تأخر زمنها؛ لأنَّها صارت أقرب فهماً، وأضحت لغتها ألين، مثل: "إذا طلعت الزُّبانى، فاطلب ما يكفيك زمانا، واستعددْ لشتائك ولا توانى"، ودخل في بعضها العامي مثل: (أَحَبُّوا إلى الوليف الرجعة).

بل إنَّ بعضها حُوِّر ليكتمل إيقاعه فيُعَدَّ شعراً، فقوله: "إذا طلع النجم غُدَيَّة، ابتغى الراعي شُكَيَّة". غُيِّر بحذف (إذا)، فصار بيتاً من مجزوء الرمل[٣٨]، ومثله قوله: "إذا طلع النجمُ غُدَيّا، ابتغى الراعي سُقَيّا"، وقوله: "إذا طلع النجم عشاءً، ابتغى الراعي كساءً"، فقد حُذِفت منهما (إذا) كالأول. ثم زيد انزياحُ الأخيرة فصارت:

---

(٣٦) انظر: النثر الفني في القرن الرابع ٩٥/١.

(٣٧) انظر: السابق ١٠٧/١.

(٣٨) انظر: اللسان (شكا).

إذا الثريّا طلعت عشاءَ فبِعْ لراعي غنمٍ كساءَ[٣٩]

وهذا الشعر المُستَولَد من ذلك النثر الفني يؤكِّد ما ذهب إليه الجاحظ من أن "الشعر حديث الميلاد"[٤٠]، وكأنَّ الذي نثره ابتداءً كان يُضمِرُ أن يقوله شعراً، ولكنَّه كان في موقف ارتجال، فلم تسعفه القدرة أو القريحة على أن يأتي به موزوناً.

١-١٣ إسباغ الشعرية على الأساليب عند وصف التصرُّف في المعايش، يكاد يكون دأبَ جُلِّ العرب بادية وحاضرة، سأل عبد الملك بن مروان رجلاً من العرب: كيف علمك بالكواكب؟ فقال: لو لم أعرف منها غير النجم[٤١] لكفاني:

إذا طلعت من المشرق حصدت زرعي

وإذا توسَّطت السماء جردت نخلي

وإذا سقطت في الغرب دفنت بذري

هذا تدبير معيشتي [٤٢].

١-١٤ إنَّ هذه الأسجاع التي تحفظ مظاهر تغير الجو، بهذا النمط الموجز المكثّف، الذي يستغرق المعاني، ويفصِّل بعضها، هي- في رأيي- إرهاصٌ للمنظومات العلمية التي راجت بعد القرن الثاني؛ ويمكنُ عدُّها مهاداً وثيراً قدح فكرة النظم العلمي، ويسّر لها أن تنمو وتعظم فيما بعد.

٢- القمر الشاعر:

---

(٣٩) الأنواء والأزمنة ٨٥.

(٤٠) الحيوان ٧٤/١.

(٤١) يعني الثريا.

(٤٢) انظر: نثر الدر ٥٨/٦.

٢-١ التفت العرب إلى القمر ومنازله، فعبَّروا عنها تعبيراً شعرياً، كان فيه القمر في موقف من يُسأل عن أحواله، فيجيب إجابات فيها نفَسٌ شعري(٤٣).

فهو يصف حاله في كل ليلة، ويبيّن مقدار بقائه في السماء، بأسلوب توافرت فيه خصائص التعبير اللغوي البليغ المحكم، الذي يُومئ إلى المعنى ويوحي به، ولا يجعله صريحاً مكشوفاً.

وهذه السجعات في أحوال القمر تعليم أو تدريب على البيان، فإنَّ بلاغة الإيجاز، وضروب البيان فيها يمكنُ أن تُعَدَّ أنموذجاً يُحتذى، وهل يبعُد أن يكون قائلها قاصداً هذا المقصِد؟

٢-٢ وتتماهى معاني هذا السجع مع معاني الإنسان نفسه وحياته، فالقمر – وهو ما أميل إلى أنه اتُّخِذ رمزاً للإنسان- في الليلة الرابعة عشرة يقول: "أغشى دُجُنَّاتِ السحاب"، والتعبير بالغِشيان يتوفّر على قدر كبير من الإيحاء بالقوة(٤٤)، وهو ما يريده الساجع رمزاً للإنسان، فهو في منتصف عمره قوي شديد. ثم يقول في الليلة الخامسة عشرة : "تمَّ الشباب، وانتصف الحساب"، وفي إحدى لياليه الأخيرة يقول: "دنا الأجل، وانقطع الأمل".

٢-٣ لقد أحسن الواضع اختيار الألفاظ لمعانيه، فعمد إلى التصغير للدلالة على القليل في قوله "رضاع سُخَيلة، حلَّ أهلها برُميلة"، واستعمل لفظ (الخشوع) دالاّ به على مقدار النقص الذي أصاب القمر: "بطيء الطلوع، بيِّنُ الخشوع"، والاستعمال المجازي لـ

(٤٣) وقد جعلت أقوال العرب في أحوال القمر ملحقاً ثانياً بهذا البحث.

(٤٤) أغلب ما يُشتَقّ من جذر (غشا) ينطوي على معاني العلوق والملازمة الدائمة. انظر: اللسان (غشا).

(خشع) ثريٌّ بالمعاني، فهو يشمل الانكسار وخضوع البدن والصوت والبصر[٤٥]، ففيه دلالة دقيقة على المراد.

وأوجز غاية ما يكون الإيجاز، وكلّ الأسجاع موجز، غير أن من أمثل النماذج على هذا هو قوله: "سِرْ وبِتْ"، وهو يريد "سرْ فيَّ وبتْ، فإنني أبقى بقدر ما يبيت إنسان ويسير"[٤٦]، وقوله: "لا أطلع إلا ريثما أُرَى".

٢-٤ وألفاظ سجعات القمر شديدة الصّلة بالبيئة العربية (البدْويّة) في الغالب، كهذه الطائفة: (سُخيلة، رُميلة، خلِفات، دُلجة الضبُع، الجَزع)[٤٧]، وسائرها وبخاصة ما قيل فيما بعد الليلة العاشرة تنعتق الألفاظ فيه من صلتها بهذه البيئة، وهذا ما يجعلني أميل إلى أنها ممَّا أُضيف في زمن متأخِّر، وقد نقل بعض العلماء أنَّه لم يُنقَل عن العرب فيما بعد الليلة العاشرة شيء[٤٨]. فالعشر الأوَل على هذا أعرابية، وسائرها حضري.

٢-٥ والصور في هذه السجعات في الليالي الأولى ذات صلة وثقى، أيضاً، بالبيئة الصحراوية، على خلاف سائر ما في الليالي الأخرى. فالصور الأعرابية في قوله "رضاع سُخيلة"، و"دُلجة الضبع"، و"عشاء خَلِفات قُعْس" مباينة لهذه الطائفة من الصور: "قمرٌ باهر، يَعشَى له الناظر"، و"أسبق شعاع الشمس"، و"أطلع كالقبَس"، فهذه الثلاث

---

(٤٥) اللسان (خشع).

(٤٦) المخصص ٢٩/٩.

(٤٧) وهذه كلّها ممَّا قيل في ليالي العشر الأُوَل.

(٤٨) انظر: التذكرة الحمدونية ٣٥٥/٧.

الأخيرة صنعةٌ حضريّة. وهذا ما يثير السؤال: أكان بعض النتاج الفني عند العرب إبداعاً متراكماً صاغته أجيال متلاحقة؟ وهل يعني هذا أنَّ في أدبنا القديم ما يمكنُ عدُّه ملحمة لغوية، تضافرت في إنشائها وتنقيحها عقول وقرائح، تنتسب إلى بيئات متعددة؟

إنَّ ما وجدتُه في هذه الأسجاع يميل بالرأي إلى هذا، ولعلّ محاورة هذه النصوص بمنهج أحكم وأعمق يعطي جواباً فاصلاً.

٣- الحيوان البليغ:

٣-١ ذهب العرب مذهباً آخر في شعْرنة الحياة، فأنطقوا الحيوان بما يختصرُ رؤيتَهم للشدائد التي يعانون منها، فجعلوا البهائم التي تعيش معهم تجيب عن سؤال، وكأنّها في موقف اختبار، فقد قيل للعنز: ما أعددتِ للشتاء؟ فقالت: "الذَّنَبُ ألوى، والاستُ جهوى"(٤٩)، ويُروى: "يا عنز، جاء القُرّ. فقالت: يا ويلي! ذنَب ألوى، واستٌ جهوى"(٥٠)، وقيل ذلك للضأن، فقالت: "أُجَزُّ جُفالا، وأوَلَّدُ رُخالا، وأُحلَبُ كُثَباً ثِقالاً، ولن ترى مثلي مالا"(٥١).

---

(٤٩) المزهر ٥٤٦/٢. وجهوى: مكشوفة. ويوحي كلام ابن قتيبة بأن ما قالوه على ألسنة البهائم كثير. انظر: عيون الأخبار ٧٤/٢. ولكنّ ما وجدته منها قليل.

(٥٠) اللسان (جها).

(٥١) عيون الأخبار ٧٨/٢، والمزهر ٥٤٦/٢. واللسان (جفل)، والأزمنة والأمكنة ٢٣/٢. وفيه تحريف. والجُفال: الصوف الكثير، والمعنى: "أجَزّ بمرة واحدة، وذلك أن الضائنة إذا جُزَّت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شيء حتى يُجَزَّ كلّه ويسقط أجمع". والرُّخال والرِّخال: جمع رَخْل ورِخْل وهو الأنثى من ولد الضأن، والكُثَب: جمع كثْبة، وهي ملء القدح من

ويُروى بعض ذلك عن المعزى، فهي تقول: "العظمُ دُقاق، والجلدُ رُقاق، واستٌ جهوى، وذنَبٌ ألوى، فأين المأوى؟"(٥٢). وسُئل الحمار: ما أعددتَ للشتاء؟ قال: "جبهةً كالصَّلاءة، وذنَباً كالوَتَرة"، وقيل: إنه قال: "حافراً كالظُّرَر، وجبهةً كالحجَر"(٥٣). وقيل للكلب: ما أعددتَ للشتاء؟ فقال: "ألوي ذنَبي، وأربض عند باب أهلي"(٥٤)، ورُوي: "أحوي نفسي، وأجعل أنفي عند استي"(٥٥).

٣-٢ أوَ يمكن أن نعُدَّ هذه الأقوال ضرباً من المسامرات الساذجة التي تُزجى بها الأوقات فحسب، وبخاصة أنَّها متّصلة بليالي الشتاء، وهي ليالٍ طوال، أم أنها ذات دلالات اجتماعية ونفسية؟

إنَّ ما تُنطَقُ به تلك الدوابّ والنَّعَم كافٍ لأن نجد فيه بعض ما يكشف جوانب من اهتمامهم، فالفخر طاغٍ عليهم، ولا شكَّ أنَّ إيثار اقتناء الإبل هو الذي دعاهم إلى إنطاق المعزى بذلك القول الذي يُظهرُها ضعيفة مستضعَفة. وبخاصة أنَّ ما أنطقوا به الناقة لا يدلّ إلا على أنَّها لا تكلِّفهم شيئاً، إذ قالت لمَّا سُئلت عمَّا تفعل في الشتاء: "أبرُك بالعَرا، وأوّلُها الذُّرا"(٥٦).

اللبن. تقول: "أُحلَب دُفَعاً ثِقالاً من اللبن، وذلك لأنَّ لبنها أدسم وأخثر من لبن المعز". عيون الأخبار ٢/٧٨.

(٥٢) المزهر ٢/٥٤٧. وانظر: عيون الأخبار ٢/٧٤، والأزمنة والأمكنة ٢/٢٤. وفي روايته تحريف.

(٥٣) المزهر ٢/٥٤٧، والصلاءة: حجر عريض يُدَقّ به العطر أو الهَبيد، والظُّرَر: الحجر المدوّر، وقيل: الحجر إذا كان له حدٌّ كحدِّ السكين.

(٥٤) المزهر ٢/٥٤٧.

(٥٥) الأزمنة والأمكنة ٢/٢٤.

(٥٦) المرجع السابق ٢/٢٤.

وبعضها يحوي –كما بدا من جواب الضأن– ما يُبيّن شيئاً ممَّا يدور في مجالسهم من مفاخرة أو مفاضلة بين امتلاك الضأن وغيرها.

أمَّا جواب الكلب، فيدلّ على مبلغ حاجتهم إليه؛ ولذا هو باقٍ عند سيده، مرابطٌ عند خبائه، وما قيل فيه من الشعر يؤيّد هذا(٥٧).

وقد يكون مرادهم من تلك الأجوبة هو الوصفَ المجرَّد، أي إنهم يصفون أحوال الحيوان عند اشتداد البرد، وفيه تعليم لمن لا يعلم طبائعها.

٣–٣ إنَّ من مقاصد هذه الأقوال المقصِدَ التعليمي، فهم يُعلِّمون بعض طرق الصيد، وأحوال المَصِيد، فما لم يكن الصائد حاذقاً، فلن يقتدر على صيد الأرنب الشديدة العدْو. غير أنهم لم يُعلِّموا بطريقة عابرة، وبأسلوب عادي، بل عمدوا إلى الاستعانة بالبيان العالي، ترسيخاً لهذه الثقافة في الأذهان. وقد قالوا على لسان الأرنب: "اللهم اجعلني خُذَمة لُذَمة، أسبقُ الأكفَّ بالأكَمَة"(٥٨)، ومثل ذلك حوارٌ أجروه بين الأرنب والعنز، إذ قالت الأرنب لها: "لا عَفَطتِ ولا نَفَطتِ، فقالت العنز: لا مررتِ إلا على حاذقٍ باذق"(٥٩).

وأرى أنه يصدق على هذه الأسجاع ما قاله بعض النقاد من أن إنطاق الحيوان كان احتيالاً "على إيصال ما في النفس، في بعض مراحل الشدّة أو القهر أو الجور، أو استيفاء النزعة الفنية في صياغة الفكرة، أو تصوير الإحساس، على نحو يعمِّق أثرهما

---

(٥٧) انظر: الحيوان ٢/٢٧–٤٥، ٧٠، ٨٣، والحيوان في الأدب العربي ٣/٢٣٠–٢٣٦.

(٥٨) الأزمنة والأمكنة ٢/٢٤. واللسان (لذم)، وفيه: "الأرنبُ خُذَمة...تسبق الجمعَ..."، وخُذَمة: سريعة، ولُذَمة: ثابتة العَدْو لازمة له.

(٥٩) الأزمنة والأمكنة ٢/٢٤. وعفَطت العنز: عطست، ونفطت: مثلها، وقيل: نثرت ما بأنفها، وقيل: نفطت إتباع، وكذلك باذق إتباع لحاذق.

في المتلقّي"[٦٠]. وفيه كذلك وعي باتّساع أفق الحياة، وإغناءٌ لإحساس الإنسان بما في الحياة، وتخفيفٌ من نزوعه إلى القطيعة عنها والاستعلاء عليها، ودعوةٌ له إلى تملِّي صور الجمال في عالم الحيوان[٦١].

٣-٤ وممَّا أرتضيه في تفسير الانزياح إلى شعرية التعبير في هذه المواقف، أنَّهم يربّون في أبنائهم ملكاتِ التعبير العالي، وينهجون لهم بها نهجاً قويماً في مجاراة الناس، ومحاورتهم، ويأملون من خلالها أن يُولدَ فيهم البلغاء، وهم أمةٌ، للبلاغة والبيان عندها نصيب متينٌ من العناية والإكبار. وقد قال الجاحظ في هذا: "كانوا يُرَوُّون صبيانهم الأرجاز، ويعلِّمونهم المناقلات، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب؛ لأنَّ ذلك يفتق اللَّهاةَ، ويفتح الجِرْم"[٦٢]. ونقل، أيضاً، عن بعض العرب أنَّه يقول: "لولا الدُّربة وسوء العادة لأمرتُ صبياننا أن يماريَ بعضُهم بعضاً"[٦٣].

وفي الوقت نفسه – ومع ميلي إلى تفسير هذه الأسجاع تفسيراً عميقاً- أرى فيها ميلاً إلى الإبهاج باللغة، بتوظيف ذخائرها اللفظية، وطاقاتها البيانية؛ لأنَّ بعض تلك الأسجاع – وبخاصة ما أُنطِق فيه الحيوان- لا يخلو من تصوير مضحك، فيه رغبة في التنفيس، وإزجاء الهموم، وتخفيف طوارق الدهر عليهم.

وفيها بعد ذلك تلوين لأساليب الخطاب، وإرهاف للغته، وتشقيق لطرقه في التخييل والسرد والحوار، يُدْني القائل من عالم غني، مليء بالغرائب، ويُدني المتلقي من الجمع بين الفائدة والمُتعة[٦٤].

---

(٦٠) إنطاق الحيوان في تراثنا الأدبي ٥٢.

(٦١) المرجع السابق، ص٥٥.

(٦٢) البيان والتبيين ٢٧٢/١. والجِرْم: الحلْق. (نقلاً عن هارون محقق البيان)

(٦٣) المرجع السابق.

(٦٤) انظر: إنطاق الحيوان في تراثنا الأدبي ٥٥.

٣-٥ ولا أجد ما يمنع من تفسير أسجاعهم في الحيوان على أنها رموز أو أقنعة لضروب الناس[٦٥]، إذ فيهم الضعيف المعْتَرّ، الذي يغالب ضعفه مثل المعزى: "العظمُ دقاق، والجلدُ رقاق"، وفيهم القادر على مغالبة الدهر، يملك مثل ذلك الحيوان "حافراً كالظُّرَر، وجبهةً كالحجَر"، وفي الرمز بهذا الحيوان ذي الحافر نوع من التنفيس بالهُزء به.

وفي الناس الكَلّ الذي يقوم بغيره، ولا بدَّ له من أن يُساد: "ألوي ذنَبي، وأربض عند باب أهلي".

فهل كان هذا ضرباً من الرمز المبكِّر؟ إنني أميل إلى تحميل هذه النصوص كثيراً من الدلالات غير الساذجة؛ لأنَّ من يقرأ في أدب العرب، يجد من المقاصد البعيدة ما يؤيّد هذا المسلك في التفسير الرمزي لأسجاعهم.

٤- أسجاع أخرى:

٤-١ ومما يُشبه أسجاع الأنواء بعض ما قيل في مظاهر الخصب، مثل قول العرب: "شهرٌ ثرى، وشهرٌ ترى، وشهرٌ مرعى"[٦٦]، وهم يعنون تدرّجَ آثار المطر، ففي الشهر الأول ترى الأرضَ ندية، وفي الثاني تظهر بوادر العشب، فأنت "ترى" مبادئه، وفي الثالث ينمو العشب، فيصبح مرعى.

وبيِّن ما في هذا النص من إيجاز يؤدي المعاني بأسلوب فيه انزياح إلى شعرية التعبير، وفيه كذلك تكثيف دلالي يستوعب تدرّج أحوال التراب.

---

(٦٥) انظر: المرجع السابق ٤٧.

(٦٦) أدب الكاتب ٩٦، وعدَّه الميداني مثلاً.

وتقطيع هذا المعنى الواسع في جمل ثلاث قصار، يتماهى مع ما يشعر به القائل من فرَحٍ يتدرّج به من فرحة بالمطر، فاحتفالٍ بظهور العشب، ثم ارتياحٍ واطمئنان لاخضرار الأرض وابتداء الرعي.

وكأنما تعبِّر هذه الجمل المتوازنة عن حال العربي إبان المطر وحين نبات الربيع، فهو في نجعة وارتياد، يتنقَّل مثلما تنقّلت الجمل الثلاث.

٤-٢ ومثلما أنطق العرب القمر وبعض الحيوان، أنطقوا كذلك بعض العشب بكلم طريف، فاليَنَمَة[٦٧] تقول: "أنا اليَنَمَة، أغْبُقُ الصبيَّ قبل العَتَمَة، وأكُبُّ الثُّمَال فوق الأكَمَة"[٦٨].

وقول الينمة ينطوي على الفخر، فالابتداءُ بضمير الفصل: (أنا) متواشجٌ مع نفسية العربي المائلة إلى الفخر بالحسب، والتباهي بالقدرة. ثم إردافُه باسمها معرَّفاً (الينمة) للدلالة على أنَّها معروفة ليست بنكرة. ثم وصفها نفسَها بجملتين وُظِّفت فيهما الاستعارة توظيفاً بديعاً، كلّ ذلك منح هذا النصَّ حيوية تعبيرية تجعله يعلق بالذهن.

وفي هذا القول على لسان الينمة نوع من المعرفة بالبيئة، وضرب من التعريف القسري بها، إذ إنَّهم يضطرون أبناءهم ومن يسمعهم إلى المعرفة اضطراراً، وهي ليست معرفة عابرة، بل فيها نفع كبير؛ لأنَّ أغلبهم سكان بوادٍ، تؤزّهم الحاجة إلى أن يأكلوا نبات الأرض في كثير من الأحيان، فإذا أدركوا ضروب النبات، وعرفوا النافع والضَّار، تكيّفوا مع هذه البيئة. ولن ينسوا – على تقدير القائل في الأقل– ما قيل في هذه النبتة؛

---

(٦٧) اليَنَمة: عُشبة من البقول، إذا رعتها الماشية كثرت رغوة ألبانها.

(٦٨) مجالس ثعلب، القسم الأول ٢٨٥، واللسان (ينم)، وحدائق الآداب ٢٠٣ وفيهما "بعد العتمة". وأغبق: من الغبوق، وهو شرب العشيّ، والعَتَمة: ثُلث الليل الأول، والثُّمال كهيئة زبْد الغنم. والمعنى: دَرِّي يُعَجّل للصبي؛ لأنَّه لا يصبر.

لأنَّ الصياغة قريبة إلى نفوسهم، وهي لا تخلو – حين يتخيّل السامع الينمة فتاةً تخطر متمايلة، وتتحدث متغنِّجة– من إشاعة بهجة وأنْس، قد يكونون – على توالي السنين، وتواتر الحروب– في مسيس الحاجة إليها.

٤-٣ وحتى المرض صار في خيال العربي شاعراً، فالحُمّى تقول: "أنا أمّ مِلْدَم: آكلُ اللحمَ، وأمصُّ الدم"(٦٩).

إنَّ تأمّل هذا التعبير الموجز في جمل ثلاث، يضع بين أيدينا نتائج مهمة عن أساليب العرب في أسجاعهم الاجتماعية، فهم كنّوا الحُمَّى أول الأمر، وجعلوها تعرِّف السامع بنفسها، فصارت بهاتين الصفتين كالبشر، أو هي بَشَر، فهي ذات كُنية مثلهم، والكُنية كرامة لصاحبها(٧٠)، وكنيتها مفزعة، لأنَّ اللَّدْم هو ضرب الخدِّ(٧١)، وضربه لا يكون في الغالب إلا عند حلول المصائب، ثم هي تعرِّفهم نفسَها بصفتين شديدتَيْ الوقع، فهي تأكل اللحم (لحمهم)، وتمصُّ الدم (دمَهم).

وشعرية التعبير هنا في كونها تمثُّل تجاه السامع كريهة المنظر، وهنا تبدو المفارقة اللفظية؛ فالمعنى المقصود مخالف للمعنى الظاهر(٧٢)، إذ تُكَوِّن هذه الجمل صورة فنية، ينشط لها الخيال – فنياً– وإن كانت تثير الفزع – واقعياً– ، وهذا ما أراده الساجع؛ فهل كان قاصداً لغير إحداث الأثر بطريق اللغة وطاقاتها الفنية؟

---

(٦٩) اللسان (لدم).

(٧٠) انظر: ربيع الأبرار ٣٨٣/٢.

(٧١) اللسان (لدم).

(٧٢) انظر: المفارقة والأدب ٢٦.

٤- ٤ ومن أسجاعهم الأخرى قولهم: "الأزواج ثلاثة: زوجُ مَهْرٍ، وزوجُ بَهْرٍ، وزوجُ دَهْر"(٧٣).

إنَّها تعبيراتٌ محكَمة موجزة، وكأنَّها نبراس أو دستور للنساء، يتعاملن به مع من يرغب في الزواج بهنّ، ولكنه دستور يتوسّل بشعرية التعبير، مفيداً من طاقات اللغة ومخزونها اللفظي، الذي يُسعف القائل في انتقاء ما يوفِّر له إيقاعاً سجعياً فيه لزوم ما لا يلزم، وذلك أدعى لعلوقه بالأذهان، وتأثيره في القلوب قبل الأسماع.

خاتمة:

عاش العرب في بلاد مجدبة، تطغى عليها الصحراء، ولا يكاد المطر يجود فيها؛ ولهذا حاولوا تطرية جفافها بكلام موقَّع مسجوع، لا يرضى بأن يصف تلك الأحوال بمنطق عادي، بل يملؤه بكلِّ ما اقتدر عليه من صنوف الإبداع الفني، وهو ما استعَرْتُ له مصطلح (الشعْرنة).

إنَّ شعْرنة الحياة ظاهرة في هذه النصوص، وهي شعْرنة تجنح إلى تخفيف آثار تقلّب الحياة، وتواتر صروفها، وتبدّل مظاهرها، ويُقصَد بها تسهيل صعابها، بإضفاء هذه الصبغة الشعرية على أوصافهم لمظاهر الكون، وصنوف الموجودات من حيوان ونبات وغيرهما.

(٧٣) اللسان (بهر). وزوج مهر: رجل لا شرف له، فهو يُسني المهر ليُرغَب فيه، وأما زوج بهْر فالشريف وإن قلَّ ماله تتزوجه المرأة؛ لتفخر به، وأما زوج دهر فكفؤها. وقيل في تفسيره: يبهر العيون بحسنه، أو يُعَدُّ لنوائب الدهر، أو يؤخذ منه المهر.

لقد أصبح كلُّ شيء في حياة العرب نابضاً بالحياة، فتقلّب الأنواء وما يتبعها من شدائد وغيرها، يصير لوحاتٍ فنية بديعة، والقمر يتكلم بمنطق البلغاء، والحيوان قادر على مجاذبتهم القول، بفصاحة وبلاغة، والنبات يفخر، والمرض يهدِّد...

وليس كلام هذه الكائنات مجرّداً من المشاعر والإحساس العالي، بل هو ضاجّ بمشاعر فيّاضة، ورغبات دفينة، تجعل الباحث يعدلُ إلى تفسيره تفسيراً رمزيّاً.

وهذه الأسجاع تشترك في اتصالها بالحياة، ومزاوجتها بين التجربة الشخصية، والقدرة الذهنية(٧٤)، وفي اعتمادها الإيحاء، وتحريكها قوى الحدس عند المتلقِّي(٧٥)؛ لاعتمادها لغة فنية عالية، تفجِّر طاقات اللغة، وتفيد من ذخائرها البيانية. وهي بهذا "تكشف عن المعنى الأعمق للحياة، وتقود إلى بعث الخير والجمال فيها بطريقة مخصبة"(٧٦).

ويمكن أن نعُدَّ هذه الأسجاع بألوانها المختلفة ضروباً من ثقافة شعبية، تشكِّل إرثاً تاريخياً لا يمكن إغفاله، بعد أن أسهمت في صياغته التجارب والملاحظات الدقيقة، والقدرات البلاغية والبيانية العالية.

الملحق الأول

الأسجاع في الأنواء:

قال فقيه العرب:

---

(٧٤) انظر: محاورات مع النثر العربي ٣٥٣.

(٧٥) راجع: الصورة الفنية في النقد الشعري٨٩-٩٠.

(٧٦) الصورة الفنية في النقد الشعري ٨٨-٨٩.

إذا طلع النجم، فالحَرُّ في حَدْم، والعُشبُ في حطْم، والعاناتُ في كَدْم[٧٧]. وأضيف في بعض الروايات: فالبرد في هدم، والفلاحون في ضجم، والعشب في صلْم[٧٨].

إذا طلع النجم، اتُّقِيَ اللحم، وخِيفَ السُّقْم، وجرى السرابُ على الأكْم.

إذا طلع النجم غُدَيَّة، ابتغى الراعي شُكَيَّة[٧٩].

إذا طلع النجمُ غُدَيّا، ابتغى الراعي سُقَيّا.

إذا طلع النجم عشاءً، ابتغى الراعي كساءً.

إذا أمسى النجمُ بقَبَل، فشهرُ فتىً، وشهرُ جَمَل[٨٠]، وإذا أمسى النجمُ بدَبَر، فشهرُ نَتاجٍ وشهرُ مطر[٨١]، وإذا أمست الثرَيّا قمّةَ راس، فليلةُ فتىً وليلةُ فاس. وقيل: إذا أمسى النجم قمَّ رأس، فليلُه فتىً وفأس[٨٢].

إذا طلع الدَّبَران، توقَّدت الحِزَّان، واستعرَت الذِّبّان، ونشَّت الغُدران، وترامت بأنفسها حيث شاءت الصبيان[٨٣].

---

(٧٧) الحدم: توقّد النار، والحطْم: التكسّر، والعانات جمع عانة، وهي القطيع من حُمُر الوحش، والكدْم: أن يعَضَّ بعضُها بعضاً.

(٧٨) من معاني كلمة (ضجْم) اعوجاج في الأنف والشدق، وقد يكون المراد بها تمعّر وجوههم لما تقاسي نعَمُهم من شدة الحر. والصلم: القطع.

(٧٩) الشُّكَيَّة مصغّر (شكْوة)، وهي وعاء من جلد كالدلو أو القربة الصغيرة. يُراد أنه لا يستغني عن الماء.

(٨٠) بقَبَل: أي أول الليل في الربع الشرقي من السماء، وحينئذ يكون اغتلام الفتيان وهيجان الإبل. وقيل في تفسيره غير هذا.

(٨١) بدبَر: أي أول الليل في الربع الغربي من السماء مدبرة للغروب، وحينئذ يكون وقت نتاج الغنم، ووقت المطر.

(٨٢) يعنون أنَّ الفتى يحتطب فيها بالفأس؛ لأنَّه لا بدَّ فيها من الصِّلاء.

إذا طلعت الهقْعَة، تقوَّض الناسُ للقُلْعة، ورجعوا عن النُّجْعة، وأورست الفقعة، وأردفتها الهنعة[٨٤].

إذا طلعت الهنعة، طلب الناسُ النُّجْعة، وأحبّوا إلى الوليف الرجعة[٨٥].

إذا طلعت الجوزاء، توقَّدت المعزاء، وكنَست الظِّباء، وعرِقت العِلْباء، وطاب الخباء[٨٦].

وقيل: طلعت الجوزاءُ، ووافى على عُودٍ الحِرباء. وقيل: وأوفى على عوده...

إذا طلعت الذِّراع، حسرت الشمسُ القناع، وأشعلتْ في الأفق الشعاع، وترقرق السرابُ بكلِّ قاع.

إذا طلعت الشِّعرى، نشف الثرى، وأَجَن الصَّرى، وجعل صاحب النخل يرى[٨٧].

وقيل: إذا طلعت الشِّعرى سفَرا، ولم ترَ مطراً، فلا تغْذُوَنَّ إمَّرةً ولا إمَّراً، وأرسل العُراضاتِ أثراً، يبغينك في الأرض مَعمَراً. وقيل: فلا تُلحِق فيها إمَّرةً ولا إمَّرًا، ولا سُقَيْباً ذَكَرا[٨٨].

---

(٨٣) الحِزّان: جمع حَزِيز، وهو الغليظ من الأرض، ونشَّت: نضبت.

(٨٤) وتقوّضوا للقلعة: قوضوا بيوتهم للرحيل، والإيراس: الاصفرار، والفقعة: ضرب من الكمأة، والهنعة هي رأس الجوزاء.

(٨٥) نُقِل أنَّه لم يُؤثر في الهنعة سجع، وفُسِّر ذلك بأنهم اكتفوا بما قيل في الجوزاء التي يعنون بها الهقعة والهنعة. انظر: الأنواء والأزمنة ٩١. وهذا السجع الذي هنا لم أجده إلا في نثر الدر، وفي تركيب الجملة الأخيرة ما يوحي بأنه قيل في زمن متأخر، فلفظ (الوليف) أشبه بالعاميّ منه بالفصيح.

(٨٦) المَعْزاء: الأرض الصلبة، وكَنَست: لزمت كُنُسها هرباً من الحر، والعِلْباء عصب العنق.

(٨٧) أجَن: تغيّر، والصَّرى: الماء الذي طال استنقاعه.

إذا طلعت النثرة، قَنَأت البسرة، (وقيل: شَقَّحت البُسْرة) وجُنِيَ النخلُ بُكرة، وأوَتِ المواشي حَجْرة، ولم تُترك في ذات دَرٍّ قطرة[٨٩].

إذا طلعت الطَّرْفة، بكَّرت الخُرْفة، وكثُرت الطُّرْفة، وهانت للضيف الكُلْفة. وقيل: حسُنت السعفة، وصار التمر تُحفة.

إذا طلعت الصَّرفة، احتال كلُّ ذي حِرفة، (وقيل: اختال كلُّ ذي خُرْفة)، وجفَر كلُّ ذي نُطفة، وامتيز عن المياه زُلفة[٩٠].

إذا طلعت العُذْرة، فعُكَّةٌ بُكرة، على أهلِ البصرة، وليس بعُمانَ بُسرة، ولا لأكّارٍ بها بذرة، (وقيل: بُرّة)[٩١].

إذا طلعت الجبهة، تحانَّت الولَهَة، وتنازَت السَّفَهَة، وقلّت في الأرض الرُّفْهَة[٩٢]. وقيل: أرطبت النخلة، وحسن النخل حمله[٩٣]. وقيل: لولا نوء الجبهة، ما كان للعرب رفهة.

إذا طلع سُهَيل، طاب الليل، وجرى النَّيْل، وامتنع القَيْل، وللفصِيل الوَيْل، ورُفع كيْل، ووُضِع كيلٌ وقَيْل[٩٤]. وقيل: برد الليل، وخِيف السيل، وكان لأم الحوار الويل[٩٥].

---

(٨٨) الإمَّر: الذكر من ولد الضأن، والأنثى إمَّرة، والعُراضات: الإبل، والمَعمَر: المنزل بدار معاش، والسُّقَيب: مصغَّر سقْب، وهو ولد الناقة.

(٨٩) قنأت: احمرّت، وشقَّحت: لوَّنت بحمرة أو بصفرة ، الحَجْرة: الناحية.

(٩٠) جفر الفحل: عدل عن الضِّراب، والامتياز: التنحّي، والزّلفة: أدنى منزلة.

(٩١) العَكّة: هجير من غير ريح، والعكة بالبصرة: كرب يصيبهم أيام شدة الحر في وجه الصبح، معه ندى يكاد يأخذ بالأنفاس، والأكّار: الزَّرّاع.

(٩٢) الولَهَة: جمع واله، وهي التي فقدت ولدها، فكاد لبنها يذهب جزعاً، والسفهة جمع سفيه، وإنما ينزو أي يثِبُ بعضهم على بعض بطراً؛ لأنَّهم في خصب من اللبن والتمر، والرُّفْهة: واحدة الرُّفَه، وهو ما بقي من المداوس من التبن بعد إخراج الحب منه.

(٩٣) كذا، وهي رواية نثر الدر، و أغلب ما فيه مصحَّف أو محرّف.

(٩٤) الفصيل: ولد الناقة إذا فُصِل عن أمِّه، وجُعِل له الويل؛ لأنَّه حين يُفصل عن أمِّه يهزُل، والقيل: نومة الظهر، وقِيل: الشرب في ذلك الوقت.

(٩٥) الحُوار: ولد الناقة.

إذا طلعت الزبرة، طابت التمرة.

إذا طلعت الخراتان، أُكِلت أمُّ جِرذان[٩٦]. وزيد في رواية: وتزيَّنت القنْوان.

إذا طلعت العوّاء ضُرِب الخباء، وطاب الهواء، وكُرِه العراء، وشنَّن السِّقاء[٩٧]. وقيل: لم يبق في كرْم جَناء، واكتنس الظِّباء، وأمن على عوده الحِرباء[٩٨].

إذا طلع السِّماك، ذهبت العِكاك، واستفاهت الأحناك، وقلَّ على الماء اللِّكاك[٩٩].

إذا طلع الغَفْر، جاد القطْر.

إذا طلع الغَفْر، اقشعَرَّ السَّفْر، وتربَّل النضْر، وحسُن في العين الجمر[١٠٠].

إذا طلعت الزُّبانى، أحدَثتْ لكلِّ ذي عيالٍ شانا، ولكلِّ ذي ماشيةٍ هوانا، وقالوا: كان وكانا، فاجمع لأهلك ولا تَوانى.

إذا طلع الإكليل، هاجت الفحول، (وقيل: هبّت) وشُمِّرت الذيول، وتُخُوِّفت السيول.

إذا طلع القلب، جاء الشتاء كالكلب، وصار أهل البوادي في كرْب، ولم تُمكِّن الفحلَ إلا ذاتُ ثرْب[١٠١].

---

(٩٦) الخراتان: نجمان من كواكب الأسد، واحدتهما خراة، وأم جرذان: نخلة بالحجاز، يتأخر إدراكها.

(٩٧) قال أبو حنيفة الدينوري: قيل للعواء عواء البرد؛ لأنَّ البرد مسترعف بها، فإذا هي طلعت لم يأتِ يوم إلا وهو منه في شباب، إلى أن تتناهى في بَرَكِّي الشتاء. ربيع الأبرار ٨٨/١. وشنّن السقاء: يبس وبرد.

(٩٨) جناء: جنى، واكتنست الظباء: لزمت كُنُسها هرباً من الحرّ.

(٩٩) العكاك: جمع عكّة وعينها مثلثة، وهي شدة الحرّ مع سكون الريح، واستفاهة الأحناك: شهوة الطعام، واللكاك: التزاحم والتدافع.

(١٠٠) السَّفْر: المسافرون، وتربَّل: نبت له ورق.

(١٠١) ذات ثرب: أي سمينة، وخُصَّت بتمكين الفحل؛ لأنَّها أحمل للبرد من الهزيلة.

إذا طلع الهرّاران[١٠٢]، هزلت السمان، واشتدّ الزمان، ووحْوحَ الوِلْدان[١٠٣].(وقيل:جُوِّع الولدان).

إذا طلعت الشَّوْلة أعجلت الشيخَ البوْلة، واشتدَّت على العيال العَوْلة، وقيل شتْوةٌ زَوْلة[١٠٤]. وقيل: أتاك الشتاء بصوْلة، وخرج النحل وللطير عليهنَّ دولة.

إذا طلع العقرب، جمَسَ المِذْنَب، وقرَّ الأشيب،(وقيل: قرُب)، ومات الجُندُب[١٠٥].

إذا طلعت النعائم، التَطت البهائم[١٠٦]، من الصقيع الدائم، وخلص البرد إلى كلِّ نائم، وتلاقت الرعاء بالنمائم.(وقيل: توسَّفت التهائم)[١٠٧]. وقيل: ابيضَّت البهائم، من الصقيع الدائم، وأيقظ البردُ كلَّ نائم. وقيل: إذا طلعت النعائم، تمَّ الليل للنائم، وقصُر النهار للصائم، وابيضَّت...، وقيل: إذا طلع النعام، كثر الغمام.

إذا طلعت البلدة، حمّمت الجعدة، وأُكِلت القِشْدة، وقيل للبرد: اهْدَه[١٠٨]. وقيل: إذا طلعت البلدة، زَعِلت كلُّ تُلْدة، وقيل: علت الناسَ بُلدة[١٠٩]. وقيل: إذا طلعت البلدة، علت الناس بلدة.

---

(١٠٢) هما: قلب العقرب والنسر يطلعان معاً. وحرِّفت الكلمة في بعض المصادر إلى (الهزاران، والهداران)، وإنما سُمِّيا (الهرارين)؛ لهرير الشتاء عند طلوعهما. انظر: الأنواء والأزمنة ١١٠.

(١٠٣) وحوحة الوِلدان: حكاية أصواتهم إذا قالوا (أح أح) من البرد.

(١٠٤) العَوْلة: الحاجة، والزَّوْلة: المنكرة.

(١٠٥) جمَس: جمد، والمِذْنَب: مجرى الماء إلى الرياض، والأشيب: الثلج والجليد.

(١٠٦) التَطَت: لصق بعضها ببعض.

(١٠٧) توسّف التهائم: تقشر وجه الأرض من شدة البرد.

(١٠٨) الجعدة: نبت، وحمَّمَت همَّت بالإطلاع، واهده: أي اهدأ؛ لشدة ما يقاسون منه.

(١٠٩) زعلت: نشطت، والتلدة: تلاد المال، وأراد به أن المواشي تنشط في هذا الوقت. والبلدة من التبلد، يريد أنَّ أيام هذا الوقت تطاولت، فضاقوا به، وعلتهم بلدة.

إذا طلع سعد الذابح، حمى أهلَه النابح، ونفع أهلَه الرائح، وتصبَّح السارح، وظهرت في الحيّ الأنافح. وقيل: انحجزت الضوابح، ولم تَهِرَّ النوابح، من الشتاء البارح(١١٠).

إذا طلع سعد بُلَع، اقتحم الرُّبَع، ولحق أهلَه الهُبَع، وصِيد المُرَع، وصار في الأرض لُمَع. وقيل: تشكّى كلّ رُبع(١١١).

إذا طلع سعدُ السعود، نضر العود، ولانت الجلود، وكَرِهه الناسُ في الشمس القعود.

إذا طلع السعد، كثُر الثَّعْد(١١٢).

إذا طلع سعدُ السعود، ذاب كل جمود، واخضرَّ كلُّ عود، وانتشر كلُّ مَصْرود(١١٣).

إذا طلع سعدُ الأخبية، زُمَّت الأسقية، (وقيل: رُمّت، وقيل: دُهِنت)، ونُزِلت (وتدلَّت) الأحْوِية، وتجاورت الأبنية(١١٤).

إذا طلعت الدَّلْو، هِيبَ الجَزْو، وأنسَلَ العفو، وطلب الخِلْوُ اللهو(١١٥).

---

(١١٠) الأنافح: جمع إنْفَحة، وهي صغار الضأن والمعز حين ترعى النبت، أو هي شيء أصفر يخرج من بطن الجدي، ولا يخرج إلا بعد أن يرعى الربيع في أوّله، والضوابح: الثعالب وظباء الجبال.

(١١١) اقتحام الرُّبَع: إسراعه في عدْوه، لأنَّه قد قوي، والرُّبَع: ما نتج في أول النتاج، والهُبَع: ما نتج في آخر النتاج، وهو ضعيف، والمُرَع: نوع من الطير أكثر ما يرى في الخضرة والعشب، وصار في الأرض لُمَع: كناية عن العشب.

(١١٢) الثعد: العشب الغض.

(١١٣) المصرود مَن آذاه الصرْد والصَّرَد، وهو البرْد.

(١١٤) الأسقية: جمع سقاء، وهو القربة ونحوها، وإنما تُدهَن لأنَّها تكون قد يبست في الشتاء، والأحوية: جمع حِواء، وهو القطعة من بيوت الأعراب تكون مجتمعة.

(١١٥) الجَزو: أصله الجَزْء، وهو الرَّطْب، والمعنى أن الجزو يجفّ في هذا الوقت، فيُخاف ألا تجتزئ به الإبل من الماء، كما كانت تجتزئ به قبل ذلك، إذ كان رطباً، والعفْو: ولد الحمار، وإنساله أن يسقط وبَره. واللهو: الزواج، وإنما يطلب الخِلو الزواج حينئذ، لأنَّه يكون قد خرج من ضيق الشتاء، وأمكنه التصرُّف.

وقيل: إذا طلعت الدَّلْو، فالربيع والبدو، والصيف بعد الشتو.

إذا طلعت السمكة، أمكنت الحركة، وتعلَّقت الحسكة، ونُصِبت الشبكة، وطاب الزمان للنَّسَكة[١١٦].

إذا طلع الحوت، خرج الناس من البيوت.

إذا طلع الشرطان، استوى الزمان، وخضِرت الأغصان (وحُضِرت الأعطان أو الأوطان)، وتواقدت (وتوافت) الأسنان، وتهادت الجيران، وقيل: هان الزمان، وبات الفقير بكلِّ مكان. وقيل: طلع الشرطان، وأُلقِيت الأوتاد في الأغصان[١١٧]. وقيل: ألقت الإبل أوبارها في الأعطان، ويوشك أن يشتدَّ حرُّ الزمان.

طلعت الأشراط، ونقصت الأنباط[١١٨].

إذا طلع النطح، انتشر السرح، وكثر اللقح[١١٩].

إذا طلع البُطين، اقتُضِيَ الدَّين، وظهر الزَّيْن، واقتُفِي بالعطّار والقَيْن[١٢٠]، وتزيَّنت الأرض كلَّ الزين. وقيل: طلعت الأرضُ بكلِّ زين، وحسُنت في كلِّ عين[١٢١].

---

(١١٦) الحَسَكة: شوك السعدان، تتعلق بالثوب وغيره، لأنَّه وقت شدتها، ونصب الشبكة كناية عن القدرة على صيد فراخ الطير، وطيب الزمان للنسَكة لأنَّهم يتمكنون من الحركة والسياحة في الأرض.

(١١٧) حضور الأوطان كناية عن الرجوع عن البوادي إلى أوطانهم، لأنَّ مياه الغدران تقل حينئذ.

(١١٨) الأنباط: المياه المستخرجة من الأرض كالآبار.

(١١٩) النطْح هو الشرطان، ومعنى السجع يُخالف ما نُقِل عن التشاؤم به. انظر: اللسان (نطح).

(١٢٠) الاقتفاء: الكرامة واللطف، والقين: الصانع لكل شيء، واقتضاء الدين دلالة على أنهم بعد رجوعهم إلى أوطانهم يقاضي بعضهم بعضا، ويكرمون العطار والقين، لحاجتهم إليهما.

(١٢١) **مصادر الأسجاع:** وردت هذه الأسجاع باختلاف في العدد والرواية في: المخصص ٩/ ١٥-١٧، والأزمنة والأمكنة ٢/١٦٧-١٧١، والأنواء والأزمنة ٦٦-٦٩، ٧٣- ٧٦، ٨٠- ٨٨، ٩٠- ٩٩، ١٠١-١١٣. وربيع الأبرار ١/ ٥٧-٥٩، وحدائق الآداب ١٥٥-١٦٢، والتذكرة الحمدونية ٧/٣٥٨-٣٥٩، واللسان (رفه، جرذ)، ونثر الدر ٦/٢٩٥-٣٠١، والمزهر ٢/٥٢٩-٥٣٠، ومصادر أخرى تركت ذكرها جنوحاً إلى الاختصار.

الملحق الثاني

أسجاع العرب في ليالي القمر:

قيل للقمر: ما أنت ابنَ ليلة؟ فقال: رضاع سُخَيْلة، حلَّ أهلُها برُمَيْلة(١٢٢).

قيل: فما أنتَ ابنَ ليلتين؟ قال: حديثُ أمَتَيْن بكذِبٍ ومَيْن(١٢٣).

قيل: فما أنتَ ابنَ ثلاث؟ قال: حديث فتيات غير جِدِّ مؤتلفات. وقيل: قليل اللباث.

قيل: فما أنت ابن أربع؟ قال: عتمة أمِّ رُبَع، غير جائع ولا مُرضَع(١٢٤). وقيل: غير حُبْلى...

قيل: فما أنتَ ابنَ خمس؟ قال: عشاء خَلِفات قُعْس. وقيل: حديث أُنْس(١٢٥).

قيل: فما أنتَ ابنَ ستّ؟ قال: سِرْ وبِتْ. وقيل: اسْرِ وبت.

قيل: فما أنتَ ابنَ سبع؟ قال: دُلْجة الضَّبُع. وقيل: هُدىً لأنْسِ ذي الجمع.

قيل: فما أنتَ ابنَ ثمان؟ قال: قمرٌ إضحيان(١٢٦).

قيل: فما أنتَ ابنَ تسع؟ قال: مُنقَطَع الشِّسْع، وقيل: يُلتَقَط فيَّ الجَزْع.

قيل: فما أنتَ ابنَ عشر؟ قال: ثلث الشهر. وقيل: مُخَنِّق الفجر، أو: مُحْنِق الفجر، وقيل: أؤديك إلى الفجر، وقيل: إلى اثنتي عشرة يُلتَقَط الجَزْع.

---

(١٢٢) سُخيلة: مصغَّر سخْلة، وهي الشاة أول ما تُولد.

(١٢٣) المَيْن: الكذب.

(١٢٤) أم رُبَع: الناقة، وعتمتها تأخير حلبها.

(١٢٥) الخَلِفات: النوق إذا استبان حملها، وقُعْس: جمع قعساء: وهي التي دخل ظهرها وخرج بطنها.

(١٢٦) إضحيان: مضيئة مقمرة.

قيل: فما أنتَ ابنَ إحدى عشرة؟ قال: أطلع عشاءً وأُرى بُكرة، وقيل: وأغيبُ بسُحْرة.

قيل: فما أنتَ ابنَ اثنتي عشرة؟ قال: فُوَيق البشر، في البدو والحضر.

قيل: فما أنتَ ابنَ ثلاثَ عشرة؟ قال: قمرٌ باهر، يَعشَى له الناظر. وقيل: يُعْشي الناظر.

قيل: فما أنتَ ابنَ أربع عشرة؟ قال: مقتبِلُ الشباب، أغشى دُجُنَّاتِ السحاب.

قيل: فما أنتَ ابنَ خمس عشرة؟ قال: تمَّ الشباب، وانتصف الحساب. وقيل: تمَّ التمام، ونفِدت الأيام.

قيل: فما أنتَ ابنَ ستَّ عشرة؟ قال: نقص الخلق، في الغرب والشرق.

قيل: فما أنتَ ابنَ سبعَ عشرة؟ قال: أمكنت المقتفِرَ القَفْرة.

قيل: فما أنتَ ابنَ ثماني عشرة؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء.

قيل: فما أنتَ ابنَ تسعَ عشرة؟ قال: بطيء الطلوع، بيِّنُ الخشوع.

قيل: فما أنتَ ابنَ عشرين؟ قال: أطلع سُحْرة، وأضيء بالبُهْرة[١٢٧].

قيل: فما أنتَ ابنَ إحدى وعشرين؟ قال: أطلع كالقبَس، يُرى بالغَلَس.

قيل: فما أنتَ ابنَ اثنتين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريثما أُرَى.

قيل: فما أنت ابن ثلاث وعشرين؟ قال: أطلع في قتَمة، ولا أجلو الظُّلْمة.

قيل: فما أنتَ ابنَ أربع وعشرين؟ قال: لا قمرٌ و لا هلال. وقيل: أُرى في تلك الليالْ، لا قمر ولا هلال.

قيل: فما أنتَ ابنَ خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل.

---

(١٢٧) البُهرة: وسط الليل.

قيل: فما أنتَ ابنَ ستٍّ وعشرين؟ قال: دنا ما دنا، فما ترى مني إلا سنا.

قيل: فما أنتَ ابنَ سبع وعشرين؟ قال: أطلع بُكَرا، ولا أُرى ظهرا.

قيل: فما أنتَ ابنَ ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس.

قيل: فما أنتَ ابنَ تسع وعشرين؟ قال: ضئيلٌ صغير، ولا يراني إلا البصير.

قيل: فما أنتَ ابنَ ثلاثين؟ قال: هلالٌ مستبين، وقيل: مستنير[١٢٨].

(١٢٨) **مصادر هذه الأسجاع:** وردت هذه الأسجاع إلى الليلة العاشرة في: المخصص، ٩/ ٢٩، والأيام والليالي والشهور ٦٢-٦٤، وأمالي المرتضى ٨١/١، و نثر الدُرّ ٥٩/٦، والتذكرة الحمدونية ٣٥٤/٧، وحدائق الآداب ١٦٥، واللسان (ربغ، عتم)، والمزهر ٥٣٠/٢-٥٣١. ونُقِل عن الزجاج: "لم تقل العرب في صفة ليلة بعد العشر"، التذكرة الحمدونية ٣٥٥/٧.

وورد ما قيل فيما بعد العشر منسوباً إلى الأصمعي وغيره في: التذكرة الحمدونية ٣٥٦/٧، والأزمنة والأمكنة ٦٢/٢-٦٣، وأمالي المرتضى ٨١/١، والمزهر ٥٣١/٢-٥٣٢. وفي بعض هذه المصادر تحريفات وتصحيفات، لم أرَ ضرورة لذكرها اختصاراً.

جريدة المصادر والمراجع

إحكام صنعة الكلام، أبو القاسم الكلاعي الإشبيلي (ت أواسط القرن السادس)، تحقيق: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

الأزمنة والأمكنة، أبو علي المرزوقي (ت ٤٢١هـ)، تحقيق محمد نايف الدليمي، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

أسماء النجوم في الفلك الحديث، عبد الرحيم بدر، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٥٩، ج١، ربيع الأول ١٤٠٤هـ/ كانون الثاني ١٩٨٤م.

أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط الأولى، ١٣٧٣هـ.

إنطاق الحيوان في تراثنا الأدبي، عبدالكريم الأشتر، مجلة الفيصل، العددان ٣٧١-٣٧٢، الجماديان ١٤٢٨هـ/ مايو-يوليو ٢٠٠٧م، ٤٦-٥٥.

الأنواء والأزمنة، عبدالله بن حسين بن عاصم الثقفي (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: نوري حمودي القيسي، ومحمد نايف الدليمي، دار الجيل، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

الأيام والليالي والشهور، الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي (ت بعد١٣٧٧هـ)، مكتبة الآداب، مصر، ط السابعة، د.ت.

البيان والتبيين، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط الرابعة ١٩٧٥م.

التذكرة الحمدونية، محمد بن حمدون (ت ٥٦٢هـ) تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى ١٩٩٦م.

جماليات الأسلوب، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

حدائق الآداب، عبدالله بن محمد بن شاهَمَرْدان الأبهري (ت أواخر القرن السادس)، تحقيق: محمد بن سليمان السديس، ط الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت. (مصورة عن طبعة مصطفى البابي الحلبي).

الرؤية الإنسانية في حركة اللغة، عالي سرحان القرشي، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، العدد ٣١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ربيع الأبرار وفصوص الأخبار، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد المجيد دياب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

الصورة الفنية في النقد الشعري، عبد القادر الربّاعي، دار العلوم، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق: عبدالعزيز المانع، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

عيون الأخبار، ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت. (مصورة عن نشرة دار الكتب المصرية).

قانون البلاغة في نقد النثر والشعر، محمد بن حيدر البغدادي (ت٥١٧هـ)، تحقيق: محسن غياض عجيل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

لسان العرب المحيط، ابن منظور (ت٧١١هـ)، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض، ط الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط الرابعة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

محاورات مع النثر العربي، مصطفى ناصف، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢١٨، رمضان ١٤١٧هـ/ شباط ١٩٩٧م.

المخصص، علي بن سيده (ت٤٥٨هـ)، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق، عمّان، ط الأولى، ١٩٩٩م.

نثر الدر، الآبي (ت٤٢١هـ)،ج٦ تحقيق: سيدة حامد عبد العال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩م.

النثر الفني في القرن الرابع(ج١)، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت،١٩٧٥.

العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية
في الأحاديث القدسية الشريفة

د. عبد المهدي هاشم الجراح
جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية
كلية العلوم والآداب – قسم العلوم الإنسانية

ملخص

Abstract

يهدف هذا البحث إلى دراسة العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية الشريفة، لما لهذه العلاقات من أهمية كبيرة في بناء النص، واتّساقه وانسجامه.

وتحقيقا لما سبق ذكره، تناول البحث بداية مفهوم العلاقات السياقية، ثم أهميتها نصيًا، وانتقل بعد ذلك لبحث النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية في الأحاديث القدسية الشريفة، وهذه النماذج هي: العلاقات السببية، والعلاقات المعجمية، وعلاقات التماثل الأسلوبي، وعلاقات التناص، وعلاقات التتابع الدلالي.

خلص البحث إلى أن هذه النماذج لها أهمية كبرى في الجوانب الإبلاغية والتواصلية للأحاديث القدسية، كما أنها أسهمت بطريقة جادّة في بناء نص الحديث من جهة، وجعله يؤثر في نفسية المستقبل من جهة أخرى.

THE CONSISTENCE RELATIONS AND ITS FUNCTIONAL FORMS IN (AL-AHADITH AL-QODSIYA)

The study aims at investigating the consistence relations and their functional forms in the Prophet Mohammads traditions revealed by Almighty Allah (al-ahadith al-qodsiya), because the importance of these relationships is very high in terms of content constructions.

To clarify that, the research has discussed the concept of consistency in terms of its importance. Therefore, the research has discussed the functional forms of these consistency in (al-ahadith al-qodsiya),These forms are: causal relationships, lexical relations, stylistic relations, intertextuality relations, and semantic chaining relations.

The main results of the study were concentrated on the aspects of intentionally, and continuity in (al ahadith al-qodsiya). Moreover, this study participates in text construction and the influence of the receptor psychology.

*keywords: consistence relationships -forms-function-ahadith-qodsiya, the text.

مقدِّمة:

يُعد بحث العلاقات السياقية من المرتكزات المهمة في الكشف عن طرق البناء النصي. انشغل عدد كبير من الباحثين في علم اللغة النصي أو لسانيات النص، في بحث أدوات بناء النص، واتّساقه وانسجامه، منهم: فان ديك، وروبرت دي بوجراند، ودرسلر، وبتوفي، إذ حاولوا جميعًا الكشف عن العلاقات النصية؛ لأنها هي التي تدعّم البنية النصية، التي تقوم على التماسك والانسجام؛ نظراً لأهميتها في تحقيق ما اصطلحوا على تسميته "بالكفاءة النصية".

نتيجة لما تقدم، ظهرت بل تولّدت رغبة أصيلة عند الباحث لدراسة العلاقات السياقية دراسة وظيفية، يُضاف إلى ذلك أنّ معظم ما قدّمته الدراسات في هذا السياق هو إشارات مبثوثة هنا وهناك، إذ لم يقم نفرٌ من الباحثين –في حدود اطلاعي – بجمع النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية، ودراستها في نص واحد دفعة واحدة، من هنا، فإن هذه الدراسة تسعى لجمع هذه النماذج، وتطبيق قواعدها على نص واحد، هو نص الحديث القدسي.

تم اختيار الأحاديث القدسية للدراسة والتحليل والتطبيق؛ لتضمنها مجموعة من النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية بطريقة ملفتة للنظر ومتميزة، كما أن الطرح الأسلوبي داخل نص الحديث فيه تميّز وفرادة، يُضاف إلى ذلك تميز أدوات التواصل والإقناع أيضاً. وقد اعتمد البحث في الجانب التطبيقي على الأحاديث القدسية التي اعتنى بنصّها وشرحها جمال عبد الغني مدغمش، وفي حدود اطلاع الباحث لم تتم دراسة الأحاديث القدسية دراسة لسانية، وضعت على عاتقها الكشف عن العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في نص الحديث، فتكون هذه الدراسة قائمة لإنجاح هذا الهدف المشار إليه.

وتجدر الإشارة إلى أن منهج البحث هو لساني لغوي وأسلوبي تناول البحث في البداية مفهوم العلاقات السياقية، إذ تم توضيح مفهوم العلاقة في النظر اللساني، وكذلك السياق، ثم أهمية العلاقات السياقية في النص، أي: وظائفها النصية. كما انتقل البحث بعد ذلك للجانب التطبيقي المتمثل بالكشف عن النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية في البنية النصية للأحاديث القدسية، وثبت أن هناك مجموعة من هذه النماذج وهي:

أ- العلاقات السببيّة.

ب- العلاقات المعجمية.

جـ- علاقات التماثل الأسلوبي.

د- علاقات التناص.

هـ- علاقات التتابع الدلالي.

وتم بحث هذه النماذج في موضعها من البحث بما يفيد.

أولاً: مفهوم العلاقات السياقية

تحديد مفهوم العلاقات السياقية يعيد المرء إلى مفهومين لسانيين مهمين هما: العلاقة والسياق، وهما يشكلان القاعدة البنائية الأساسية للنص أيًّا كان نوعه؛ لعلاقتهما المباشرة بتوفير مقوّمات السبك النحوي كاملة (The Cohesion strategics) واستراتيجياته؛ كونه "يُعنى بكيفية ترابط مكونات البنية السطحية نحويًا"[١]، إضافة إلى إسهاماته المباشرة في تنظيم عالم النص كاملاً [٢].

يتضح من تحليل الروابط النصية داخل النص، أن العلاقة هي العنصر أو المظهر النحوي الدلالي الذي يربط أجزاء النص على المستويين: الشكلي والدلالي، أي: على المستوى الخارجي والداخلي للنص[٣]، فهي التي تحدث

التماسك الذي هو في حقيقته "مجموعة من العلاقات اللفظية أو الدلالية بين أجزاء النص"[٤]، وبدونها يصبح النص مزقاً وأشلاء لا رابط بينها[٥]، وإذا اتّضح مفهوم العلاقة، فما هو السياق؟

قبل الشروع بذكر بعض التوجهات في تحديد مفهوم السياق، لا بدّ من تقرير حقيقة مهمة مؤداها: أنّ بحث السياق في علم اللسانيات والنحو يُعدّ من أعسر القضايا[٦]، وما يقوم به أي باحث من الباحثين في هذا المجال اللساني، هو "توضيح سياق الجمل الدلالي، الذي ينبّئ عن خصائصها التركيبية والمعنوية"[٧]، أي: الاعتماد على العلاقات الدلالية التي تقوم بين الألفاظ على مستوى الجملة، وبين الجمل على مستوى النص.

إذن، فالعملية هي عملية وصف لا أكثر، والدليل على ذلك أنك لا تظفر بتعريف جامع مانع للسياق حتىّ في أكثر المصادر التي هي مختصّة بعلم اللغة النصّي مثل: كتاب "النص والسياق" لفان ديك (Text and context)، وكتاب "مدخل إلى علم اللغة النصي" لفولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، وكتاب "التماسك في الإنجليزية" لهاليداي ورقية حسن (Cohesion in English). وعن طريق التّتبّع للوصف السياقي، ثبت للباحث أن الدراسات التي قدمت وصفاً للسياق وتحليلاً لعناصره، تثبت أنّ تحديد السياق ووصفه يعانيان من مشكلتين رئيسيتين هما: الانفتاح التام، أو الانغلاق التام، ولكن كيف؟

تميل بعض الدراسات إلى جعل السياق قاعدة لشبكة من العلاقات التي تُعنى بترابط المركبات النحوية والدلالية في بنية الجملة، وتقصره على التتابعات التركيبية داخل النص، فتقوم بإقصائه عن كل ما هو خارج هذه التتابعات، رغم فعالياتها في كثير من الأحيان في تكوين التماسك النصي، ومن هذا الاتجاه المنغلق تحديد المنصف عاشور للسياق، إذ يقول: "فالمقصود من السياق النحوي

كيفية التعليق بين المركبات النحوية في بنية الجملة العربية، فالجملة قاعدتها العلاقات المولّدة للأبنية والنماذج، وتلك النماذج مولدة للقوانين العامة التي تحدد نحو الجملة في إطار النظريات النحوية العربية وعلم اللسان العام"[٨]، وهذا ينسحب على النص، فيكون السياق مسؤولاً عن كيفية الترابط والتعليق بين المركبات النحوية الدلالية لسلسلة التتابعات الجملية المولّدة أصلاً من مقصدية النسج النصي المحكم؛ هذا على اعتبار نحو الجملة هو اللبنة الأساسية للنحو النصي، وقاعدته الصلبة التي ينطلق منها[٩].

وتحديد المنصف عاشور يجعل السياق قوّة ربط داخل النص، وقريب منه نظرة عياشي التي تميل إلى جعل السياق القوّة التي تنظم النص ضمن إطار التتابع النصّي الداخلي، دون ربط النص بما هو خارجه، ويبدو أن عياشي متأثّر أصلاً بتودوروف، يظهر هذا في تحديد عياشي لمفهوم النص قائلا: "النص شكل من أشكال الإنجاز اللغوي، يقيمه نظامه الخاص، وهو لأنه كذلك، فإنه يستغنى بلغته عن غيره"[١٠].

ويمكن القول: إنّ الاتجاهات البنيوية والشكلانية عمومًا تميل إلى جعل السياق مظهراً من العلاقات الداخلية اللغوية النصية الداخلية؛ لأن هذين الاتجاهين يميلان إلى إنكار إحالة النص إلى سياق آخر خارج نظامه اللغوي الخاص به[١١].

وبالمقابل، نجد اتجاهات تجعل السياق مظهراً علائقيًا منفتحًا، أي لا تقصره على التحكم بالعلاقات داخل النص، وإنما تجعله قوّة تنظم عالم النص داخليًا وخارجيًا، أي تربط النص بجميع أطراف معادلة الاتصال اللغوي مثل: المرسل، والمستقبل، والقناة (قناة الاتصال)، فهو وحدة اتصالية غير منحصرة في جمل النص، يقول كلر: "إن السياق الذي يحدد معنى الجملة لا ينحصر في جمل

النص الأخرى، بل إنه تركيب معقد من المعرفة والتأملات بدرجات مختلفة من التحديد، وهو بمثابة نوع من القدرة التأويلية"[١٢].

فالسياق هو قدرة أو قوة تربط النص بالعوالم المشكلة له، تربطه بالمعارف المكوّنة له، فلا ينحصر بالجمل المتتابعة داخل نطاق النص فحسب، فهو العلاقة التي تفسّر وتعزز الجانب الاتصالي للنص، وهذا ما يميل إليه كل من: فان ديك[١٣]، وآري فيرهان (Arie Verhagen) [١٤]، وروما ن كوبتكو (Roman Kopytko) [١٥]، وثوماس بلور وميريل بلور (Thomas Bloor and Meriel Bloor) * [١٦].

وقد كان الاتجاه واضحاً عند ديك إلى ربط النص بنظرية المعرفة أساسًا، أي بالسياق المعرفي؛ لأن النحو عنده أساسًا ليس كيانًا منغلقاً على نفسه، بل إن المرتكز النحوي عنده مرن جداً إلى أبعد حد[١٧]، وقد عزز هذا الاتجاه فاينريش في منهجه القائم على التجزئة النحوية للنص، فركز على السياقات الدلالية وارتباطاتها التواصلية في عملية تحديد النص أصلاً، أي أن وظيفة المرسل والمستقبل – أطراف معادلة الاتصال –هي فهم النص وإعادة بنائه أيضًا، فالنص عنده بنية منفتحة على سياقاتها التواصلية، إذ تتتابع الجمل داخل النص، وتترابط وفقاً لنظام يحدده السياق[١٨].

ويذهب الباحث إلى أن الاتجاه المنفتح في تحديد السياق، ووصفه هو الأكثر قبولا لسببين، الأول: أنه لا يهمل أثر العلاقات النصيّة نفسها داخل السياق النصي في بناء النص، كما أنه لا يعدها هي وحدها الأساس وكفى، الثاني: أنه

* هؤلاء من الباحثين في علم اللغة النصي.

ذو أثر تكاملي، فهو يدخل جميع العوامل والعلاقات التي تحيط بالنص، مما يضمن سلامة الفهم الصحيح له.

وما يهمّ البحث هنا، هو التأكيد على أن العلاقات السياقية هي علاقات متنوعة، وجميعها تسهم في اتّساق النص وانسجامه، وهذا يضمن سلامة التواصل كما سيأتي بيانه.

ثانيا: أهمية العلاقات السياقية في النص

يستنتج مما تقدّم بسطه، أن العلاقات السياقية هي الأساس في عملية بناء النص، فهي محور النص، وبدونها يظهر النص على أنه مقاطع صوتية غير مفهومة، ونتيجة للبحث والتحليل؛ فإنها تقوم بالوظائف التالية:

أ. إنتاج نص متماسك؛ لأنها تعطي النص سمة المقبولية الصحيحة، وما دام النص قد حصل على المقبولية من قبل المستقبل، فإن هذا يضمن – كما سبق ذكره – نجاح عملية الاتصال اللغوي، وذلك لتحقيق معايير النصية، أو الكفاءة النصية(١٩).

ب. تجعل النص شبكة نسيجية من الصعب فك عراها؛ لأنها تعزّز مسألة كون النص نسيجاً من المكونات اللفظية والدلالية التي تترابط فيما بينها لتشكّل النص؛ وذلك على اعتبار أن النص هو "نسيج من الكلمات يترابط بعضها مع بعض"(٢٠).

ج. إنّ الفعل النسيجي الذي تقوم به هذه العلاقات يعزِّز المنحى التداولي النصّي، ويؤدي إلى نجاحه واستمراره، فالحديث عن العلاقات السياقية ليس حديثاً عن علاقة لفظة بأخرى داخل الجملة، وإنما علاقة جملة بأخرى، ومعلوم أن مستخدم اللغة لا يتواصل مع غيره على أساس الجملة، وإنما يكون على أساس

النصـوص[٢١]؛ كمـا أنّ وجـود المكـوّن التـداولي إضـافة إلـى المكـونين النحـوي والـدلالي، سيؤدي إلـى تحديـد مـدى مناسبة الجمل والخطـاب للسياقات التواصلية المنجزة فعلاً، وهذا كلّه في النهاية يؤدي إلى التأثير الإيجابي في نفسية المستقبل، ممّا يجعله يتفاعل مع النص ويستمر.

د. تعمـل العلاقـات السـياقية علـى تحقيـق الفهـم الصـحيح للـنص، وتنظـيم أفكـاره، وتتابعاته الدلالية المختلفة[٢٢]؛ نظراً لما توفره من السبك (Cohesive) القائم على الإحالـــة، والحـــذف، والاســـتبدال، والـــربط، والاتســـاق المعجمـــي أو الانســـجام المعجمـي[٢٣]، وهـذا مـن شـأنه أن يجعـل الأجـزاء النصـيّة تقوم بوظائفها الحقيقية ضمن كلّ مرحلة من المراحل المنجزة.

لـذا، فإنّ دراسـة العلاقـات السـياقية تعنـي الكشـف عن الأدوات التـي تمكّن المرء من اكتشاف طرق بناء النص، ولِمَ يكون هذا النصُّ ناجحاً وذاك غير نـاجح؟ ولِـمَ يؤثّر هنـا النـص فـي الإنسـان فيدفعـه إلـى التواصـل؟ ولِـمَ لا يؤثّر ذاك النـص ويـدفع الإنسـان إلـى الملل؟ باختصـار، إن دراسـة هـذه العلاقـات هـي دراسـة لطـرق بناء النص، ودراسة لأدوات اتّساقه وانسجامه.

ثالثاً: النماذج الوظيفية للعلاقات السياقية في البنية النصية للأحاديث القدسية

يثبت النظر التحليلي النصي، وجود مجموعة من النماذج الوظيفية النصيّة للعلاقـات السـياقية داخـل بنيـة الحـديث القدسـي، وهـذه النمـاذج جميعهـا تـنظّم بنـاء نص الحديث، وتعطيه طـابع الاستمرارية والتواصل التأثيري، وأبرز هذه العلاقات هي:

أ- العلاقات السببيّة (causative Relations).

ب- العلاقات المعجمية (The lexical Relations).

ج- علاقات التماثل الأسلوبي (The stylistics similarity Relations)

د- علاقات التناص (The Intertextuality Relations).

هـ- علاقات التتابع الدلالي الخطي (The semantics chaining Relations)

وفيما يلي بحث لهذه النماذج بما يفيد.

أ- العلاقات السببية

يثبت التحليل اللغوي النصي للعلاقات القائمة بين الجمل أو التراكيب في بنية الحديث القدسي الشريف، أنّ العلاقات السببية تمثّل محور هذه العلاقات وقلبها النابض بالحركة والحيوية التي تعطي النص البعد الاتّساقي التماسكي، وهذا يوفر الأبعاد النحوية الحقيقية التي تعطي النص البعد التواصلي، مما يضمن سرعة التلقي والتأثير.

وبداية يمكن طرح التساؤل التالي: ما هي العلاقات السببيّة؟ وما هي المظاهر التي اتّفق علماء لغة النص على إثباتها؟ ثم ما هي نماذجها الوظيفية في الحديث القدسي؟

تُعدّ العلاقات السببية من العلاقات الدلالية المهمة التي تتضمن القيم الحقيقية لبناء الخطاب[٢٤]، بل إنّ خطّة قاعدة الوصل السببي داخل النصوص تقوم على إدراك العلاقة السببيّة التي تقوم بين الجمل (التراكيب) على مستوى الامتداد النصي[٢٥]. وهي وفقاً لمنظورات نصية أوسع، علاقات تقوم بين الوحدات النصية، فتربط القضايا النصية بعضها ببعض[٢٦]؛ لتركيزها المباشر على ربط المركبات القضوية النصية[٢٧].

تم تحديد أدوات الربط السببي وحصرها بمجموعة من الأدوات والعناصر، استنتجت عن طريق الاطّلاع والتحليل لما كتب في هذا الموضوع في

كتب علم لغة النص، وتشكّل هذه الأدوات مظهرين هما: الأدوات السببيّة الملفوظة، والأدوات السببيّة المقدّرة، وتتمثل الأولى باستخدام الأدوات الدالّة على السبب والتعليل جميعها، مثل: الفاء الدالة على السبب، والتلفّظ بـ "لأن"، و"حيث"[٢٨]، أما المقدرة فتتمثل برصد العلاقات السببيّة المنطقية الناتجة عن التعالق الحاصل بين الوحدات النحوية على مستوى أبعد من الجملة الواحدة، فإذا كانت العلاقات السببيّة اللفظية قائمة على استخدام أدوات التعليل الملفوظة، فإن العلاقات المقدّرة، تقوم على تحليل الدلالات الخاصة بالتراكيب، وملاحظة الالتحام التام القائم بين التراكيب والسياقات، وهذا يتطلّب وعياً من قبل المستقبل، وهذا ما أسماه جان كوهن بـ "الربط بالقران"[٢٩]، إلا أن كوهن لم يولِ أهمية كبيرة لدور المستقبل في عملية اكتشاف هذا النمط من العلاقات بخلاف براون ويول[٣٠] ودي بوجراند[٣١] وفان ديك[٣٢]، فهؤلاء ركّزوا على دور المستقبل في تحليل هذه العلاقات؛ لأنهم وجدوا أن دور المستقبل لا يقتصر على تحليل العلاقات داخل السياق اللغوي وحسب، بل يتعدّى ذلك فيدخل عناصر معرفية تواصلية أخرى في عملية التحليل والاستنتاج مثل: الشفرة اللغوية، وظروف الإنتاج، وطبيعته، وحالة المستقبل[٣٣]؛ وذلك لضمان اكتشاف العلاقات العلية المنظمة لعالم النص بحسب دي بوجراند إذ يقول: "إن كثرة اللحمات الدالة على العلية والزمانية تظهر أهمية هاتين العلاقتين لتنظيم عالم النص"[٣٤].

ويجد المتتبع لهذه العلاقات في الأحاديث القدسية، أثرها البارز في بناء النص وتنظيمه، ومن ذلك ما جاء في الحديث التالي:

"قَالَ أَبُو سَعِيْدٍ بنِ الأعْرَابي: حَدّثَنَا مُحَمَّدُ بْنِ عَبْدِ المْلَكِ بْنِ يزيدَ الرّوّاس –يُكنى أبا أسامة – قال أخبرنا حيوة بن شريح المصري أخبرنا بقية عن ضبارة بن عبد الله بن أبي سليك الألهاني قال: أخبرني ابن نافع عن ابن شهاب الزهريٌ قال سعيد بن المسيب: إن أبا قتادة بن ربعي أخبره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"قال الله عز وجل: إِنّي قَدْ فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْداً أَنّهُ مَنْ جَاءَ يحافظُ عليهنّ لوقتهنّ أدخلتُهُ الجنة، ومن لم يحافظْ عليهنّ فلا عهدَ له عندي" "[٣٥].

يُلحظ في هذا الامتداد النصي للحديث، وجود أثر بارز للعلاقات السببية في تنظيم النص، وقد تمثّلت بوجود الفاء الواقعة في جواب الشرط، باعتبارها عنصراً ملفوظاً، ثم سلسلة العلاقات المتتابعة والمتمثلة بالتتابع الدلالي التوضيحي؛ لأن سلسلة التراكيب المتتابعة، قد جاءت أساساً لتوضح فكرة "فرض الصلاة"، ويمكن توضيح ذلك عن طريق تحليل المضمون الدلالي لهذا الحديث كما يلي:

١-التبليغ بفرض الصلوات الخمس (تتابع وتفصيل سببي)

٢- التبليغ بفضل القيام بالصلوات، وهو الجنة (تتابع وتفصيل سببي)

٣- التبليغ بمصير من لم يحافظ عليهن (تتابع وتفصيل سببي)

فالمراحل جميعها هي مراحل تتابعية تفصيلية، والتراكيب جميعها توضح بعضها بعضاً، ووجود أسلوب الشرط يعزّز البنية السببية، يُضاف إلى ذلك خاتمة الحديث، والتي تتضمن التبليغ بمصير من لم يحافظ على الصلاة، وفي هذا ربط محكم للتراكيب جميعها، ولتوضيح أكثر لهذه المسألة، يمكن تلخيص ما تقدّم ذكره بما يلي: انبثق عن فرض الصلاة التفصيلات الخاصة بمصير الإنسان؛ فالمراحل جميعها إذن هي مراحل سببية، تقوم على تقدير العلاقات السببية التي تربط الأفكار التي تتضمنها التراكيب. ويؤكّد هذا النمط من العلاقات أنّ البنية السطحية للغة تتضمن بعض الروابط السببية الملفوظة على السطح[٣٦]، وهي تتآزر مع الروابط القارّة في البنية الدلالية العميقة القائمة بين المترادفات الدلالية، التي توصل إلى المعنى النهائي الموحد، رغم اختلاف التراكيب[٣٧]؛ وذلك وصولاً إلى بناء ناجح للنص.

ومما يعزّز العلاقات السببية داخل البنية النصية للحديث مسألة التدرّج الإسنادي في عرض الأفكار، لما تتضمنه من تسلسل منظّم، وتظهر جلية في التدرّج؛ لأن بنية التدرج هي بنية منطقية(٣٨)؛ فتحقُّق إحدى صور المعلومات داخل التتابع الجملي النصي يتوقّف على حدوث الأخرى(٣٩)، إذ تترابط المحتويات الدلالية للتراكيب الإسنادية بطريقة مقنعة ومؤثرة، ويلمح هذا في كل حديث من الأحاديث القدسية، ومن ذلك الحديث التالي:

"حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن محمد، قالا: حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله سبحانه: أَنَا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِي بي. وأنا معه حين يَذْكُرُنِي. فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نفسي. وإِنْ ذَكَرَنِي في مَلأ ذَكَرْتُهُ في مَلأ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وإِنْ اقْتَرَبَ إِليّ شِبْرًا اْقتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً. وإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً"(٤٠).

إذ تترابط التراكيب على تعدّد دلالاتها الجزئية مع اتفاقها في الفكرة الكلية التي هي: (حسنُ الظن بالله تعالى)؛ وذلك بفعل العلاقات السببية التي تربط الدوائر الإسنادية المشكلة لهذا الحديث، فالله عز وجل يكون عند ظن عبده به، فتنبثق من هذه الفكرة الدلالات الجزئية التي تحملها الأفكار المتتابعة، وهذه الأفكار هي:

١. إن الله مع العبد حين يذكره.

٢. إذا ذكر العبد الله عز وجل في نفسه ذكره الله في نفسه.

٣. إذا ذكر العبد الله عز وجل في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم.

٤. إذا اقترب العبد من الله شبراً اقترب الله إليه ذراعًا.

٥. إذا أتى العبد إلى الله ماشياً، أتاه الله هرولة.

فكل فكرة تُفضي إلى الأخرى وهكذا حتى نهاية الحديث، وهذه العلاقات تعزّز الوحدة الموضوعية لبنية الحديث الشريف، ومن ذلك ما جاء في خلق ابن آدم في بطن أمه، ونصّ الحديث المتضمّن لهذه الفكرة هو:

"حدّثنا آدم حدّثنا شعبة حدّثنا الأعمش سمعت زيد بن وهب سمعت عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه حدّثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم- وهو الصّادق المصدوق- "أنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً وأَرْبَعِيْنَ لَيْلَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثم يَكُوُنُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثم يُبْعَثُ إليه الملكُ فَيُؤَذِّنُ بأربعِ كلماتٍ فَيَكْتُبُ رزقَهُ وأجَله وعمَله وشقيّ أم سعيدٌ، ثم يَنْفُخُ فيه الروحَ فإنّ أَحَدَكُمْ ليعمل بعملِ أهلِ الجنةِ حتى لا يكونُ بينها وبينه إلا ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعمل بعملِ أهلِ النارِ فيدخلُ النارَ، وإنَّ أحدَكم ليعمل بعملِ أهلِ النارِ حتى ما يكونُ بينَها وبينَهُ إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتابُ، فيعمل عملَ أهلِ الجنةِ فيدخُلها"(٤١).

إذن، فالفكرة المحورية هي: خلق ابن آدم في بطن أمه، وتقوم العلاقات السببية بعملية الربط الإسنادي، فيحدث الربط بين التراكيب التي تحمل في دلالاتها المراحل التي يمر بها الإنسان وهو في بطن أمه، ولتعزيز هذا الترابط، أُتبعت هذه المراحل مباشرة بما يُرغّب الإنسان في فعل أفعال أهل الجنة، وترك أعمال أهل النار، وقد يكون السبب الأساسي الذي دفع إلى ذكر مراحل خلق الإنسان هو التذكير بالمراحل التي يمر بها وهو في بطن أمه، فيأخذ العظة والعبرة، فيتذكر قدرة الله دائمًا، وهذا يجعله يلتزم بعمل أهل الجنة، وترك عمل أهل النار، وهنا تتنامى مسألة التعالق السببي، لتصل إلى ذروتها، فتكون العلاقة التي تربط جزأي الحديث هي علاقة السبب بالنتيجة، فيكون سبب ذكر مراحل خلق الإنسان – كما سبق ذكره- هو تذكيره بقدرة الله عز وجل في الخلق، فتكون بذلك العلاقات السببية قد نظّمت جميع أجزاء الحديث، وربطت بعضها بعضاً أيضاً، ويمكن تمثيل ذلك بالشكل التالي:

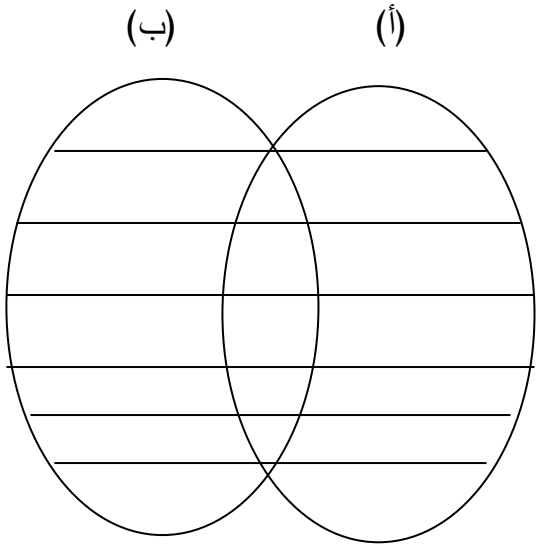

فالدائرة (أ) تمثّل مراحل خلق الإنسان، وكل ما يحيط بأمور حياته من الرزق والشقاء والسعادة، والدائرة (ب) تمثّل عمل الإنسان، والتداخل الحاصل بين الدائرتين يمثل العلاقات السببية التي تربط جزأي الحديث، أما الخطوط العرضية (الأفقية) التي تتخلل الدائرتين فتمثل أيضا العلاقات السببية التي تربط التراكيب النصية. وهذا يثبت أن العلاقات السببية تمثل الجانبين: الظاهر والخفي للروابط النصية، أي أن الربط قد يكون بالأداة وقد لا يكون بها، فقد تكون رحلة الربط رحلة ذهنية تصوّرية، لا تعتمد على الربط المباشر، وإنما تعتمد على عدم المباشرة في الربط، وكل هذا يخضع لمحور التتابع الذي هو أصلا "العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض"(٤٢).

ومن مظاهر العلاقات السببية ظاهرة التفصيل بعد الإجمال، ولا يخفى ما لهذه الظاهرة من أثر بارز في وضع الإطار النصي الحقيقي للعلاقات السببية التي تخدم الموقف بعامة- إذ يتم ذكر نقطة محدّدة ثم تُتبع بتفصيلات خاصة بها، فتكون هذه النقطة الفكرية إجمالاً- يُتبع بالتفصيلات الخاصة به، ونماذجه كثيرة

في الحديث القدسي، ومن ذلك ما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل: "يَا ابنَ آدم اثنتانِ لمْ تكنْ لكَ واحدةً منهما: جعلتُ لكَ نصيباً منْ مالِكَ حينَ أخذتُ بكظمِكَ، لأُطهّركَ بـه وأزكّيكَ. وصلاةُ عبادي عليكَ بعدَ انقضاءِ أجلِكَ"(٤٣).

ففي قوله: (يا ابن آدم اثنتان لم تكن لك واحدة منهما) إجمال، وهو سبب للتفصيلات اللاحقة، فالاثنتان اللتان لم تكونا للإنسان هما: المال الذي يأخذه الله ليزكي به الإنسان، والصلاة على الإنسان بعد وفاته، وهاتان الاثنتان هما التفصيل (النتيجة)، المنبثق من الإجمال السابق، وهذا يمثل أعلى درجة من درجات التماسك والربط.

ب- العلاقات المعجمية

تتراءى عبر السياق النصي مجموعة من العلاقات اللفظية، وتقوم هذه العلاقات الخاصة بالألفاظ بربط التراكيب النصية، وعموماً، فإن علماء لغة النص حصروا هذا النمط من العلاقات بإعادة الذكر (التكرار) والتضام.

إعادة ذكر اللفظ أو التركيب نفسه بحسب دي بوجراند debeaugrande يتطلّب "وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد"(٤٤)، وله علاقة مباشرة بالتماسك المعجمي الذي يُعد الخطوة الأساسية في بناء الجملة والنص كاملاً(٤٥). وهو كما يصرّح كل من: هاليداي وحسن يتمثل بما يلي:

١. إعادة العنصر المعجمي نفسه.

٢. إعادة أو ورود مرادف له.

٣. إعادة عنصر شبه مرادف.

٤. إعادة عنصر مطلق.

٥. إعادة اسم عام[٤٦].

ولتوضيح هذه العلاقة نأخذ الحديث التالي:

"وحدّثني عن مالك عن سهيل ابن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أحبّ الله العبد، قال لجبريل: قد أحببت فلانا فأحبَّه، فيحبه جبريل. ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحبّ فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء. إن الله قد أحبّ فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يُوضع له القبول في الأرض". وإذا أبغض الله العبد قال مالك: لا أحسبه إلا أنه قال في البعض مثل ذلك"[٤٧].

فالتركيز على الجذر "**حب**" وإعادة ذكره بصيغ مختلفة؛ يحدث نوعاً من العلاقات السياقية الهادفة: (أحب، أحببت، فأحبه، فيحبه، أحب، فأحبوه، فيحبه)، وهذا النوع من العلاقات السياقية المعجمية يؤدي إلى استمرار السياق وعدم انقطاعه، فهو يعزّز الترابط النحوي المعجمي؛ لأنه يتضمن في ثناياه التتابعات الدلالية النحوية، فلا تبقى محصورة في إطار العلاقات الشكلية القابعة في اللفظ، وفي بعض مدلولاته كما هو متصوّر في بعض الدراسات[٤٨].

وهذا التتابع لهذه الصيغ، يثبت أن هذه الصيغ هي التي تنظم عالم النص، فهي تثبت الفكرة الأساسية القائمة على أساس: محبة الله لعبده، فالله عز وجل إذا أحبّ عبداً، حبّبه إلى عباده، ولترسيخ هذه الفكرة وتأكيدها؛ فإنه تم تكرير هذه الصيغة لتحمل في ثناياها الأفكار جميعها.

كما أن التدقيق في هذه العلاقة، يثبت أنها تؤثر في منظومة العلاقات الكلية التي تحكم بنية الحديث الشريف النصية، فهي التي استدعت أسلوب العطف، كما أنها عملت على تعزيز ظاهرة التعليق الشرطي وتعميق أثرها في اتّساق النص، وهذا يثبت أيضاً الأبعاد التكاملية التآزرية للعلاقات النصية، وصولاً

إلى نص هادف، يدفع إلى التواصل والتأثير، وما يؤكد ما تقدّم ذكره نصاً وفكرةً الحديث التالي:

"وحدّثنا محمدٌ بن رافعٍ: حدّثنا عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر أحاديث منها: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أدنى مقعدِ أحدِكم منَ الجنةِ، أنْ يقولَ لهُ: تمنّ. فيتمنّى ويتمنّى. فيقول له: هل تمنّيت؟ فيقول: نعم؟ فيقول له: فإن لك ما تمنّيت ومثله معه"(٤٩).

إن إعادة لفظ "التمنّي" بهذا التتابع يؤكد العلاقات السببية القائمة بين التراكيب المتتابعة، أو بين جزأي الحديث الشريف، فالجزء الأول: يبيّن مكانة الإنسان في أدنى مقعد في الجنة، والجزء الثاني: جاء ليبيّن هذه المكانة أو الوضع الذي يتمثّل بإعطاء الإنسان كل ما يتمنّى ومثله معه زيادة على ذلك، وقد جاء هذا التكرار ليعزّز فكرة أن كل ما يتمنّاه الإنسان سيحصل عليه.

ولعلّ هذا من أبلغ أنواع البلاغة في بنية الحديث القدسي الشريف، إذ يرتقي تكرير اللفظ والتركيب معاً؛ ليعزّز غاية أبعد وأعمق مما يتخيّله قارئ سطح التركيب، وهذا فيه بلاغة وإبلاغ (تأثير)، وحثّ على الالتزام بكل ما يوصل الإنسان إلى الحصول على كل ما يتمنّاه، فيحصل على الجنة، وكل ما يتمنّاه داخل الجنة، وهذا له علاقة مباشرة أيضاً بالمقصدية الأسلوبية داخل الحديث الشريف نفسه، أي: علاقة بالجانب الأسلوبي والغرض هنا التمثيل لا الحصر.

جـ- علاقات التماثل الأسلوبي

تُعدّ علاقات التماثل الأسلوبي من العلاقات السياقية اللافتة للنظر في البناء النصي للحديث القدسي الشريف، وبداية يمكن طرح السؤال التالي: ما المقصود بعلاقات التماثل أو التشابه الأسلوبي؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد من

التأكيد على أن المنحنى الأسلوبي، وكذلك المقصدية الأسلوبية، لهما أثرهما الواضح في تعزيز التواصل والاستمرار السياقي؛ لأن ذلك له تأثير في طرق فهم النص، والاستمرار معه، كما أنه يعطي شعوراً جيداً بطرق التفكير والبناء الذهني للنص(٥٠). وربما هذا يتناقض مع الفروض القائلة: بأن البلاغة والأسلوبية معا تركّزان على البعد الفني وما يحدثه الشكل من أثر جمالي باعتباره عاملاً جوهرياً، دون الحاجة إلى تفصيل الفروق بين الأشكال التواصلية والفنية للاستعمال(٥١).

فالعلاقات الأسلوبية داخل السياق النصي، تتخطّى مسألة الوقوف على معنى الشكل اللغوي، والأيديولوجيا والدلالة التي يتضمّنها؛ لأن هذا ليس هدف الأسلوبية أصلاً(٥٢). وإنما تتخطّى ذلك لتبرز أثر هذه الأشكال اللغوية في وصل السياق (استمرار السياق)، وعدم انقطاعه، وتفعيل أثر هذه الأشكال في بناء النص، وذلك لأن عالم الأسلوبية يكون أمام نسيج نصي بحاجة إلى توضيح وتفسير(٥٣).

ربما هذا الفهم هو الذي دفع بـ (فاينريش) إلى القول: إن المعنى لا يتحدّد عن طريق الجملة الواحدة، وإنما عن طريق التعاقب بين مجموعة من الجمل(٥٤)، وإذا كان فهم المعنى يتحقّق عن طريق تتابع جملتين فأكثر فما أجدر بهذه الجمل أن تكون نماذج أسلوبية – في ذاتها – مؤثرة، وتسهم بطريقة فاعلة في عملية التواصل وفهم النص(٥٥)، ويعدّ هذا الفهم من أهم ما قُدّم في هذا السياق، وهو يثبت أن الأشكال الأسلوبية المتماثلة، والممثلة للظاهرة الأسلوبية هي التي تجعل الأسلوبية محاولة جادّة للاتصال المؤثّر من قبل القارئ في نفسية المتلقي(٥٦).

يمكن تمييز مجموعة من علاقات التماثل الأسلوبي – كما تمّت الإشارة– في نص الحديث القدسي الشريف، وهي علاقات أسلوبية نحوية، تصل السياق،

وتفعله نحو التواصل والتأثير، ومثال ذلك، وهو كثير جداً، ما يتضمنه الحديث التالي:

"حدّثني محمدٌ بنُ حاتمٍ بن ميمونٍ، حدّثنا بَهْزٌ. حدّثنا حمادُ بن سلمةَ عن ثابتٍ، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ اللهَ عزّ وجل يقولُ يوم القيامة: يا ابْنَ آدم مرضتُ فلمْ تَعُدْنِي. قال: يا ربّ كيفَ أعودُكَ؟ وأنتَ ربّ العالمين. قال: أما علمْتَ أنَّ عَبْدِيَ فُلاناً مرضَ فلم تَعُدْهُ. أما علمتَ أنكَ لو عُدْتَهُ لوجدتَنِي عنده؟ يا ابنَ آدم اسْتَطْعَمْتُكَ فلمْ تطعمْنِي. قال: يا ربّ وكيفَ أطعمُكَ؟ وأنت ربّ العالمين. قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه؟ أما علمتَ أنكَ لو أطعمتَهُ لوجدتَ ذلكَ عندِي؟ يا ابْنَ آدم اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تسقِني. قال: يا ربّ كيف أسْقِيْكَ؟ وأَنْتَ ربّ العالمينَ. قال: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فلانٌ فلمْ تُسْقِهِ. أما أنكَ لو سقيتَه وجدتَ ذلكَ عندي"(٥٧).

في المحور السياقي أو الامتداد السياقي لهذا النص، يُلحظ أن أسلوب النداء (يا ابن آدم)، (يا ربّ)، وكذلك أسلوب الاستفهام (أما علمت....؟)، لهما امتداد أسلوبي، يعزّز قيمة المضامين التي يتضمّنها الحديث، ويعمل على تقريرها وتأكيدها، بل إن هذا التماثل الأسلوبي من المرتكزات الأساسية التي بُني النصّ عليها، كما أنها تعزّز القيم الإبلاغية البنائية لهذا النص، فالله عز وجل ينادي: "يا ابن آدم"، فيردّ عليه ابن آدم، لجهله بالأمور التي هي باستطاعته قائلاً: كيف أفعل كذا وأنت ربّ العالمين، فيردّ عليه الله تعالى: "أما علمت كذا وكذا.." إنّ هذا الأسلوب في التفصيل والقول، ينسحب على مجموعة كبيرة جداً من الأحاديث القدسية، ويمكن تمثيل العلاقات الأسلوبية داخل هذا الحديث بالمعادلة التالية:

ع ت أ = ت . ن (١) + ت . ن (٢) + ت . ١ س (١).

إذ يشير الرمز (ع) إلى العلاقة، و(ت أ) يشير إلى التماثل الأسلوبي، و(ت. ن (١)) يشير إلى التركيب الندائي الأول، و (ت . ن (٢)) يشير إلى التركيب الندائي الثاني، و (ت.١س (١)) يشير إلى تركيب الاستفهام، وهذه المعادلة تشكّل كل مرحلة من المراحل الأسلوبية الدلالية التي يتشكّل منها الحديث القدسي الشريف السابق، وهي ثلاث مراحل، تتمثّل الأولى: بالتركيز على عيادة المريض، والثانية بالتركيز على إطعام العبد للعبد، والثالثة بإسقاء العبد للعبد، ويمكن تمثيل التعالق الحاصل بين هذه المراحل جميعها بما يلي:

ع . ت . أ = ت . ن (١) + ت . ن (٢) + ت . ١ س (١)

ع . ت . أ = ت . ن (٣) + ت . ن (٤) + ت . ١ س (٢)

وتجدر الإشارة إلى أن الإشارة (٩) تشير إلى التداخل الحاصل بين (٣) المراحل كافّة، والتي تمثّلها المعادلات الموجودة بين المستطيلات.

ومن اللافت للنظر في علاقات التماثل الأسلوبي في الحديث القدسي، تكرار أسلوب بعينه، ويكون هذا مقصوداً، فهو يمثّل استراتيجية تفصيل دلالية، تأتي لتقرير مجموعة من الحقائق الدينية الثابتة التي تتمحور حول تأكيد فكرة كلية واحدة، وهي كثيرة جداً في الحديث، ومن ذلك الحديث الخاص بتحريم الظلم، ونصّه هو:

"حَدّثَنَا عَبْد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي. حدّثنا مروان (يعني ابن محمد الدمشقي)، حدّثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال:

"يَا عِبَادِي إِنّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي. وجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ محرَّماً فَلا تَظَالَمُوْا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلاّ مَنْ هَدَيْتُه. فَاسْتَهْدُوْنِي أَهْدِكُمْ يا عبادي كُلكمْ جائعٌ إلا من أطعمتُهُ فَاسْتَطْعِمُوْنِي أطعمكم. يا عبادي كُلكم عارٍ إلا من كسوتُهُ. فَاسْتَكْسُوْني أَكْسُكُمْ. يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً. فاستغفروني أغفرْ لكم. يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعِي فتنفعُوني، يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم، وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلكَ في ملكِي شيئاً. يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقصَ ذلكَ منْ ملكِي شيئًا. يا عبادي لو أنّ أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني. فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألته ما نقصَ ذلك مما عندي إلا كما ينقصُ المخيطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ. يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم. ثم أوفيكم إياها. فمن وجدَ خيرًا فليحمد الله. ومن وجدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومَنّ إلا نفسه".

قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدّث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه"[٥٨].

فتكرير النداء متبوعاً بالتراكيب المترابطة بفعل العلاقات السببية أمر لافت للنظر، ويأتي هذا التكرار (يا عبادي)؛ لأن العباد هم محور هذا الحديث، فهم الذين يصطنعون الظلم، ويمشون فيه في الأرض. ويعمل هذا التكرار أيضاً على تعزيز مجموعة من التساؤلات التي تقبع خلف الألفاظ والتراكيب، وهذه التساؤلات تفترض بالإنسان أن ينسى الظلم ويحذفه من حياته، وهذه التساؤلات هي:

١. بما أن الهداية من عند الله – عز وجل – فلِمَ يلجأ الإنسان إلى الظلم؟

٢. بما أن الإطعام والكسوة من عند الله –عز وجل– فلِمَ يلجأ الإنسان إلى الظلم؟

٣. بما أنّ المغفرة والمنفعة والضرر والقوة من عند الله– عز وجل– فلِمَ يلجأ الإنسان إلى الظلم؟

٤. بما أن الرزق من عند الله – عز وجل – القادر على إحصاء كل ما يقدّمه الإنسان، فلِمَ يلجأ الإنسان إلى الظلم؟

نعم، إن هذا التكرار يخفي وراءه تساؤلات مختلفة، تلفت نظر الإنسان إلى ضرورة الالتزام، وأخذ العظة والعبرة، والانتباه إلى أن أمور الإنسان كلها لا تجري إلا بمقتضى قدرة نظامية إلهية، تنظّم حياة الإنسان، ورحلته في هذا الكون، وبناء على هذا تكون علاقة الأسلوب والتميز الأسلوبي بالنص هي علاقة إبداع وبناء، إنها علاقة تداخل(٥٩).

د– علاقات التناص

التناص Inertextuality كما هو معلوم في بحث علماء لغة النص "يتضمّن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بواسطة أم بغير واسطة"(٦٠)، ونظراً لأهمية العلاقات التناصية، اشترط كل من: روبرت دي بوجراند وولفجانج درسلر، لنجاح النصية textuality شرط التناصية(٦١)، فلا بد من أن ارتباط النص بنصوص أخرى حتى يحقق مبدأ النصية، ويبرز هذا الاتجاه بروزاً واضحاً عند جوليا كرستيفا(٦٢) ورولان بارت(٦٣).

وتبرز هذه العلاقة بروزاً واضحاً في البنية النصية للكثير من الأحاديث القدسية، إذ تدخل النصوص القرآنية في تكوين نص الحديث، فتعمل على بناء النص، وتوضح مفرداته، وتقريرها، وإثباتها، فتكون لها أهمية كبرى في بناء التماسك البنيوي الشامل للنص، ويمكن القول: إن بنية الحديث القدسي تضم مجموعة من المتواليات الجملية التي تضم بنية كلية يمكن للقارئ أن يتوصّل إليها

بوضوح عن طريق إدراك مجموعة من العلاقات اللغوية، وغير اللغوية، ويأتي التناص على رأس هذه العلاقات، ومن ذلك الحديث التالي:

"حَدَّثنا ابنُ أبي عُمَرَ، أَخْبَرنا سُفيانُ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرج، عن أبي هُريرةَ، أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل وَقَوْلُهُ الحْقّ: إذا هَمَّ عَبدي بِحَسنةٍ فاكْتبوها لَهُ حَسَنةً، فإنْ عَملها فاكتُبوها لَهُ بِعشرِ أَمثالها، وإذا هَمَّ بسيِّئةٍ فلا تكتُبوها، فإنْ عملَها فاكتُبوها بمثْلِها، فإنْ تركَها، ورُبما قال: فإنْ لم يَعْمل بها، فاكْتُبُوها حَسنةً، ثُمَّ قرأ: (من جاءَ بالحسنةِ فلهُ عَشْرُ أَمثْالِها).

قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حَسنٌ صحيح"(٦٤).

يلحظ أنّ الآية: (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)؛ جاءت لتوظّف في السياق المخصص لها، إذ يتضمّن السياق الحديث عن الترغيب في فعل الحسنة، والترهيب من فعل السيئة، وبيان فضل الله – عز وجل – وسعة رحمته للإنسان، وقد يكون مجيء الآية في نهاية الحديث؛ ليدل على أنّ الغرض الأساسي هو الترغيب بفعل الحسنة، والابتعاد عن السيئة.

وقد يوظّف التناص في بناء الحديث الشريف؛ لبناء نص الحديث كاملاً، فتكون العلاقة هي علاقة كلية تكاملية، إذ يأتي الحديث نفسه موضحاً وشارحاً للنص القرآني، ومثال ذلك الحديث الذي يدور حول قراءة الفاتحة سرّاً لا جهراً خلف الإمام في الصلاة، ونصُّهُ هو: "حدّثني يحيى، عَنْ مالكٍ، عَنْ العلاءِ بْن عَبْدِ الرَّحمن بن يعقُوب، أنَّه سَمِعَ أَبا السّائبِ مولى هشام بن زُهرةَ يقولُ: سمعْتُ أَبا هريرة يقول: مَنْ صلَّى صلاةً لَمْ يقرأ فيها بأُمّ القُرآن فهي خِداجٌ هي خِداجٌ هي خداجٌ غَيْرُ تامّ". قال: فقلتُ: يا أَبا هُريرة: إِنّي أحياناً أكونُ وراءَ الإمامِ. قال: فغمزَ ذِراعي، ثُمَّ قال: اقرأ بها في نَفْسِك يا فارسيّ، فإني سمعتُ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: "قال تبارك وتعالى قَسَمْتُ الصلاة بيني وبينَ عَبدِي بنصفين، فنصفُها لِي ونِصْفُها لِعَبْدي،

ولِعَبْدي ما سأَلَ". قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "اقرَؤوا يَقُولُ العَبْدُ: (الحَمدُ للهِ ربّ العالمِيْنَ) (سورة الفاتحة: الآية: ٢) يقولُ الله تبارك وتعالى حَمِدَني عَبْدي ويقولُ العَبْدُ: (الرّحمن الرّحيم) (سورة الفاتحة: الآية: ٣) يقولُ الله أثنى عليَّ عَبْدي ويقولُ العَبْدُ: (مالِك يوم الدّين) (سورة الفاتحة: الآية: ٤) يقولُ الله مجَّدني عَبْدي يقول العَبْدُ: (إيّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاك نستعينُ) (سورة الفاتحة: الآية: ٥) فهذه الآية بيني وبين عَبْدي ولِعَبْدي ما سألَ يقولُ العَبْدُ: (اهدنا الصّراطَ المستقيم صراط الذين أنْعمتَ عليهمْ غير المْغضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضّالّين) (سورة الفاتحة: الآية ٦-٧) فهؤلاء لِعَبدي ولِعَبْدي ما سألَ"(٦٥).

تأتي سلسلة الاقتباسات القرآنية، المتمثّلة بآيات سورة الفاتحة؛ لتؤكِّد ولتوضح كيفية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "قال الله تبارك وتعالى قَسمتُ الصلاة بيني وبين عبدي بنصفين، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولِعبدي ما سأل". وحينما يقول العبد: الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين) فإنّ في ذلك حَمْداً، وثناءً، وتمجيداً لله عز وجل، فهذا لله عز وجل، وحينما يقول العبد: (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين)، فإنّ هذا لله وللعبد، وحينما يقول العبد: (اهدنا الصراط المستقيم* صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)، فإن هذا يكون للعبد، والله – عز وجل – أعطاه ما سأل.

وجدير بالتقرير، أن التتابع التركيبي في هذا الحديث، يثبت وجود هندسة أسلوبية ذات أبعاد متعدّدة؛ جاءت لتعزّز البعد التناصي، المتمثّل بالاقتباس من القرآن الكريم، وشواهد ذلك كثيرة، فالغرض هو التمثيل لا الحصر.

هـ- علاقات التتابع الدلالي الخطي

التتابع الدلالي هو صنف من العلاقات السياقية التي تخضع لمبدأي التتابع والتعاقب، ويميل البحث إلى تسميته بهذا الاسم – رغم أنّه يوحي بالعمومية

– ليكون أكثر شمولاً وتحديداً لمجموعة من المظاهر الخاصة به، ويمكن حصرها بما يلي:

أ– الروابط الزمنية (التتابع الزمني).

ب– العطف.

ج– التتابع الدلالي الإسنادي

يشير محور التتابع إلى "العلاقات التي تربط الجمل بعضها ببعض وهي تستجيب في ذلك لحتمية الخطية Linearite في إنجاز الكلام"[٦٦]. وقد ركّز فان ديك وهاليداي ورقية حسن وكرومبي، على أهمية الروابط الزمنية بين الأحداث النصية في عملية البناء النصي، وهذه العلاقات هي علاقات توافقية توفرها الأفعال وبعض الألفاظ الدالّة على الزمن[٦٧]، ومثال ذلك الحديث التالي:

"حدّثني هارون بن سعيد الأَيْليّ. حَدّثنا ابْنُ وَهْبٍ. حدّثني مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: أعددْتُ لِعبادي الصالحينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلبِ بشرٍ. ذُخراً بَلْه ما أطلعكم الله عليه"[٦٨].

يلحظ أنّ سلسلة الأفعال: (أعْدت، ورأت، وسمعت، وخطرَ، وأطلعكم)، تترابط فيما بينها زمنياً، وتعمل على تنظيم سلسلة الأحداث التي يتكوّن منها الخطاب القدسي، وذروة البلاغة القدسية أن يأتي الفعل معبّراً عن الرابط الزمني من جهة، ومعبّراً عن مناسبته للحدث من جهة أخرى. وهذه الأفعال جميعها مترابطة، وتابعة لمحور حتمية الإنجاز، والأحاديث التي تؤكد هذا كثيرة جداً.

أمّا العطف، فهو خير ما يربط التراكيب بطريقة ظاهرة، إذ يقوم على عطف الجمل والتراكيب بعضها على بعض ضمن السياق الخطي[٦٩]، فتكون

العلاقة القائمة بين التركيبين هي علاقة التتابع الدلالي؛ لأن الجملة المعطوفة أو التركيب المعطوف يأخذ حكم التركيب المعطوف عليه ودلالته، ويحدث العطف بوساطة أدوات العطف المعروفة(٧٠)، ويقوم المفهوم الوظيفي للعطف على النظر في المعاني المتعددة لاستعمالات حرف العطف، ويتطلّب وجود قرابة بين وحدات اللسان(٧١)، ويرى جان كوهن أن العطف يوجّه نظرنا إلى طبيعة تعاقب الجمل داخل النص(٧٢)، "فالتوسّع بالعطف قد يشمل في تحليل الجملة العربية الدلالات المنتظمة، داخل وحدة كلامية قائمة برأسها حتى يلتقي الشكل التركيبي بالشكل المعنوي"(٧٣). وجدير بالملاحظة، أنّ العطف كثير الورود في بنية الحديث القدسي كما مَرّ، ولا توجد حاجة لإيراد نماذج على العطف لسهولة مجراه.

ويُعدّ التتابع الدلالي الإسنادي من أبرز العلاقات السياقية التي تكوّن عالم النص، وتتحكّم بأهدافه، فتعمل على سَلْسلتها بأسلوب مترابط متماسك، وتتراءى هذه العلاقات عبر البنية النصية عن طريق ربط جزأي التركيب بعضهما ببعض من جهة (٧٤)، وربط سلسلة التراكيب النصية بعضها ببعض؛ كونها تدور حول فكرة محوريّة أو دلالة كلية واحدة وثابتة من جهة أخرى(٧٥)؛ وذلك لأن اشتراك التراكيب الإسنادية في المحور الدلالي الثابت هو من أسمى علاقات الربط؛ إذ يعكس الإمكانات الذهنية التنظيمية داخل النص(٧٦)، وما يؤكِّد ذلك الحديث التالي:

"حدّثنا مُحمد بنُ حاتم بن مَيْمُونٍ. حدّثنا بَهْزٌ. حدثنا وهيب. حدثنا سهيل عن أبيه، عَن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّ لله تبارك وتعالى ملائكةً سيّارةً، فُضلاً يبتغونَ مجالِسَ الذكرِ. فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكرٌ قعدوا مَعَهُم. وحفّ بعضُهم بعضاً بأجنحتِهم. حتى يملؤوا ما بينهم وبين السَّماءِ الدنيا. فإذا تفرقوا عَرَجُوا وصَعِدُوا إلى السّماءِ. قال: فيسألُهم الله عز وجل، وهو أعلمُ بِهِمْ: مِن أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عِند عبادٍ لك في الأرض، يُسبّحونك

ويُكبرونك ويهللونك ويمجدونك ويسألونك. قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: وهلْ رأوا جَنَّتي؟ قالوا: لا. أيْ ربّ قال: فكيف لَوْ رأوا جنَّتي؟ قالوا: ويستجيرون. قال: وممَّ يستجيرونني؟ قالوا: مِنْ نارِكَ يا ربّ، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيفَ لَوْ رأوا ناري؟. قالوا: ويستغفرونك. قال: فيقولُ: قد غفرتُ لهم. فأعطيتهم ما سألوا وأجرْتهم مما استجاروا. قال: فيقولون: رب فيهم فلانٌ. عبدٌ خطّاءٌ. إنما مَرّ فجلس معهم قال: فيقول: ولـه غَفَرتُ. هُم القوم لا يشقى بهم جليسُهُمْ"(٧٧).

يدور هذا الحديث حول فكرة محورية أساسية وهي: "فضل مجالس الذكر"؛ ولتأكيد هذه الفكرة وتوضيحها تتتابع التراكيب الإسنادية؛ مشكّلة مجموعة من الدوائر الإسنادية المترابطة، وبعضها يتّسع لمجموعة كبيرة من الدوائر الإسنادية، على الشكل التالي:

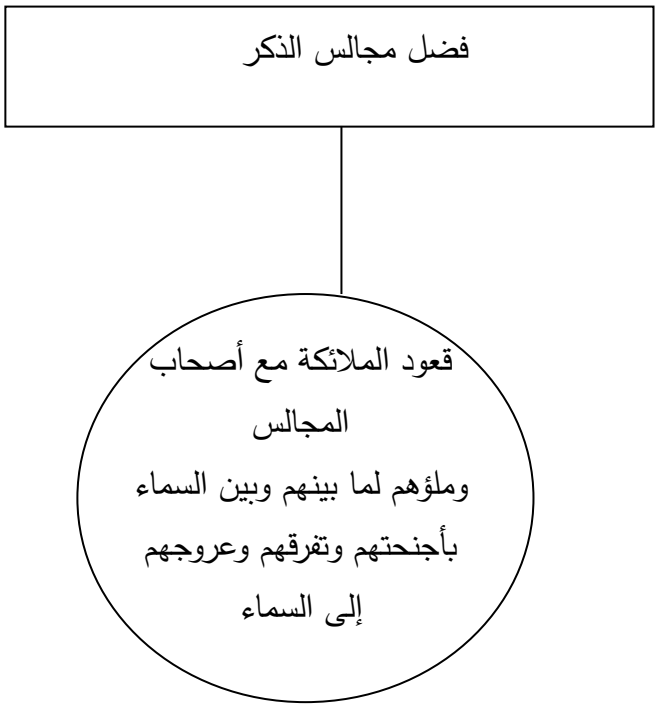

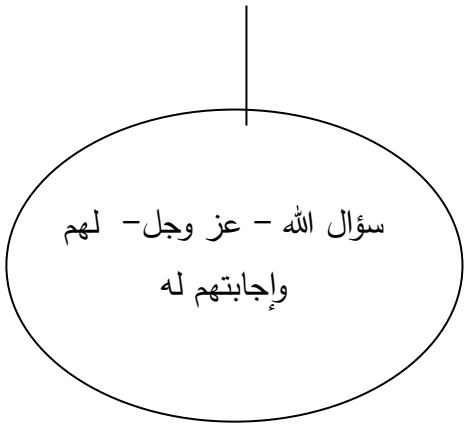

ويلحظ أنّ هذا الحديث يضم دائرتين إسناديتين كبيرتين، كل واحدة منهما تتضمّن مجموعة من الدوائر التي تنقل الدلالات، وتفعلها، وتربطها ببعضها البعض؛ وللتوضيح يمكن التفصيل مثلاً في الدوائر التي تتضمنها الدائرة الثانية على النحو التالي:

سؤال الله للملائكة عليهم السلام

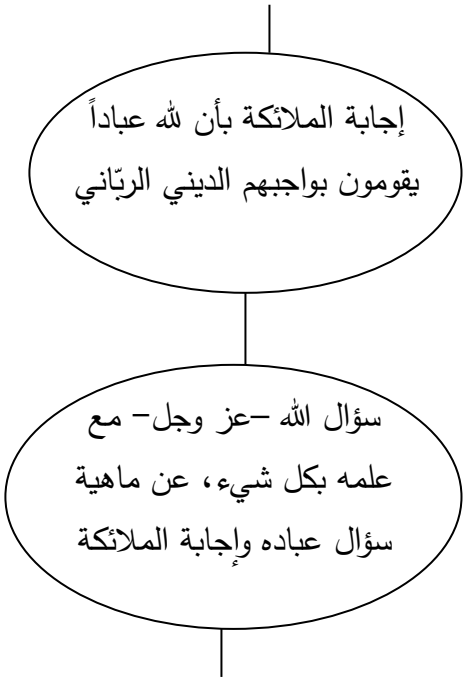
إجابة الملائكة بأن لله عباداً
يقومون بواجبهم الديني الربّاني
سؤال الله –عز وجل– مع
علمه بكل شيء، عن ماهية
سؤال عباده وإجابة الملائكة

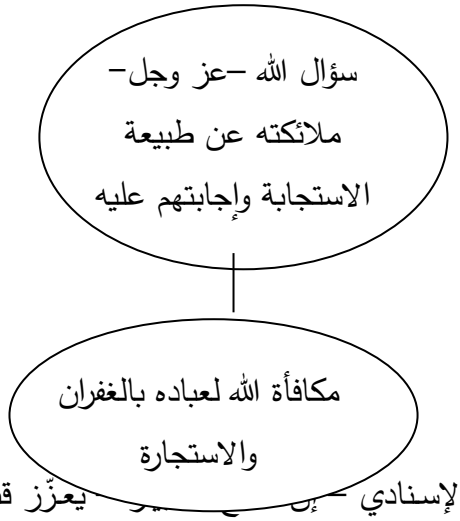

فهذا التدوير الإسنادي –إن [illegible] يعزّز قيمة التتابع الدلالي للتراكيب في فهم النص، ولفت أنظار المستقبل إلى أهمية المضامين الدلالية التي يتكون منها هذا الحديث، ويمكن القول: إنّه هناك مجموعة من التقنيات النصية التي ساعدت في تعزيز منحى التتابع الدلالي الإسنادي، وهي:

١. العامل الإحالي

للإحالة أثر بارز في تعزيز بنية التتابع الدلالي الإسنادي؛ وذلك لأنها "تشكّل الإطار الدلالي لا الشكلي للنصيّة"[٧٨]، إذ تقوم بربط السابق باللاحق شكلاً ودلالة، وقد يحدث العكس[٧٩]، وتنوّعت العناصر الإحالية في هذا الحديث، فهناك الضمائر، وهناك العناصر المعجمية التي تحيل إلى مقاطع محددة داخل الملفوظ، مثل تكرار: "يسألونك، وناري، وجنتي" فهذه عناصر معجمية تحيل إلى ماهيات محددة وثابتة، داخل الدوائر الإسنادية.

٢. العلاقات السببية

ويتمثّل ذلك بالجواب الذي يأتي مباشرة بعد السؤال، فهذه علاقة السبب بالنتيجة، فضلاً عن المقصدية الحقيقية في عملية التدرّج المنطقي في عرض المسندات، والمسندات إليها عبر البنية النصية كاملة.

٣. توظيف أسلوب الاستفهام في عملية التوصيل والتأثير، والإقناع، وعرض طبيعة كل مرحلة، أو دائرة إسنادية، متبوعة بنتائجها.

٤. تكرار الأسلوب نفسه، وتكرار كلمة "قال" فهذا يُسهم في تكوين البنية الحوارية، ومعلوم أنّ البنية الحوارية تمثل جانباً مهماً من جوانب الامتداد المنطقي للنص(٨٠).

النتائج

هدفت هذه الدراسة إلى دراسة العلاقات السياقية ونماذجها الوظيفية في الأحاديث القدسية الشريفة، وخلصت إلى مجموعة من النتائج، يمكن إجمالها كما يلي:

١. العلاقة هي العنصر أو المظهر النحوي الذي يربط أجزاء النص على المستويين: الشكلي والدلالي، وهي التي تُحدث التماسك، أما السياق فهو حضور علائقي بين الألفاظ والمعاني، والوعي به؛ يؤدي إلى سلامة الفهم.

٢. تقوم العلاقات السياقية بربط أجزاء النص، فتجعله متماسكاً، ونتيجة لذلك يتمتّع بأعلى درجات المقبولية، إذ يتواصل المستقبل مع النص، وهذا يؤدي إلى نجاح عملية الاتصال اللغوي.

٣. ثبت وجود نماذج وظيفية متعددة للعلاقات السياقية في نص الحديث القدسي وهي: العلاقات السببية، والعلاقات المعجمية، وعلاقات التماثل الأسلوبي، وعلاقات التناص، وعلاقات التتابع الدلالي.

٤. ثبت أن هذه النماذج تعمل على تنظيم عالم النص، فهي تسهم في الربط، والتوضيح، والتفسير، وتجعل المحتوى الدلالي للحديث مؤثراً و مترابطاً وهذا له علاقة في التأثير والقبول.

٥. إن طبيعة عمل هذه العلاقات داخل النص تكاملية، إذ تتآزر هذه العلاقات فيما بينها؛ للنهوض بالنص إلى أعلى درجات المقبولية والتأثير.

٦. ثبت أنّ هذه العلاقات صادرة عن مقصدية نحوية أسلوبية، هدفها لفت نظر المستقبِل، وجعله يتأثر بالمضامين الخاصة بالحديث.

الهوامش:

(١)See: de beaugrande, Robert & Dressler, wolfgang: Introduction to text linguistics, p3.

(٢)See: VanDijk, Teun (A) & kintsch, walter: strategies of Discourse comprehension, p. 150.

(٣)See: Mccarthy, Michael & Carter, Ronald: Language as Discourse perspective for language Teaching, U.K. Longman group, 1998, p90.

(٤) استيتية، سمير: منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، ص٢٠.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٠.

(٦) انظر: عاشور، المنصف: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص٤٩.

(٧) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٨) المرجع نفسه، ص٤٩.

(٩) انظر: الزناد، الأزهر: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، ص١٢.

(١٠) عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، ص١٢٧.

(١١) شولز، روبرت: السيمياء والتأويل ، ص٥٢.

(١٢) راي، وليم: المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ص١٢٩.

(١٣)See: Van Dijk, Tenn (A) & Kintsch, walter: Strategies of Discourse Comprehension P. 74.

(١٤) See: Verhagen, Arie:" Context, Meaning, and terpretation, in a practical approach to lingustics", Retrieved in 7/3/2007, from website: leidenuniv.nl/~verhagena/Documenten/pdfs/1997.

(١٥) See: Koptytko, roman: "What's wrong with modern accounts of context in linguistics", Retrieved in 15/3/2007, from website: http://www.univie.ac.at/Anglistik/ang_new/online_papers/views/03_1/KOP_SGLE.PDF

(١٦) See: Bloor, Thomas & Bloor, Meriel: The Functional Analysis of English, p 76.

(١٧) See: VanDijk & kintsch: strategies, p.p 6-11.

(١٨) انظر: بحيري، سعيد: علم لغة النص، ص ص ١٩٢-١٩٣.

(١٩) See: Malliday, M.A.K: Functional Grammar, P334.

(٢٠) الزناد، الأزهر: مرجع سبق ذكره، ص١٢.

(٢١) انظر: بحيري، مصدر سابق، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢٢) See: The Functional Analysis of English, P85.

(٢٣) See: Ibid, P 85.

(٢٤)See: Crombie, Winifred: process and relation in Discourse and language Learning, p p 2-3.

(٢٥)See: Halliday, M.A.K & Hasan, Ruqaya: Cohesion in English, pp 250-252.

(٢٦) انظر: هاينة من، فو لفجانج، و فيهفيجر، ديتر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، ص٤٦.

(٢٧) انظر: المرجع نفسه، ص٤٥.

(٢٨) انظر: المرجع نفسه، ص٤٧.

(٢٩) انظر: كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ص٣٥٠.

(٣٠)See: Brown, Gillian & Yule, George: Discourse Analysis P. 27.

(٣١)See: debeagrande, Robert: Text linguistics in Discourse studies. In vanDijk, Teun (A). (editor): Hand book of Discourse Analysis, V.I. p54..

(٣٢)See: Van Dijk, Tenun (A) & Kintsch: strategies, P 76.

(٣٣)See: Brown, Yule: P27.

(٣٤) انظر: دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، ص٣٥٠.

(٣٥) مدغمش، جمال عبد الغني: الأحاديث القدسية، ص١٦.

(٣٦)See: Longacre, Robert (E): The Grammar of Discourse, pp 106-110.

(٣٧)See: Ibid, pp 106-110.

(٣٨) انظر: استيتية، سمير: علم اللغة التعلمي، ص٣٤٧.

(٣٩) انظر: دي يوجراند، مرجع سبق ذكره، ص٣٤٧.

(٤٠) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص ص ٣٣-٣٤.

(٤١) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص٦٣.

(٤٢) انظر: الزناد، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥.

(٤٣) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص١٠١.

(٤٤) دي بوجراند، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠٣.

(٤٥) انظر: استيتية، سمير: منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، ص ٢٥.

(٤٦) انظر: Halliday & Hassan, pp 277-279. وخطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص (٢٠-٢٥).

(٤٧) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٥-٤٦.

(٤٨) انظر مثلاً:

- "Lexical relation. In lexicography" retrieved in :15/3/2007, from website: http://www.uni-erfurt.de/sprach wissenschaft / personal /Lehman/ ling-meth/lexice.

- "Word Grammar A brief introduction for graduate students "Richard Hudson, last changed in: 20 th August 2002, from website: http://www.phon.ucl.ac.uk/home/dick/wg.htm.

(٤٩) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص٢٠٦.

(٥٠) انظر:

Short, Mick, "Designing and piloting a world – wide – web – based stylistics course", retrieved in 21/12/2006, from website: "http://www.lancs.ac.uk/fass/projects/stylistics/introuduction/ whoisit for.htm.

(٥١) انظر: بحيري، مرجع سبق ذكره، ص٦٧.

(٥٢) انظر: مولينيه، جورج: الأسلوبية، ص١٦٣.

(٥٣) انظر: المرجع نفسه، ص ١٥٤–١٥٥.

(٥٤) انظر: بحيري، ص١٤٠.

(٥٥) انظر: المرجع نفسه، ص١٤٠.

(٥٦) "Stylistics" linguistics, Retrieved in 15/3/2007, from website: http://en.wikipedia.org/wiki/ stylistics_(linguistics)

(٥٧) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص١٥٢.

(٥٨) المصدر السابق، ص١٥٣.

(٥٩) انظر: هاينه من، فولفجانج وفيهفجر، ديتر: مرجع سبق ذكره، ص٣٧٨.

(٦٠) انظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤.

(٦١)See: debeaugrande, Robert & Dressler, wolfgang: Introduction to text linguistics, p3.

(٦٢) انظر: فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢٩٤.

(٦٣) بارت، رولان: لذة النص، ص١٠٩.

(٦٤) مدغمش، مصدر سبق ذكره، ص٢٨.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٨٤.

(٦٦) الزناد، مرجع سبق ذكره، ص٣٥.

(٦٧)See: Halliday & Hasan: Cohesion in English, P.250 & Crombie, Winifred: process and Relation, P18.

(٦٨) مدغمش، مصدر سابق، ص٣٦.

(٦٩) See: Halliday & Hassan: p244.

(٧٠) See: Ibid, p 244.

(٧١) انظر: بول فاير وكريستيان بايلون: مدخل إلى الألسنية، ص ١٣.

(٧٢) انظر: كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ص١٥٧.

(٧٣) عاشور، المنصف: بنية الجملة العربية، ص٧٠.

(٧٤)See: longacre, Robert: The Grammar of Discourse, pp 82.

(٧٥)See: Ibid, pp 82-83.

MIKROKOSMOS Glossary, Retrieved in 15/3/2007, from website:

(٧٦) htt://crl.nmsu. edu/ Research / projects/ Mikro / htmls/ oldstuff –htmls / glossary. html.

(٧٧) مدغمش، مصدر سابق، ص٩.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع بالعربية:

١. استيتية، سمير:

– علم اللغة التعلمي، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن – إربد (د.ط)، (د.ت).

– منازل الرؤية (منهج تكاملي في قراءة النص)، ط١، عمان: دار وائل، ٢٠٠٢م.

٢. بحيري، سعيد: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر– مكتبة لبنان، ١٩٩٧م.

٣. خطابي، محمد: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ط١، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩١م.

٤. دي بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د.تمام حسان، ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٨م.

٥. راي، وليم: المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، ط١، بغداد: دار المأمون.

٦. الزناد، الأزهر: نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً). بيروت – الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣م.

٧. شولز، روبرت: السيمياء والتأويل. ترجمة: سعيد الغانمي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات،,١٩٩٤

٨. عاشور، المنصف: بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، تونس: جامعة تونس،١٩٩١.

٩. عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٠م.

١٠. فاير، بول وبايلون، كريستيان: مدخل إلى الألسنية مع التمارين التطبيقية، ترجمة: طلال وهبة، بيروت: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢م.

١١. فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، بيروت مكتبة لبنان، والشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ط١، ١٩٩٦م.

١٢. كوهن، جان: بنية اللغة الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، ط١، الدار البيضاء: دار توبقال، ١٩٨٦م.

١٣. مدغمش، جمال عبد الغني: الأحاديث القدسية، طبعة مصححة ومدققة، ط١، عمان: دار الإسراء، ٢٠٠٣م.

١٤. مولينيه، جورج: الأسلوبية. ترجمة: بسام بركه، بيروت، ١٩٩٩.

ثانياً: المصادر والمراجع بالإنجليزية:

1. Brown, Gillian & Yule, George: Discourse analysis. Cambridge university press, 1987.

2. Bloor, Thomas & Bloor, Meriel: The functional Analysis of English, 2 edition, Great Britain, Arnold pub, 2004.

3. Crombie, Winifred, process and Relation in Discourse and language learning, oxford university press, 1986.

4. Debeaugrande, Robert: "Text linguistics in Discourse studies. In van Dijk, Teun (A) (editor): Hand Book of Discourse Analysis, Vol 1., Academic press, Harcourt Brace, Jovanovich, London, 1985.

5. Debeaugrande, Robert & Dressler, Wolfgang: Introduction to text linguistics. N.Y. Longman, Inc., 1994.

6. Halliday, M.A.K: Functional Grammar, 2 ed, Arnold pub, Great Britain. USA, 1994.

7. Halliday, M.A.K & Hasan, Rugaya: Cohesion in English, Longman Group L.T.D, 1983.

8. Hudson, Pritchard: "Word Grammar A brief Introduction for graduate students", last changed in : 20th August 2002, from website: "http://www. phon. Ucl acUk/ home/ dick / WG/ WG 4 PG/ intro. htm.

9. Koptytko, Roman: "whats wrong with modern accounts of context in linguistics", Retrieved in 15/3/2007, from website;http://www.univie.ac.at/Anglistik/ang_new/online_papers/views/03_1/KOP_SGLE.PDF .

10. "Lexical relation in lexicography", Retrieved in 15/3/2007, from website, http://www.uni-erfurt.de/sprachwissenschaft/personal/lehmann/ling-meth/lexico.

11. Longacre, Robert E. The Grammar of Discourse. N.Y., plenum press, 1983.

12. McCarthy, Michael & carter, Ronald: language as Discourse perspective for language Teaching, U.K. Longman group, 1998.

13. MIKROKOSMOS Glossary, Retrieved in 15/3/2007, from website: htt://crl.nmsu. edu/ Research / projects/ Mikro/ htmls/ oldstuff –htmls / glossary. html.

14. Mick, short, "Designing and piloting a world – wide web – based stylistics course", Retrieved in 21/12/2006, from website: "http://www.lancs. ac. UK/ fass/ projects/ stylistics/ introduction / who is it for. htm.

15. "Stylistics" linguistics, Retrieved in 15/3/2007, from website: http://en.wikipedia.org/wiki/ stylistics_(linguistics)

16. VanDijk, Teun (A): Text and Context Explorations in the semantics and pray matics of Discourse . London: Longman Group, 1977.

17. Van Dijk, Teun (A) & kintsch, walter: Strategies of Discourse Comprehension. Academic press. Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983.

18. Verhagen, Arie: "Context, Meaning and inter pretation in a practical approach to linguistics" , Retrived in 7/3/2007from website:leidenuniv.nl/~**verhagen**a/Documenten/pdfs/1997

ضَبطُ أَوْزَانِ مَنْظُوْمَاتٍ وأَشعَار

في كتاب:

الرَّوْض المِعطار في خَبَرِ الأَقْطَار

أ.د مُحمَّدَ رضوان الدَّايَة

في الكُتب الجغرافيّة التّراثية كتابٌ مُرَتَّب على أَسماء البُلدان والمَواضع، نرجعُ إليه كثيراً في دراساتنا وتحقيقاتنا الأندلسيّة والمغربيّة، وهو – على كلّ حالٍ– شاملٌ، يترجم لأعلام البُلدان، ويذكر ممّا فيها من غرائب بين مشرقٍ ومغرب؛ هو كتاب: (الرَّوض المِعطار في خَبر الأقطار)[١]، لِلحُمَيرِيّ.

وكان المُسْتَشْرِق الإيطاليّ الفرنسي ليفي بروفنسال قد استخرج من مخطوطة الكتاب ما يتعلَّق بالأندلس، وأصدره في نشرةٍ خاصّةٍ، وترجم ما استخرجه إلى الفرنسيّة [٢].

واستخرج المُستشرق الإيطاليّ (رتزيتانو) ما يخُصّ إيطالية، وتوابعها في دراسة مستقلّة، ونشرها في مجلّة كليّة الآداب – جامعة القاهرة– المجلّد ١٨ سنة ١٩٥٦ (من ١٢٩–١٨١) بعنوان: "منتخبات من كتاب الرَّوض المِعطار خاصّة بالجُزر والبِقاع الإيطاليّة".

واعتمد الدكتور إحسان عباس على نُسختين اثنتين من مخطوطات الكتاب[٣]، وأشار إلى التّصحيف والتّحريف فيهما، وخُصوصاً في أسماء الأعلام، واجتهد في ضبط النصّ "على وجهٍ يرضى عنه المحقّقون والدّارسون"[٤]

---

(١) طبع أوّل مرّة طبعة كاملة سنة ١٩٧٥.

(٢) La peninsule Iberique au moyen-Age

(٣) وصفهما في مقدمته: (ق–ر).

ولم يُشر المحقّق البحّاثَةُ إلى خَللٍ أو إشكال دخَل على بعض النّصوص الشّعرية، علماً بأنّه لأكثر النّصوص الشعريّة في الكتاب مصادر أُخرى من كتُب الجُغرافية والبُلدان، أو من الدّواوين، والمظانّ الأُخرى.

وقد عَلّقتُ على طُرَرِ الكتاب، من نُسختي، عند بعض الأشعار والمَنْظُومات بتعليقاتٍ، أكْثَرُها يتعلَّقُ بالوزن الشّعري. وهي مواضعُ محدودة، ولكنَّها دقيقةٌ ومُهمّة، وهي مواضعُ لم يُثبت المحقّق الفاضل في حواشيها مصادرَ أخرى لها.

ورأيتُ أنَّ من تمام فائدة الكتاب أنْ أَعْرِضَ على قارئه، والمُراجِع فيه تلك التّعليقات، فإنّ حال كثيرٍ من المخطُوطات تَسْمَحُ بإعادة النّظر، وترديد الفِكر، وتسجيل المُلاحظة.

وتَتَعرّض النُّصوص الشّعرية – كثيراً – للاضطراب، عند النَّسّاخين غير المُؤَهّلين لقراءة الشّعر قراءةً دقيقةً، ولسوء النَّقل من الأصل. فإذا تمَّ النّقْلُ عن نُسْخةٍ مُسْتَجدّة بعد نسخةٍ، صار إيرادُ النّصوص الشعريّة على الوجه الأصلي صَعْباً(٥)، ومن هنا كَثُر التّصحيفُ والتحريفُ في النُّصوص الشعريّة في المخطوطات التراثيّة.

وهذا الذي دوَّنْتُه هو مطالعَةٌ شخصيّةٌ، وإعادةُ نظرٍ في سياق النّصّ الشّعري، وفي سلامة وَزْنِهِ، وقافيته.

---

(٤) الصفحة: (ر) من المقدّمة.

(٥) سجّلتُ في هذا الجانب بحثاً، نشرته في (آفاق الثقافة والتُّراث) – دبي– عنوانه: "تحقيق الإيرادات الشّعرية في النصوص التراثيّة"، وضربتُ أمثلة من كتاب التكملة لابن الآبار طبعة المغرب (٣أجزاء).

آملُ أن يكونَ هذا، تحيّةً لجهودِ مُحقِّق "الروّض المعطار" الدكتور: إحسان عباس، وتسجيلاً لفضلهِ في نشر التّراث، وفي تقريب تلكَ الأُصول إلى القارئ، وإعانته على الدَّرس والبحث والمُطَالعة.

محمد رضوان الدّاية

عجمان (إ.ع.م) ذي القعدة ١٤٢٨

تشرين الثاني ٢٠٠٧

إشارات:

١) وضعت رقم الصفحة من (الرّوض المعطار) بعد اسم المادّة في متن الكلام، مَسْبوقاً بحرف (ص) هكذا: (ص: ١٥) مثلاً.

٢) تركتُ النُّصوص في متن الكلام على حالها: رسْماً، وضبطاً. فإذا ما شرعتُ في إبداء المُلاحظة، وما فيها: ضبطتُ النّصَّ، أو أعَدْتُ قراءته، ونبّهت على ذلك تفصيلاً.

٣) لم أقفْ على مخطوطةٍ لكتاب: (الرّوض المعطار) في دولة الإمارات العربية المتّحدة، حيث أُقيم الآن (وقت كتابة البحث)، ولم أجدْ ضرورةً مُلحّة لذلك؛ فالأمرُ يتعلّق بقراءة النّص– عَرُوضيّاً في الغالب– عدا موضع أو اثنين.

٤) نسَّقْتُ الملاحظات تباعاً، على تَسلسل وُرودها في الكتاب.

٥) أضفْتُ في الحواشي شرُوحاً يسيرةً؛ لإيضاح قراءتي أو ملاحظتي، وهي قليلةٌ محدودة .

(١)

ص ١٥ رجز:

لــو أنّ عــاداً سَــمِعتْ مــن هُــود[٦] واتّبعـــــت طريقـــــه الرّشـــــيد
مـــا أ صـــبحت عـــاثرة الجـــدود[٧] صَرْعى على الآنافِ والخُدود[٨]

قلت: الصّواب: طريقَة الرَّشيد؛ والطّريق تُذَكّر وتؤنّث، وجاءت هنا مذكّرة. والمراد: لو اتّبعت الطريق الصَّحيح، أو سلكت المَسْلَك السَّليم...الخ.

- وينبغي أن تكون القافيةُ مُقَيَّدةً، حتّى لا يقعَ الرّجَزُ في الإقواء.
- ويَحْسُن أن يُضبط الرَّجز ببعض الحركات المُناسبة:

لـــــو أن عـــــاداً ســـــمعتْ مـــــن هُـــــودْ[٩]
واتّبعـــــــــتْ طريقـــــــــة الرّشـــــــــيدْ
مـــــــا أصـــــــبحَتْ عـــــــاثرَة الجُـــــــدُودْ
صَـــــــرْعى علـــــــى الآنـــــــافِ والخُـــــــدود

(٦) أي قبيلة عاد، أو قوم عاد.
(٧) عاثرة: من عثّر: تعس. والجُدود جمع جدّ: الحظّ.
(٨) في سورة الحاقة: (فَتَرَى القَوْمَ فيْها صَرْعى كَأَنّهُمْ أَعْجَازُ نَخَل خَاوِيَة).
(٩) هود عليه السَّلام.

(٢)

ص ٣٠:

في مادّة (أَمَج): قال عبد الله بن حية: طفتُ مع سعيد بن جُبيَر، فمرّ بنا رجل يقال له حُمَيد الأمَجِيّ، فقلت: أتعرف هذا؟ قال: لا! فقلت: هذا الذي يقول:

حميـــــدُ الـــــذي أمـــــجٌ داره أَخـو الخمـر ذُو الشـيبة الأصـلع
عـــلاه المشـــيب علـــى شـــربها وكـــان كريمـــاً فلـــم ينـــزع!

فقال:

..... وكـــان ســـفيهاً فلـــم ينـــزع

فقلت: يا أبا عبد الله: ليس هكذا! فقال: "والله ما كان كريماً وهو مقيم عليها". انتهى الخبر.

قلت:

١) الشعر من المتقارب.

٢) قولـه فـي البيـت الأول: "حميـدُ الـذي..." خفّـف الشـاعر تنـوين "حميـد" ليسلم الوزن: حميدل= فعولن، وتمام الشطر هكذا:

حُمَيْدِلْ لَذِيْ أَ. مَجُنْ دَا. رُهُو.

فعولن فعول فعولن فعو= فعلْ.

٣) ملاحظة – سعيد بن جبير، تتعلّق بمعنى الكلام ومقاصده. فقد زعم الشاعر أنّه يُخلص للشّراب الذي رافقَه حتى المشيب، ومن الكرم– يزعُم الشاعر– كرَم النفس أوّلاً: ألاّ يتخلّى عن أصحابه القُدامى كما يزعم. ومن هنا غَيّر سعيدُ بنُ جبير الشطر الثاني؛ ليجعله إزراءً بحميد الأمجي (المُصِرّ على شرب الخمرة وفاءً لعهده معها بزعمه)، وقال:

عَـــلاه المَشِـــيْبُ علـــى شُـــرْبِهَا وكـــانَ ســـفيهاً فلـــم ينـــزع

- فنقله من الكريم إلى السّفيه. والملمح إسلاميّ واضح.
- وقول الشاعر:(فلم ينزع) من قول العرب: نزَع عن الأمر: انتهى عنه.

وقريب من هذا المعنى، في مجال آخر، قولُ أبي الطيّب المتنبّي(١٠): في أوّل قصيدة لقي بها "كافور" الإخشيدي:

خُلِقْتُ ألوفاً لو رجَعَتُ إلى الصِّبا لفَارَقْتُ شيْبِي موجعَ القَلْب باكيا!

٤) لم يُضبط رويّ الشعر في المطبوع من الرّوض المِعطار. والبيتان على هيئتهما فيه مختلفان. و(الأصلع) مضمومة، و(ينزع) مجزومة، تحرّك بالكسر عادة، وقد قال:

تَطـــــاولَ ليلُـــــكَ بالإثمـــــدِ ونـــامَ الخَلِـــيُّ ولـــم تَرْقُـــدِ!

- ففي الشعر إقواء.

---

(١٠) ديوان أبي الطيب المتنبي: التبيان .... ٤: ٢٨٤، قال الواحدي (شرح الديوان : ٦٣٤هذا البيت رأس في صحة الألف؛ وذلك أنّ كل أحدٍ يتمنى مفارقة الشيب، وهو يقول: لو فارقت شيبي إلى الصبا لبكيت عليه لإلفي إياه إذ خلفت ألوفاً. انتهى.

- والبيتان، مع الخبر في معجم ما استعجم [١١]، والبيتان:

حميـــــد الـــــذي أمَـــــجٌ دارهُ أخـو الخمـر ذو الشـيبة الأصـلعُ
عـــلاه المشـــيبُ علـــى شُـــرْبها وكـــان كريمـــاً فمـــا يَنْـــزِعُ

فقال – يعني سعيد بن جبير:-

..... وكـــان شـــقياً فلـــم ينـــزِعِ

كذا في المتن. وعَلّق في الحاشية (٢) من الصّفحة ١٩١: "رواية سعيد بن جبير هذه (يعني بكسر العين "فلم ينزع" توافقها رواية ياقوت في المعجم، فقد أنشد أبياتاً ثلاثة لحميد المذكور مكسورة العين. انتهى.

وإذا رجعنا إلى معجم ياقوت (أمج) [١٢] وجدنا الأبيات ثلاثة، وهي ثمّة على النحو الآتي (أذكرها وضبطها):

شـــربتُ المُـــدامَ فلـــم أُقْلِـــع وُعوتبـــتُ فيهـــا فلـــم أَسْـــمَع
حُمَيْـــدُ الـــذي أمَـــجٌ دارُه أخـو الخمـر ذو الشَّـيبة الأصـلَع
عـــلاه المشـــيبُ علـــى حُبّهـــا وكـــان كريمـــاً فلـــم يَنـــزَع

وترك المحقّق حرف الروي مهملاً من الضبط، بينما شكّل الحَرْف الذي قبله كما هو ظاهر.

---

(١١) معجم ما استعجم للبكري الأندلسي ١: ١٩٠-١٩١.
(١٢) معجم البلدان ١: ٢٤٩-٢٥٠.

فإذا فهمنا أنّ المحقق أرادَ سكون حرف الرويّ (فالقافية مُقيَّدة) صحّ ذلك، وصار البيت من العروض الأُولى من بحر المتقارب، الضّرب الرابع، هكذا:

شَرِبْتُل. مُدَامَ . فَلَمْ أُقْ. لِعْ وعُوْتِـبْ. تُفِيْهـا. فَلَـمْ أسْـ. مَـعْ
فعولن . فعول . فعولن . فع فعولن . فعولن . فعولن . فع

وهذا الضّرب هو: (أبْتَر): فَعْ أو: فُل، وشاهده في كتب العروض:

خليلـيّ عُوجـا علـى رَسْـمِ دارٍ خلَـتْ مـن سُـلَيمى ومِـنُ مَيَّـهْ

وقول محققّ معجم ما استعجم: "رواية سعيد بن جبير توافقها رواية ياقوت في المعجم... الخ العبارة" تحته نظر.

وقد ورد بيت واحد من الثلاثة في الكامل للمبرّد[١٣]، والرّويّ مضموم "الأصلعُ"، وقال المحقّق في الحاشية: "حميد الأمجي أو ابن عم له يقول فيه. ووقع البيت مع آخرين مجرور ففيه إقواء، ووقع مع آخر مرفوع فلا إقواء فيه" ونبّه على مواضع أُخرى (ورد فيها الشعر) من المصادر، وفَصّل.

- والشاعر في غنى عن ركوب الإقواء، فإنّ رواية البكري:

"وكان كريماً فما ينزعُ"

- وهذا يوافق ما قبله وما بعده، ولا إشكال.
- ويتوجّه قول سعيد بن جُبَير على أنّه ردّد قول الشاعر، مع تغيير: "وكان كريماً" إلى "وكان شقيّاً" وتغيير "فما ينزع" إلى "فلم ينزع" دون أن ينظر

(١٣) الكامل ١: ٣٢٨.

إلى اتّساق حركة الرويّ، فقد كان همّه نقض معنى الشاعر، والإزراء به.

(٣)

ص٤:

أنشدت الشاعرة، تنصح ابن أخيها في خبرٍ سَرَدهُ المؤلّف، قطعة أوّلها:

اقبـــلْ نصـــيحةَ أمّ قلْبُهـــا وَجِـــعٌ عليـك خوفـاً وإشـفاقاً وقـل سَـدَدا

ومنها في صفة أصحابه:

مثــل النِّعــاج خمــول فــي بُيــوتهمُ حتّــى إذا أَمنــوا ألفيــتَهُمْ أســدا

قلت: يَحْسُن ضبط "أُسُد" بضمّ الهمزة والسّين، وهي أحدُ جمُوع (أَسَد)، وضم السِّين يناسب: "فَعِلُنْ" مُحرّكةَ العين، لموافقةِ ضَرْبِ البَسِيط التّامّ.

(٤)

في الروض المعطار (ص٣١-٣٢) تعريف بـ(أنقرة)، قال فيه المؤلف إنّه: "موضع في بلاد الروّم من أرض الشّام، بهِ مات امرؤ القيس بن حُجر مُنْصَرَفَهُ من قيصر.."، وأورد من شعر امرئ القيس قطعةً أنشدها، وقد وقف عند قبرٍ بعيدٍ في تلك المنطقة لابنة ملكٍ من ملوك الروم، أوّلها:

أَجارتَنـــا إنّ الخطـــوبَ تنـــوبُ وإنّــي مقــيمٌ مــا أقــام عســيبُ

إلى آخرها، وقال بعدها: "فلمّا أَيْقن بالموت (يعني من الحلّة المسمومة، التي زعمت الرّواية أنّ قيصر الروم كساه إيّاها فتناثر لحمه منها) قال: "كم طعنة

مثعنجرة، وخطبة مسحنفرة، وجفنة مدعثرة، قد غُودرت بأنقرة". وجاء بعد هذه العبارة (شرحاً لها): مثعنجرة: منصبّة، ومدعثرة: منكسرة. انتهى.

قلت: في ديوان امرئ القيس نصَّان شِعريّان، لهما صلة مباشرة بهذه العبارة التي وردت هنا في الرّوض نثراً.

أ) في أول الدّيوان[١٤] برواية الأصمعي (ص٧)، بعد تقديم الدِّيوان، وذكر صاحبه امرئ القيس، وفيه يقول القائل: [١٥]

يـــــا جفنـــــةً مســـــحنفره وطعنـــــة مثعنجـــــره

قد غودرت بأنقرة

- انتهى

- فهذا النّص الشعري، في تقديم الأصمعي للدّيوان ليس من شعر امرئ القيس، وهو في متن الدّيوان من زيادات نسخة السُّكَّري[١٦]، لامرئ القيس، وفيه[١٧] - "وقال لمّا حضَرَتْهُ الوفاة:

---

(١٤) ديوان امرئ القيس (بشرح الأعلم الشنتمري) من تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- دار المعارف.

(١٥) هذه القطعة تجيء من مجزوء الرّجز على الصورة المرسومة أعلاه. وتُخَرَّج على منهوك الرّجز لو كانت هذه الصّورة:

يا جَفْنَةً مُسْحَنفره

وطَعْنَةً مُثعنجره

قد غُودرتْ بأنقرة

- والأوْلى من مجزوء الرّجز، قال في شرح التحفة (٢٠٠)، وأكثر أهل العروض على أنه ليس بشعر؛ لذلك قال الناظم:.... وما يُرى موحّداً منكورُ!

رُبْ طَعْنَةٍ مُثْعَنْجِرَهْ [١٨]
وجَفْنَةٍ مُتَحَيِّرَهْ [١٩]
وقصيدةٍ مُحَبَّرَهْ[٢٠]
تَبْقى غَداً بأَنْقرهْ "

تذييل: في فهارس ديوان امرئ القيس[٢١] أنّ القِطعة من منهوك الكامل، وليس الأمر كذلك؛ فإنّه لم يُسَجّل بحر الكامل منهوكاً. وهذه القطعة من مجزوء الكامل، فقد ورد فيها: "متحيّره = متفاعلن" و"قصيدة = متفاعلن".

(٥)

في رسم اصطخر (ص٤٤) خبرٌ عن سليمان عليه السَّلام، وقصرٌ عظيمٌ مبنيٌّ من النُّحاس، فيه أشياءُ عجيبة، وصنائعُ غريبة، قال فيه:

"ثم إنّه فتحَ مقصورةً، فأصاب فيها رَجُلاً مُدْرَجاً في أكفانه على سرير من الحديد الصّيني، طوله أربعون ذراعاً مُلقىً على قمحْدُوتِهِ، فوضع يده على صدره، فصارَ رماداً؛ من طول ما أتى عليه من الأزمنة والدهور، فقال: لا إله إلاّ الله،

---

(١٦) أبو سعيد الحسن بن الحسين العتكي السكري (٢١٢-٢٧٥) بصري، راوية عالم بالأدب، جمع أشعار كثير من الشعراء كامرئ القيس والنّابغة...، وجمع أشعار بعض القبائل وأشعارها.

(١٧) الدّيوان (بشرح الأعلم الشنتمري)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ٣٤٩.

(١٨) مثعنجرة: من ثَعْجَر الشيءَ والدّمَ وغيره فاثْعَنْجَر: صَبّه فانْصَبَّ. وفي اللسان: قال امرؤ القيس حين أدركه الموت: "رُبْ جفنة مثعنجرة، وطعنةٍ مُسحنفرة، تبقى غداً بأنقرة" وهكذا وردت كأنها سجعٌ، لا شعر.

(١٩) تحيّرت الجَفْنَة: امتلأت طعاماً ودسماً. والجَفْنَة: أعظم ما يكون من القِصَاع.

(٢٠) محبّرة: حسنة جيّدة من: حَبّر الكلام: حسّنه.

(٢١) ديوان امرئ القيس: ٤٨٣.

لكأنّ هذا الشخص لم يُعمّر في الدنيا قطّ. وإذا بحربةٍ من ذهبٍ مركوزةٍ عن يمين السَّرير، وعن شماله أُخرى مكتوب في إحداها:

إنمّـــا الـــدنيا ســـاعة ويـــوم،
ورقـــــدة بينهمـــــا ونـــــوم،
يعـــيش قـــومٌ ويمـــوت قـــوم،
والـدّهر يمضـــي مـــا عليـــه لـــوم!

وفي الأخرى:

ملكنـــــــــا وقـــــــــدرنا وقهرنـــــــــا وتركنـــــــــا
وقضـــــــى المـــــــوت علينـــــا بعـــــد هـــــذا فـــــذهبنا

وإذا بلوحٍ من ذهب مكتوب فيه:

إذا الحادثـــــاتُ بلَغْـــــنَ المـــــدى وكـــادتْ لهـــنّ تـــذوبُ المُهَـــجْ
وحـــلّ الـــبلاءُ وبـــان العـــزاء فعنـــد التنـــاهي يكـــونُ الفـــرج

وقد كُتبت القطعة الأولى والثّانية على الوجه المرسوم هنا: حائرةً بين رَسْمِ الشِّعر، ودَرْجِ النّثر. لكنّ النَّسْخ، كما يبدو، راعى الهيئة التي وردت في النص المخطُوط.

قلت:

أولاً: ظاهرٌ أنّ القطع الثلاث من الشعر. غير أنّ التّصحيف والتّحريف وسُوء الخَطّ، الذي وردت الشكوى منه في مقدّمة التحقيق، قد وصل إلى بعض الشّعر:

وهذا الاضطراب – لم يُصِبْ إلا الجزء الأول (أو الشّطر الأوّل) من القطعتين الأُولى والثانية. ويُمكن أن يُقال تقديراً:

[دُنيـاك هـذي] سـاعةٌ ويـومُ [٢٢]

أو

[هـــي الحيـــاةُ] ســـاعةٌ ويـــومُ

وما شابه ذلك ممّا يكون قد قيل. ويمكن أن يكون حرف العطف هو (أو) [دُنياك هذي] ساعةٌ (أو) يومُ [٢٣]

وتكون القطعة من مشطور الرَّجز.

ثانياً: ويكون النّقص في القطعة الثانية حَرْفاً أو ما يوازي سبباً خفيفاً (–٥) كأنْ يُقال:

---

(٢٢) الضرب المقطوع من الرّجز (مفعولن) يصير بالخبن إلى (فعولن) ويسمّى حينئذ مكبولاً أو مُخَلّعاً، قال في التحفة (٢٠١–٢٠٢):

ولـــو أتـــي منخـــبلاً مـــا يقطـــعُ مـــن ضَـــرْب فهـــو إذن مخلّـــعُ

ومثاله عنده:

لا خيـــر فـــي مـــن كـــفّ عنـــا شـــرّه إن كـــان لا يُرْجـــى ليـــوم خيـــرِ

(٢٣) قال في شرح تحفة الخليل: وحكوا من شواذّ الرَّجز أن يأتي بعروضٍ مقطوعة (مفعولن) وضربها مثلها مقطوع، كقول رؤبة (التحفة:١٩٩):

أَتَعْتِبنّـــــي والهَـــــوى ذو عَثْـــــبِ لوّامـــــةٌ هاجَـــــتْ بيـــــومٍ سَـــــهْبِ؟

[قـــــــد] مَلَكْنـــــــا وقَـــــــدَرْنا وقَهَرْنـــــــــا وتَرَكْنـــــــــا

وتُخرّج القطعة على مَجْزُوء الرّمل.

ثالثاَ: أمّا القطعة الثالثة فقد سَلِمَتْ مِنَ الإشكال، وهي من المُتَقارب.

في رسم (أشير) ص: ٦٠ أنّها بلدة- أو حصن[٢٤]_ بينها وبين المسيلة مرحلة من بلاد الزاب؛ وهي قديمة آثارية، حصّنها وعمرها: زيري بن مناد الصنهاجي، ومن هنا قيل: أشير زيري.

وفيها يقول عبد الملك بن عيشون:

يـــا أيّهـــا الســـائلُ عـــن غربنـــا هـــذا وعـــن محـــل أشـــير
عـــن دار فســـق ظـــالم أهْلُهـــا قـــد شـــيدت للكفـــر والـــزور
أشخصـــــها الملعـــــون زيريّهـــــا فلعنـــــة الله علـــــى زيـــــري!...

قلت: إثبات الهمزة ضروري، فالاسم بهمزة قطع (أشير). والشعر من بحر السريع، وجاء الضرب على (فَعْلُن) فالقطعة من العروض الأولى، الضرب الثالث (فَعْلُن): أصْلَم في المصطلح العروضي.

وتقطيع الشطر الثاني المُشار إليه:

هاذا وعن. محل ل أ ا. شيري.

مستفعلن . مُتْفعلن . فعلن.

---

(٢٤) ذكر الإدريسي حصن أشير(نزهة المشتاق١:٢٢٤) وفيه:أشير زيري:حصن حسن البُقعة، كثير المنافع وله سوق...الخ" . وهو في معجم البلدان: أشير.

(٦)

في مادة: بَلَنْسِيَة[٢٥] (ص٩٨-٩٩) رسالة لأبي المُطَرّف بن عميرة المخزومي[٢٦]، يذكر فيها مدينته الأثيرة، ويندبُ أيّام الإسلام فيها، ويُورد ثلاث قطع منظومة.

الأولى، بمقدّمتها النثرية هي:

"فيا ثُكْلَ الإسلام، وشجواً للصلاة والصّيام، يوم الثلاثاء[٢٧]، وما يوم الثلاثاء؛ يا ويح الدّاهية الدَّهْياء، وتأخير الأقدام عن موقفِ العزاء[٢٨]:

أيْنَ الصَّبْرُ وفؤاديْ أُنْسِيَه[٢٩] لم يَبْقَ لِقَوْمِه على الرَّمْي سِيَهْ[٣٠]

هَيْهَاتَ يَمُور ما مضى من أُنْسِيَهْ[31] من بعد مُصابٍ حَلّ في بَلَنْسِيَهْ!

والنَّص في الشطر الثاني من البيت الأوّل:

..... لم يَبْقَ لقومه على الرّمْي سِيَهْ

(٢٥) سقطت بلنسية الإسلامية سنة ٦٣٦ صُلحاً (بعد حصار وتضييق طويل)، واستولى عليها جاقمه (خايمي) Jacque أو: Jaime ملك أراغون.

(٢٦) أبو المطرّف أحمد بن عبد الله المخزومي (٥٨٢-٦٥٦) فقيهٌ، أديب، كاتب، شاعر أصله من شقورة بالأندلس. وولادته ونشأته في بلنسية. تولّى منصب القضاء في مدن ومناطق في الأندلس والمغرب. وله عدد من المؤلفات (بقي بعضُها). وشعره كثير، يدل الباقي منه على شاعريّة وأصالة. ويُعدّ أبو المطرف واحداً من أتباع المذهب الخفاجي في الأندلس. وللدكتور محمد بن شريفة دراسة عنه مطبوعة.

(٢٧) ظاهر أنّ يوم تسليم المدينة الحزينة كان يوم ثلاثاء، من شهر صفر من السّنة المذكورة.

(٢٨) "وتأخير الأقدام" هكذا وردت وتحتها نظر. وضَبْطُ النّصّ هنا من اقتراحي.

(٢٩) الهاء في (أُنسيه) مفعول به، وهو عائد على الصّبر، و: أُنْسِيَ: فعل...

(٣٠) سِيَةُ القوس: طرفُ قابها، وقيل رأسها، وقيل ما اعوجَّ من رأسها. وللقوس سِيَتان. والقابُ ما بين المقبض والسّية في القوس. ولكل قوس قابان.

كذا فيه: "لقومه" وقد صوّبتها بعبارة: "لقوسه"، فهي المرادةُ حَتماً. (٣١)

القطعة الثانية (ص٩٨)

بُعْداً لك يا يوم الثلاثاءِ من صَفَرْ ما ذَنْبُكَ عندي بشيءٍ يُغْتَفَرْ
قَدْ أشْمَتَّ بالإسلام حِزْبَ من كَفَرْ مِنْ أيْنَ لنا المَفَرُّ كلاّ لا مَفَرْ!

القطعة الثالثة (ص٩٩)

حِلْمٌ ما نرى بل ما رأى ذا حَالِمْ طوفانٌ يُقال عِنْدَهُ لا عاصِمْ
مَنْ مُنْصِفُنَا مِنِ الزّمانِ الظّالمْ؟ اللهُ بما يَلْقى الفؤادُ عَالِمْ!

- ونقرأ عند حاشية القطعة الأولى ما نصّه؛ للمحقّق:

"قد أبْقَيْتُ هذين السَّطرين كما وردا في النسخة (ع) على أنّهما رَجَزٌ، وفي الشطر الأوّل بعض خلل طفيف. وقد وَرَدا عند بروفنسال في درج الكلام"

- وعند حاشية القطعة الثانية ما نصّه:

"هذان السّطران، أيضا، يمكن إدراجُهما في نطاق الكلام المَسْمُوع، ولكنّ النسخة (ع) أوردتهما في صورة رجز، وذلك شيءٌ لا بأس به!"

- ونقرأ عند حاشِية القطعة الثالثة ما نصُّه:

"يُمكن اعتبار هذين السّطرين جزءاً من الكلام المسجوع، أو إفْرَادهُما لانتظام الإيقاع"

قلت: تردّدت حواشي القطع الثلاث بين وصفها بـ:

" ١) الرّجز، أو

٢) الكلام المسجوع، أو

---

(٣١) لها معنى لقول العبارة: "لم يبق لقومِه على الرَّمْيِ سِيَةْ". وقد صوّبتُها كما ترى.

– والسّيَةُ من القوس: ما عُطِف من طرفيها؛ وهما سِيَتَان.

٣) الإيقاع المنتظم".

وهذه القطع المنظومة هي من الدّوبيت،[٣٢] وليست من الشعر العربي (البحور الخليليّة). وقد وصل النظم على الدّوبيت إلى الأندلس، وتردَّد في أشعار بعض الأندلسيّين، ونقرأ لمالك بن المرحّل (توفيّ ٦٩٩ في الإحاطة): [٣٣]

الصَّـــبُّ إلـــى الجمـــالِ مسَـــائِلْ والحـــــبّ لصـــــدقهِ دلائـــــلْ
والـــــدّمعُ لســـــائلي جـــــوابٌ إن رُوجـــــعَ ســـــائلٌ بســـــائلْ!

وقدّم لسانُ الدين لهذا بقوله: "ومن نظمه في عروض يخرجُ من دوبيتي مجزوءاً مقصراً قوله، ومُلَحُه في اختراع الأعاريض كثيرة". ومالك بن المرحّل عاصر أبا المطرف بن عميرة، وعاش بعده (توفي أبو المُطرف سنة ٦٥٩).

وقد أورد ابن زرقاله لأستاذه ابن خاتمة الأنصاري، قطعة واحدة من وزن (أو لحن) الدوبيت، في كتاب: "رائق التّحلية في فنّ التّورية"[٣٤]، ولم أجد له غيرها في المصادر والمراجع. وكان للسان الدين بعض القطع من الدوبيت (توفي ابن خاتمة ٧٧٠هـ، وتوفي لسان الدين ٧٧٦هـ).

وعَرَض الدكتور مصطفى كامل الشّيبي، موضوع وزن الدوبيت في مقدمته المطوّلة لكتابه: ديوان الدوبيت في الشعر العربي، وذكر أصله، ووزنه (أو أوزانه) ومجزوءه. [٣٥]

---

(٣٢) يُنظر مثلاً: ديوان الدوبيت في الشعر العربي – د. كامل مصطفى الشيبي، و "حقائق عن ديوان الدوبيت" استدركه أ. هلال ناجي.

(٣٣) الإحاطة في أخبار غرناطة ٣: ٣١٠.

(٣٤) رائق التحلية في فائق التّورية لابن زرقاله: ٥٦.
– وانظر مقدّمة ديوان ابن خاتمة الأنصاري (٢٦م).

(٣٥) ديوان الدوبيت في الشعر العربي: (١٧–١٣١)

ومرّ مرّاً تاريخياً على انتشار الدوبيت في الأقطار العربية والإسلامية، ولم يصل إلى الأندلس (لقلّة نصوص الدّوبيت الأندلسية في ما يبدو). ولكنّه وقف عند الشيخ محيي الدّين بن عربي ومنظوماته في هذا الفنّ [٣٦]، وعند ابنه سعد الدين الذي أكثر منه، فقد كان سعد الدين ابن البيئة الشّامية المشرقيّة. (توفي الشيخ محيي الدّين سنة ٦٣٨، وتوفي ابنه ٦٨٦).

(٧)

في استطراد في مادة (بلنسية) (ص ٩٩-١٠٠) قصيدة لأبي المطرّف بن عميرة المخزومي، منها قوله:

مـا كـانَ ذاكَ المِصْـرُ إلاّ جَنّـةً للحُسْـنِ تجـري تَحْتَهـا أنْهَـارُهُ
طابـت بطيـبِ نهـارِهِ آصـالهُ وتعطّـرت بنسـيمه أشـجارُهُ

كذا فيه؛ قلت:

اقرأ البيت الثاني من البيتين المذكورين على هذا الوجه:

.... أسْـحارُهُ

فلا معنى لذكر الأشجار. وفي البيت مقابلة بين الآصال في الشطر الأوّل، وبين الأسحار (جمع: سَحَر) في الشّطر الثّاني.

(٨)

في مادة بَيْنون (ص ١١٩) بيتان نُسِبا إلى ذي جَدَن الحميري، وهما:

هَوْنَـك لـن يـردّ الـدمع مـا فاتـا لا تهلكـنْ أَسـفاً فـي إثـر مـن فاتـا

(٣٦) أشار د. الشّيبي إلى أثر التصوّف في انتشار الدوبيت تامّاً ومجزوءاً.

أبعـــد بينـــون لا عـــينٌ ولا أثَـــرٌ وبعـد سـلْمين يبنـي النـاسُ أبياتـا؟

قلت: الشعر من بحر البسيط. والشطر الأول من البيت الأول مضطرب؛ ويصحّ، لو قيل، تقديراً:

هَوْنَـكَ لـن يَسْـتَرِدَّ الـدّمْعُ مـا فَاتـا ....

"هَوْنَكَ لَنْ: مُستعلن، يَسْتَرِدْ: فاعلن، دَدْ دَمْعُ مَا: مستفعلن، فَاتا: فَعْلُن...".

(٩)

في رسم جيّان (ص: ١٨٤) أبيات مختارة لأبي ذرّ الخُشَنِي الأَندلسي، أنشدها وقد خرج من المدينة المذكورة، ومنها:

أيـــا نَخْلَتَـــيْ يومـــا بـــالله أســـعدا غريبـاً بكـى مـن فقـد أهـلٍ وجيـرانِ

وقال عند الحاشية، تحت هذا البيت:

"هكـذا فـي نُسـختي (ص) و (ع)، ولعلّـه اسـم مكـان فـي المغـرب وقـع فيـه تحريف. وقد غيّره ليفي بروفنسال – يعني في نشرته – إلى جَيّان، وذلك وهم؛ لأنّ الشاعر يخاطب نخلتين في أقصى المغرب، فيتذكّر وطنه جَيّان" انتهى.

قلت:

لا بدّ من الإشارة إلى أن البيت على الصورة التي رُسِمت، مضّطرب في شطره الأوّل. والقصيدة من بحر الطويل. والتفعيلة الثالثة من الشطر على هذا الرسم تصبح "عولن". ولا تجيء (فعولن) في الطّويل على (عولن) إلا في التفعيلة الأولى. فإذا وقع ذلك، فهو الثلم. ويدخل الثلم بحر المتقارب على شروط أُخرى.

وتغيير ليفي بروفنسال (يوما) إلى (جَيّان) يستدرك صحة الوَزْن. وتعليق الدكتور عباس في ما يخصّ المعنى صحيح.

وتقطيع الشطر على صورته في متن الرّوض المعطار:

أَيَا نَخْ . لَتَيْ يوما . بِلْ لَ ا . هِ أَسْعِدِي.

فعولن . مفاعلين . عولن . مفاعلن .

(١٠)

في رسم سمرقند (ص٣٢٢)، يُقال: إنها بُنيت أيام الإسكندر، وتولّى ذلك شمر (أي شمر بن إفريقش)، فقيل شمرقند، وعُرّبت، فقيل: سمرقند. وإلى ذلك أشار دعبل في قوله في قصيدته التي افتخر فيها على الكميت:

وهم كتبوا الكتاب بباب مَرْوٍ وباب الصِّين كانوا الكاتبينا

وهم وسموا بشمر سَمْرَقَنْداً وهم غرسوا هناك التُّبّتينا

قلت:

– البيتان في (ديوان دعبل) [٣٧]، وهما فيه (مضبوطَان):

وهم سَمَّوْا سَمَرْقَنْداً بِشَمْرٍ وهم غَرَسُوا هناك التُّبَّتِيْنَا

– وفي الحاشية: "يريد التُّبَّت، وشَمِر يُرْعِش من ملوك حِمْيَر، وفي معجم البلدان: خربوا" انتهى.

(١١)

(٣٧) ديوان دعبل ١٩٥٠.

في مادّة شلطيش (ص ٣٤٤) أبيات من قصيدة لعبد الجليل بن وهبون[٣٨] في مدح المعتمد بن عبّاد، منها:

فـــإن تقبـــل تحيّتـــه فأجـــدرْ فربَّمـــا تواصـــلت البحـــار

كذا فيه. وفي نشرة ليفي بروفنسال: "فَرُبَّتما". وهي الصّواب، فإنّ البيت بعبارة "فربّما" مكسور الوزن. وهو من بحر السريع:

"فَرُبَّتَما: مفاعلتن، تَوَاصَلَتِلْ: مفاعلتن؛ بِحَارُه: مفاعي= فعولن".

(١٢)

في رسم (صَدّاء) لبعض الشُّعرَاء:

يـــا وزراء السّـــلطان أنـــتم وآل خاقـــانْ
كـــبعض مـــا روينـــا فـــي ســـالف الأزْمـــانْ
مـــاءٌ ولا كَصَـــدّى مَرْعـــىً ولا كالسَّـــعْدانْ[٣٩]

قلت:

١) القافية في الشّعر مقيّدة.

٢) القطعة على وزن: (مستفعلن مفعولان) [٤٠]

---

(٣٨) أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المُرسي (.... – ٤٨٣) من كبار شعراء الأندلس وأُدبائها، في أخباره أنه عاش منقطعاً إلى بلاط المُعتمد في إشبيلية. له أشعار مفرقة في كتب التواريخ والأدب والتراجم.

(٣٩) كأن الشاعر نظم القطعة ليدرج مثلين أوردهما في البيت الثالث. وهما مشهوران.

(٤٠) في أوزان المنسرح أن تجيء العروض الثانية منه منهوكة موقوفة، والعروض هي الضرب، وبيتُه:

صَبْراً بني عبد الدّارْ

٣) جاء البيت الأول مصرّعاً؛ فاقتضى مجيء العروض كالضّرب: ءَ سْ سُلْطان: مفعولان، لـ (و) خاقان: مفعولان.

٤) الشعر من مجزوء الرَّجز، أَدرجه جلال الحنفي في الرّجز الرابع عشر من تقسيماته وشواهده.

٥) ولما كان الضرب في القطعة أو القصيدة، لازم الثّبات على حاله من أوّل الشعر إلى آخره، فإنّ آخر تفعيلةٍ من البيت الثّاني مُختلفة، ويمكن أن ينضبط الشّعر لو قيل مثلاً:

.... فـــي [ســـالفاتِ] الأَزْمـــانْ

ولكن الشعر المذكور أعلاه يختلف، فإن عروضه ليست ضربه في سائر الأبيات (أو الأشطار) فمن هنا عُدَّ الشعر من مجزوء الرَّجز. وأمثلته كثيرة. وفي العروض للحنفي ٥٢٤:

كـم فـي الـورى مـن مـاحضٍ نُصْـحاً وكـم مـن غَـدّارْ

(١٣)

في مادّة "عُمَان" (ص: ٤١٢)، قال الشاعر:

أي عُمان من قصور عمان

– هكذا ورد النص، هو شطر واحد.

– قلت:

هذا الشطر مطلع قصيدة أو هو مطلع شطر أول (صدر بيت) من بحر الطويل، من الضرب الثالث. وقد أصابَ التفعيلة الأولى: (الثّرْم)، فجاءت على (عُوْلُ) وتقطيعه هكذا:

أَيْنَ . عُمانَن مِن . قُصورِ . عماني .

عول . مفاعيلن . فعول . مفاعي = فعولن

وفي أحكام بحر الطويل أنّه[٤١] يجوز الخَرْمُ في جُزئهِ الأوّل – التفعيلة الأولى – فتُحذف الفاء من فعولن، فإن كانت سالمة صارت (عولن)، وتُنقل إلى (فَعْلن) ويسمّى ذلك ثلماً. وإن كانت مقبوضة صارت (عول) وتُنقل إلى (فَعْلُ) ويسمّى ذلك ثَرْماً.

– ومثال الثرم قول الأخنس بن شهاب:

لابنــة حطّــان بــن عــوف منــازل كما رقّش العنوان في الرقّ كاتبُ

– وقول أبي تمّام:

هُــنّ عَــوادي يوســف وصــواحِبُهْ فعزمــاً فَقِــدْماً أدرك النّــوْلَ طالِبُــهْ

(٤١) هذا ثابت في كتب العروض قديماً وحديثاً، والسيّاق لشرح تحفة الخليل: ١٠٢.

(١٤)

في مادّة يَمَن (ص ٦١٩) بيتان لِسُدَيف بن ميمون، هما:

لا عــزّ ركنــا نــزارٍ يــومَ نائبــةٍ إنْ أَسْــلَمُوْكَ ولا رُكْنَــا ذوي يَمَــنِ
قومــا بدعوتــه نــنهضْ بطاعتنــا إنّ الخلافـة [فينـا] يـا بنـي حَسَـنِ!

قلت

١) إضافة [فينا] إلى الشّطر تُصّوب وزنه؛ فالشّعر من بحر البسيط.

٢) لكنّ المعنى يقتضي أن تكون العبارة [فيكم]؛ فهو يخاطب الأخوين محمّداً وإبراهيم: من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وقد قاما بدعوتهما ضدّ أبي جعفر المنصور.

وكان سُدَيف عباسيّاً غالياً؛ تَسبّب في مقتل المئات من بني أُمَيّة بقصائده المنكرة التي كانت تفسد كل عفوٍ، أو كفٍّ عن دمائهم.

ثم صار من أتباع محمّد ذي النّفس الزكيّة، وأخيه إبراهيم، منادياً بِحَقّهما – دون آل العباس – بالخلافة؛ منتقلاً من العباسيّة إلى العلويّة.

فهذا معنى قوله– كما قرأتُ النصّ – توقّعاً، واستشرافاً للمعنى:

.... إنّ الخلافـة [فـيكم] يـا بنـي حَسَـنِ!

ولو كان الشّعر كما أثبت المُحَقّق، لكان سُدَيْف منافساً لبني الحَسن، ضدّهم، والمراد عكسُ ذلك. وقولهُ – كما قرأتُ – "فيكم" أي ليست في بني العَبّاس، ولكنّها في آل علي رضي الله عنهم.

قلت: أورد ابن رشيق ثلاثة أبيات في العمدة لسديف، قال: "وممّن ضرّه الشعر وأهلكه سُدَيف، فإنه طعن في دولة بني العباس بقوله لمّا خرج محمد بن عبد الله بن الحسن على أبي جعفر المنصور بالمدينة في أبياتٍ له:

إنّا لنأمل أن ترتدّ ألفتنا ... بعد التبعّد والشمناء والإحنِ
وتنقضي دولة أحكام قادتها ... فينا كأحكام قومٍ عابدي وثن!
فانهض ببيعتكم تنهض بطاعتنا ... إنّ الخلافة فيكم يا بني الحسَنِ

فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حيّاً ... الخبر.

والذي في عمدة ابن رشيق هو الصَّوابُ، ووافق اجتهادي هذا النّصّ القَديم(٤٢).

(٤٢) العمدة لابن رشيق القيرواني ١ : ١٠٧.

المَصادر والمراجع

- الإحاطة في أخبار غرناطة – لسان الدين بن الخطيب – تحقيق محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي – القاهرة.
- حقائق عن ديوان الدوبيت – ناجي هلال (فصلة).
- ديوان أبي الطيب المتنبي (التبيان) – تحقيق مصطفى السقا وآخرين – مكتبة مصطفى البابي الحلبي – القاهرة.
- ديوان امرئ القيس بشرح الأعلم الشنتمري – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم– دار المعارف – القاهرة.
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري – تحقيق محمد رضوان الدّاية – وزارة الثقافة دمشق – ١٩٧٢.
- ديوان دعبل الخزاعي – جمعه وحققه د. عبد الكريم الأشتر – مجمع اللغة العربية – دمشق ١٣٨٤/١٩٦٤.
- ديوان الدوبيت في الشعر العربي – د. مصطفى كامل الشيبي – منشورات الجامعة الليبية ١٣٩٢ – ١٩٧٢.
- رائق التحلية في فائق التورية – ابن زرقاله الأندلسي – تحقيق محمّد رضوان الداية – دار الحكمة – دمشق.
- الرّوض المعطار في خبر الأقطار – الحميري – حققه د. إحسان عباس (طبعة مصورة).
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية – عبد الحميد الراضي – مطبعة العاني بغداد ١٣٨٨ – ١٩٦٨.

- صفة جزيرة الأندلس – ليفي بروفنسال.
- العروض: تهذيبه وإعادة تدوينه – جلال الحنفي وزارة الأوقاف بغداد ١٣٩٨ – ١٩٧٨.
- العمدة لابن رشيق القيرواني – تحقيق محمد قرقزان – دار المعرفة – لبنان ١٤٠٨ – ١٩٨٨.
- الكامل للمبرّد – تحقيق د. محمد الدالي – مؤسسة الرسالة دمشق.
- (أبو) المطرف بن عميرة المخزومي – محمد بن شريفة – منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي – فاس – المغرب.
- معجم البلدان – ياقوت – دار صادر ودار بيروت ١٣٨٨ – ١٩٦٨.
- معجم ما استعجم للبكري – تحقيق مصطفى السقا – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٣٦٦ – ١٩٤٧.
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق – الإدريسي – عالم الكتب – بيروت ١٤٠٩ – ١٩٨٩.
- الوافي في العروض والقوافي – التبريزي – تحقيق فخر الدين قباوة وعمر يحيي– دار الفكر – دمشق ١٣٩٥–١٩٧٥.

شعر
أبي الحسين الجزّار (ت ٦٧٩هـ)
نقد واستدراك

د. عبد الرازق حويزي

"الجزّار" شاعر معروف، اتّسم شعره بالسلاسة، والعذوبة، والصدق الفنِّي والعاطفي، ومثّل الروح المصرية بكل ما تتمتّع به من دعابة، ورقّة، وخفّة روح، وعمق ظَرْفٍ. اسمه "يحيى بن عبد العظيم"، وكنيته هي: "أبو الحسين"، ولد عام (٦٠١هـ)، توفي في القاهرة، مُصابًا بالفالج عام (٦٧٩هـ) على أرجح الآراء...

ونظرًا لجودة أشعاره، فقد نال من القدماء والمحدثين، على حدٍّ سواء، الاهتمام اللائق بمكانته الأدبية، وموهبته الشعرية، أمّا القدماء فقد تهافتوا على رواية أشعاره، وتضمينها مؤلفاتهم، وخير مثال على ذلك ما فعله "ابن الشعار الموصلي ت ٦٥٤هـ" في كتابه "قلائد (عقود) الجمان في شعراء هذا الزمان"، و"الصفدي ت ٧٦٤هـ" في كتابه "صرف العين"، وغيره من مؤلفاته القيّمة.

وأمّا المحدثون، فقد هرعوا إلى جمع أشعاره، والتصدّي لها بالدراسة والتحليل والتقويم، تأتي في مقدمة هذه الدراسات دراسة الباحث: "محمود الجريدلي" التي قدّمها إلى كلية الآداب – جامعة عين شمس– عام ١٩٩٠م؛ لنيل شهادة الماجستير تحت عنوان "شعر أبي الحسين الجزار: دراسة فنية تحليلية"، ويبدو من هذا العنوان أن صاحبها خصّصها للدراسة فقط.

أمّا بالنسبة لجمع الشعر وتحقيقه، فيرجع فضل السبق والرّيادة في هذا المجال إلى الباحث الدكتور الفاضل "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"– حفظه الله– الذي أعدّ أطروحة دكتوراه، وقدّمها إلى كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي–

مصر – عام ١٩٩٦م، تحت عنوان: "شعر أبي الحسين الجزار"، ولم يتيسّر لي الحصول على هذه الدراسة إلا بعد صدورها عن مكتبة الآداب بالقاهرة عام ٢٠٠٧ م.

ثم تلت هذه المحاولة محاولة أخرى نهض بإعدادها الدكتور الفاضل "محمد زغلول سلام"–سلّمه الله–، وهي محاولة متواضعة، نشرتها تحت عنوان: "ديوان الجزار" مكتبة منشأة المعارف – الإسكندرية – عام ٢٠٠١م. وإن كانت هذه المحاولة أسبق في النشر من محاولة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، فإنّ محاولة "أحمد خليفة" أسبق في الإعداد والإنجاز.

وكان كاتب هذه السطور قد تناول في بداية الأمر نشرة "محمد زغلول سلام"، منذ وقف عليها بالنقد والاستدراك، وكان ذلك منذ بضع سنوات، ثم طوى صفحة هذا النقد، وأحجم عن نشره فور وقوفه على تنويه بعمل "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، الذي لم يحصل عليه إلا عام ٢٠٠٧م كما ذُكر آنفًا.

وبعد الحصول على نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، بدأتْ مرحلة مقارنتها بنشرة "محمد زغلول سلام"، فاتّضح أن كلاًّ منهما لم يرجع إلى عمل الآخر، ولم يفد منه رغبةً في الجنوح بالعمل درجةً نحو الكمال. وبعد النظر في العملين كانت الحقائق التالية:

١– أن عمل "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" يُعدُّ عملاً علميًا، التزم فيه صاحبه بمنهجية البحث العلمي، وقواعد التحقيق؛ إذ فيه استقصاء للمخطوطات – إلى حد ما – والتطلّع إلى استيفاء جمع شعر الجزار من مظانِّه المطبوعة، وعلى الرغم من ذلك لم يُطلق على عمله عنوان "ديوان"؛ لعلمه أن شعر "الجزار" يربو بكثير على ما جمع. أمّا د. "محمد زغلول سلام"، فقد أطلق اسم "ديوان" على محاولته التي لا تبلغ حصيلتها الشعرية ثلث ما احتوت عليه محاولة "أحمد عبد

المجيد محمد خليفة" تقريبًا، وبعد النظر في المحاولتين، وتأمُّل ما اعتمد عليه كل محقق من المخطوطات تبيّن أنّ "محمد زغلول سلام"، اعتمد فيما نشر من شعر "الجزّار" على ما يلي:

أ – مخطوطة "تقطيف الجزّار"، وهي مجموعة شعريّة اختارها "الجزّار" من جيد أشعاره، وأهداها لـ "ابن أبي جرادة الحلبي ت ٦٦٠هـ" ، صاحب كتاب "بُغية الطلب في تاريخ حلب"، ولم يفصح "محمد زغلول سلام" عن هوية هذه المخطوطة.

ب – مخطوطة "الضراعة الناجحة والبضاعة الراجحة"، وهي معشرات – كل قصيدة في عشرة أبيات – نظمها الجزار في المدائح النبوية، وكل معشرة منها على قافية من حروف الهجاء، ولم يفصح "محمد زغلول سلام"، أيضًا، عن هوية هذه المخطوطة .

أمّا د."أحمد عبد المجيد محمد خليفة "، فقد اعتمد في عمله العلمي القيّم على المخطوطات الآتية:

أ – مخطوطة "أيا صوفيا"، وتقع في جزأين؛ هما:

١– تقطيف الجزّار.

٢– منتخب الصّفدي من شعر الجزّار.

ب – مخطوطة "الضّراعة الناجحة والبضاعة الرابحة" – دار الكتب المصرية برقم(١١٤٩)، شعر تيمور – ميكروفيلم برقم (٢٤٠٩).

ج – "العقود الدُّريّة في الأمراء المصرية"، وهي أرجوزة في أمراء مصر– نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم(٩٤٤).

ومن خلال هذا السّرد للمخطوطات المعتمدة في إخراج شعر "الجزار"، يتّضح لنا أنّ المحقِّقَينِ اعتمدا على" تقطيف الجزار"، ومن خلال عرض كل عمل على الآخر، اتَّضح أنّ نسخة "التقطيف" المعتمدة لدى "محمد زغلول سلام"، غير النسخة المعتمدة لدى "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، ففي نسخة " التقطيف " في نشرة د . "محمد زغلول سلام"، أبيات أخلّت بها نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، وفي " التقطيف" في نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، أبيات أخلّت بها نشرة د . "محمد زغلول سلام".

٢- على الرغم من حرص د. "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" في عمله العلمي على استقصاء شعر "الجزّار"، فقد فاتته حصيلة من الأشعار، والجدير بالذكر أنني كنت قد استدركت هذه الحصيلة على عمل "محمد زغلول سلام"، وأوقفت نشرها لحين الوقوف على عمل "خليفة"، إذ ربما تكون فيه، ومن ثم لا يكون لاستدراكي جدوى، ولكن وجدت أنّه قد أخلّ بها هو الآخر، إذًا فهذه الحصيلة تستدرك على العملين معاً.

٣- أن عمل "أحمد عبد المجيد خليفة" انطوى على بعض الهنات، شأنه في ذلك شأن أي عمل بشري، وسأحاول في السطور التالية رصد هذه الهنات مع محاولة معالجتها، وهذه الهنات كامنة، أيضًا، في نشرة "محمد زغلول سلام"، ولمّا كان عمل "أحمد عبد المجيد محمد خليفة "، أكمل وأشمل وأدقّ وأعمق وأجود، فسوف أركّز عليه في إبداء ملحوظاتي المتواضعة، وهي تنسحب على نشرة "محمد زغلول سلام"، أيضًا، أمّا ما انفردت به نشرة "محمد زغلول سلام" من أبيات، وغير ذلك ممّا سيرد في بحثي، فسوف أنصّ عليه، لأعطيه حقه في ذلك، وربّما تعدّ الأبيات التي انفردت بها نشرته، أهم ما يميّزها.

إنّ ظهور نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، جعل الاعتماد على نشرة "محمد زغلول سلام" في البحث "من قِبَل أي باحث أمرًا غير مقبول؛ لذا سأنأى بحديثي عن هذه النشرة، وسأركّز على نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" لرصد بعض الملحوظات عليها، ومعالجتها للارتقاء بهذه النشرة العلمية الجيدة، مشيرًا إلى بعض الإيجابيات في نشرة د. "محمد زغلول سلام" لنوفّر عليه حظّه، أمّا ملحوظاتي حول نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، فتدور حول العناصر الآتية:

أولاً : ترك استقصاء مخطوطات الديوان.

ثانيًا : ما أخلّ به ديوان "الجزار" بنشرتيه.

ثالثًا : خلط شعر "الجزار" بشعر غيره من الشعراء.

رابعًا: تكرار بعض المقطعات دون الإشارة إلى ذلك.

خامسًا: ملحوظات حول تحرير النص وشرحه وتخريجه.

سادسًا: إخلال المقدمة والفهارس.

وأبدأ أولاً بالعنصر الأول، وهو:

أولا: ترك استقصاء مخطوطات الديوان:

ذكرنا آنفًا، أنّ "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، حاول قدر استطاعته استقصاء مخطوطات شعر الجزار، فظفر بثلاث مخطوطات، هي مخطوطة "آيا صوفيا"، وتضم "تقطيف الجزار"، و"منتخب الصفدي من شعر الجزار" زيادة على التقطيف، ومخطوطة "الضّراعة الناجحة والبضاعة الرابحة"، ومخطوطة "العقود الدّرّية في الأمراء المصرية".

وأقول:

١- فاته – وكذلك محمد زغلول سلام – الرجوع إلى نسخة مخطوطة أخرى في المكتبة الصادقية بتونس، أشار إليها "خير الدين الزركلي" في كتابه الموسوم بالأعلام ١٥٣,/٨

٢- فاته – وكذلك محمد زغلول سلام – الرجوع إلى ما جمعه الشيخ:" محمد السماوي" من شعر "الجزّار"، فقد قال "الزركلي" في كتابه الأعلام ١٥٣/٨ نقلاً عن الغدير ٤٢٦/٥ – وذكر ذلك أيضًا محقق قلائد (عقود) الجمان ٢٦٦/٩-: إنّ الشيخ "السماوي"، جمع "للجزار" ديوانًا يربو على ١٢٥٠ بيتًا، ولعلّ المحقِّقَينِ لم يعلما بهذا العمل.

٣- لم يعتمد "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" في تحقيقه لأرجوزة "الجزار" الموسومة بـ "العقود الدّرّية في الأمراء المصرية"، إلا على نسخة واحدة من مخطوطاتها، في حين ذكر "بروكلمان" لها أكثر من سبع مخطوطات، وحدّد أماكنها في خزائن المخطوطات العالميّة، قال بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ٦ /٩٠ في تعداد نسخ هذه الأرجوزة المخطوطة: "برلين ٩٨١٤:٢، ٩٨٢٤:١ (ii) ليدن ٩٦٩، الإسكوريال ثان ١٠/٤٧٠، والمتحف البريطاني ثان ٤٨٧، فلورنسة RiCC ١٢، الأزهر ٢٢ ٦٦٩٣، ٢ (شاخت ٣٩/٢، انظر ٣٧،٥/٢. ومع ذيل لمجهول يصل إلى سنة ١٤٦٧/٨٧٢: جوتا ١٦٦٧ – ١٦٦٨، بطرسبرج أول ١٣٩: ٢. ومع ذيل للسيوطي (المتوفى سنة ١٥٠٥/٩١١: باريس أول ١٦٠٨/، فلورنسة RiCC ١٢: ٣".

ثانيًا: ما أخلّ به ديوان "الجزّار" بنشرتيه.

لا أنكر أنّ نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، قد استوعبت أكثر شعر "أبي الحسين الجزّار"، وعلى الرغم من ذلك اعترف بأنه لا تزال هناك أشعار أخرى لم يتوصّل إليها بعد، وأشايعه في هذا الرأي، بيد أنه ممّا تجدر الإشارة إليه أنّه على الرغم من حرصه على جمع كل أشعار الجزار، قد فاته شعر كثير، وأقول:

فاته؛ لأنّ بعض هذا الشعر ورد في مصادر بعضها كان متاحًا قبل تجرده لنشر الديوان، وبعضها ورد في مصادر وأفاد منها، ولو رجع إلى نشرة "محمد زغلول سلام" المنشورة قبل نشر عمله بأكثر من خمسة أعوام، لاستدرك منها بعض المقطعات؛ ليغني بها محاولته، ولو تأنّى أمام ما رجع إليه من مصادر؛ لأرفد محاولته بكثير من الأشعار.

هذا وقد طابقت – كما قلت –نشرته على نشرة "محمد زغلول سلام"، فألفيت أنّ نشرة "محمد زغلول سلام" على الرغم من إخلالها بأكثر شعر "الجزار"، قد اشتملت على أبيات لم ترد في نشرته، وسوف أورد هنا هذه الأبيات منفصلة عمّا استدركته على النشرتين، مخرجًا إياها على عمل "محمد زغلول سلام"، ثم سأتبعها بما استدركته من شعر الجزار ممّا لم يرد في المحاولتين، مخرجًا إياه على مصادره، وأبدأ أولاً بسرد ما خلصت نسبته "للجزار".

(١) ما خلصت نسبته "للجزار":

(أ) ما ورد في نشرة "محمد زغلول سلام"، وأخلّت به نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة ":

(١)

قال:

[من الخفيف]

١- ضَحِكَ الروضُ من بكاءِ السَّحابِ فاغتنمْ فُرصةَ الصّبَا للتَّصَابي
٢- واجنِ باكورةَ الزَّمانِ بشرْبِ الرّ راحِ فالدَّهرُ آيلٌ للذِّهَابِ
٣- وأدِرْها من عَسْجدٍ في لُجَينِ الـ ـكأسِ قد رُصِّعتْ بدُرِّ الحبَابِ
٤- أتلقَّى الشتا بجِلْدِي وغيرِي يَتلقَّاه بالفِرا السِّنجَابِ
٥- وأودُّ المُشاقَ والقطنَ والصو فَ وغيرِي لم يرضَ بالعَتَّابِي
٦- جُبَّتِي في الأمطارِ جلدِي ولِبَّا ديَ ثوْبي وَبْغَلتِي قُبْقابي

٧- ونهــارُ الشــتاءِ أطــولُ عنــدِي مــن نهــارِ الصِّــيام فــي شــهرِ آبِ
٨- لــوْ يَزَانِــي عنــد الغُــدُوّ عَــدُوّي لرَثَــى لــي ورقَّ مِمَّــا يــرى بِــي
٩- إذ يــرى ســائرَ المفاصــلِ مِنِّــي راقصــاتٍ إذ صــفَّقتْ أنيَــابي

التخريج: ديوان الجزار ص ٢٨، ويُضاف لتخريجها فيه: مجموعة أشعار للنواجي الورقة ٣٠ (مكتبة المتحف العراقي – بغداد – رقم: (١٩٤٤)، وكذا ورد البيت الخامس، ولعلّ الصواب "لم يرضَ بالعنّاب"، ويكون المقصود بالعنّاب هنا: ثمرة العنّاب.

(٢)

وكتب إلى أحمد بن نصر الله بن باتكين ملغزاً في الشطرنج:

[من الوافر]

١- ومــا شــيءٌ لــه نفــسٌ ونَفْــشُ ويُؤْكــلُ عظمُــهُ وَيُحَــكُّ جِلــدُهْ
٢- يــودُّ بــه الفتــى إدراكَ سُــؤلٍ وقــدْ يَلْقَــى بــه مــالا يــودُّهْ
٣- ويأخــذُ منــه أكثــرَه بحــقٍّ ولكــن عنــد آخــرِهِ يَــرُدُّهْ

التخريج: الديوان ٣٧، ويضاف إلى تخريجها: أعيان العصر وأعوان النصر ٤٠٣/١، والدرر الكامنة ٣٢٥/١، وفي الديوان: "له نفس ونفس"، وهو خطأ.

(٣)

وقال:

[من السريع]

يقـــولُ إذْ أشـــكو لـــه زفرَتِـــي لا بُـــدَّ للجـــزَّارِ مـــن زَفْـــرَةْ

التخريج: الديوان ص ٤٨.

(٤)

وقال:

[من البسيط]

أجفانُــه ضــمِنَتْ لــي صِــدْقَ مَوْعِــدِه فكيــفَ تُــوفى ضَــمَانًا وهــي تُنْكِــرُهُ

التخريج: الديوان ٤٨.

(٥)

وقال:

[من البسيط]

أشكُو لعَدْلك جورَ السّقمِ في جسدِي حمــاكَ رَبِّــي مــن سُــقْمٍ وعَافَاكــا

التخريج: الديوان ٦١.

(٦)

وقال:

[من الطويل]

١- قصـــيدٌ يُغَـــارُ منهـــا وكيـــف لا ووصـــفُك فيهـــا حـــين تنشـــدُ قَـــدْ تلـــي
٢- أقامتْ مناري فامرؤ القيسِ حَاسِدِي عليهـــا وحسْـــبي أنهـــا فيـــكَ وهـــي لـــي
٣- تَصلكُّ بكفِّ النّظمِ من حُسْنِهَا قَفا "قِفَـــا نبْـــكِ مـــن ذِكْـــرَى حبيـــبٍ وَمَنْـــزِلِ"

التخريج: الديوان ص ٦٧، وهي بقية القصيدة رقم ٥٧، والمتداخلة مع قصيدة أخرى مخالفة لها في الوزن والقافية في نشرة "أحمد عبد المجيد خليفة"، وعجز البيت الأخير مضمن من مطلع معلقة "امرئ القيس".

(٧)

وقال:

[من الخفيف]

١- وصَـــلَ الجســـم منـــذ بنْـــتم ســـقامه وجفـــا الجفـــنُ مـــذْ هجـــرتُم منَامُـــهْ
٢- فارحموا عاشقًا عَصَى النُّصْحَ في الحُبْـ ـــــبِ علـــيكم لمّـــا أطـــاعَ غَرَامَـــهْ
٣- لا تظنُّـــوا أنِّـــي سَـــلَوْتُ فـــأين الصـــ ـــــبر مـــن مُهْجَـــةٍ بكُـــمْ مُسْـــتَهَامهْ
٤- بـــينَ قَلْبِـــي وبـــينَ صَـــبْرِيَ عـــنكم مثـــل مـــا بـــينَ مسْـــمَعِي والملامَـــهْ

ومنها:

٥- غيـــرَ أَنِّـــي إذا ذكـــرتُ زمـــانَ الـــ ـــــوصلِ قـــال المُنَـــى علـــيَّ الغرامَـــهْ
٦- أطْمعتنِـــي الآمـــالُ إذْ كُـــلُّ مـــا اشتقـــ ـــــتُ زمانًـــا يـــعِيدُ لـــي أيـــَّامَهْ

التخريج: الديوان ص ٧٧، وكتبت الأبيات ٢، ٣، ٥، ٦ غير مدورة.

(٨)

٢٣٠

وقال:

[من الكامل]

وشـــقائقًا قَبَّلتُهَـــا مـــن خَـــدِّه حَتـــى رثـــى لـــذبولِها نعْمَـــان

التخـريج: الـديوان ٨٣، ويُضـاف للقصـيدة رقـم ١٣٦، ص ٢٠٨، ويوضـع فـي نهايتها.

(٩)

وقال:

[من البسيط]

جنىّ وردِ خدودِ العَاتبِ الجاني إلـى احتمـالِ التَّجَنِّـي منـه ألجَـانِي

التخريج: الديوان ٨٤.

(١٠)

وقال:

[من الطويل]

١- نصـحتُكَ فاسـمعْ نصـيحةَ عاشـقٍ وإنّـي علـى مـا قلتُـه لأمـينُ
٢- من الرأي أن لا توقعَ الحربَ بيننَا فـإنِّيَ جَـزَّارٌ وأنـتَ سَـمِينُ

التخريج: الديوان ص ٨٦، والبيت الأوّل فيه مكسور، ويستقيم بإضافة حرف الجر(من) بعد (فاسمع) كما ورد في كتاب نصرة الثائر على المثل السائر ٢٤١.

(١١)

وقال:

[من الطويل]

١- إذا كانَ لي مالٌ علامَ أصونُه؟ وما سادَ في الدُّنيا مَن البخلُ دِينُهُ
٢- من كان يوماً ذا يسارٍ فإنَّه خليقٌ لَعَمْرِي أن تجودَ يمينُهُ

التخريج: الديوان ص ٨٦، ويُضاف إلى تخريجهما الكشكول ١/٤٠٥ – ٤٠٦.

ب – ما أخلّ به ديوان "الجزّار" بنشرتيه:

وأثبت هنا الأشعار التي وقفت عليها في المصادر أثناء ملاحقتي لشعر "الجزار"، والتي لم أقف عليها في نشرتي ديوانه، تطلُّعًا إلى جمع كل شعر الشاعر، ولا شكّ أنّه لا تزال هناك أشعار أخرى لم تصل إليها يد بعد، ننتظر من الإخوة الباحثين الوقوف عليها؛ لتظهر صورة "أبي الحسين الجزار" على أتمّ وجه، فمن المستدرك على ديوانه بنشرتيه:

(١)

قال " أبو الحسين الجزّار":

[من الهزج]

١- أمستوٍ في قلوب إلى كمْ هكذا تكذبْ
٢- من الصُّبحِ إلى الظُّهرِ إلى العصر إلى المغربْ

التخريج: الغيث المسجم ٢/٣٠٢.

(٢)

وقال:

[من السريع]

١- يـا مـن إذا الخطـبُ دَجَـا ليلـةً جاءتْـــه أنـــوارٌ لـــه أشـــرقتْ
٢- ســقتْ أياديــكَ عــروسَ المنَــى حَتَّـــى رَأَينَاهَـــا وَقـــدْ أورقـــتْ
٣- مَهْـلاً فـإنَّ السُّـحْبَ إنْ وَاظبَـتْ أرضًـــا بهَتَّـــانِ الحَيـــا أغرقـــتْ
٤- قَطَـــائِفِي واظبَهَـــا قَطْرُهـــا فاســتبحرتْ مــن بعــد مــا شــرقتْ

التخريج: منهل اللطايف في الكنافة والقطايف للسيوطي ٣٧ – ٣٨.

(٣)

وقال:

[من مخلّع البسيط]

١- لا تَنسُـــب المشـــتري لِفعـــلٍ ولا تُعـــــرِّج علـــــى عُطـــــارِدْ
٢- فمـــا رأيـــتُ الســـعودَ إلا مــن جهــةِ الصــاحبِ ابــن صــاعدْ

التخريج: الوافي بالوفيات ١٦٤/٢٧. (تحقيق أحمد الأرناؤوط).

(٤)

وقال يمدح "ابن أبي جرادة الحلبي":

[من مجزوء الرَّجز]

١- لازمَ قلبي كمدُهْ وبانَ عنِّي جلدُهْ
٢- وطالَ عمرُ الليلِ حَتَّهْ تَى قلتُ قد ماتَ غدهْ
٣- وارحمتا لعاشِقٍ في الحبِّ ذابتْ كبدُهْ
٤- يستنجدُ الدمعَ إذا لم يلقَ من يستنْجدُهْ
٥- إلى متى يقيمُه حكمُ الهوَى ويقعِدُهْ
٦- ما يصنعُ العبدُ إذا جارَ عليهِ سَيِّدُهْ
٧- لا يستطيعُ البطشَ في الشَّ شِدَّةِ منْ غُلَّتْ يدُهْ
٨- يا عاذِلي دَعْنِي فَكَمْ سهرتُ ليلاً ترقُدُهْ
٩- هيهاتَ أن تدري بَما يلقى العليل عوَّدُهْ
١٠- يا بأبي الغصن الذي يعجبُنِي تَأوُّدُهْ
١١- تغبطُه شمسُ الضُّحى والبدرُ أمسَى يَحْسُدُهْ
١٢- ذو مَبسمٍ أَحسنَ في تَنْضيدِه مُنَضِّدُهْ
١٣- وريقُه عذبٌ ولـ ـكن أين مِنِّي مَوْردُهْ
١٤- كأنَّما استعارَ ما في ثغرِهِ مقلِّدُهْ
١٥- وخدُّه مُوَرَّدٌ يا حَبَّذَا موردُهْ
١٦- يصدُّنِي عن لثمِه إذا رنا مُهَنَّدُهْ
١٧- لخطٌّ يسلُّ أبيضًا على القلوبِ أسودُهْ
١٨- إلى مَتَى يَنَالُنِي من كلِّ دهرٍ نكدُهْ
١٩- لم يبقَ في الخَلْقِ فَتًى يَغرُّنِي تَوَدُّدُهْ
٢٠- قد عُدِمَ الصديقُ في الد دنيا فَمَنْ ذا يَجِدُهْ
٢١- إنَّ السعيدَ مَنْ غَدَا وهو قليلٌ عددُهْ
٢٢- فربَّمَا رَمى الفتى في الموبقاتِ ولدُهْ
٢٣- وإنَّ مثلي في الوَرَى لم يخلُ مِمَّنْ يَحْسُدُهْ
٢٤- وهكذا مَنْ شَرَّف الـ ـدينَ الأجَلّ يعضدُهْ

٢٥- أي كـــريمٍ لـــم يـــزَلْ نَشـــــكرُه ونحمـــــدُهْ
٢٦- ولـم يخـبْ فـي الـدهرِ مَـنْ يؤُمُّـــــهُ ويقصـــــدُهْ
٢٧- نـــروي حـــديثَ الجـــودِ عـــن بنانِـــــه ونَســـــندُهْ
٢٨- كـــم مســـلمٍ حقَّقَـــه لأنَّـــــه محمَّـــــدُهْ
٢٩- وعَزْمُـــــه لا يَتَنَـــا هـــى، فـــي المعـــالِي أَمَـــدُهْ
٣٠- فبيتُـــه قَـــدْ نُصِـــبَتْ علـــى الثُّرَيَّـــا عَمَـــدُهْ
٣١- لَقَـــدْ زَكَـــتْ أُصُـــولُه فينـــا وطـــابَ مَوْلِـــدُهْ
٣٢- وقـــد ســـمتْ فخـــرًا بـــهِ علـــى الـــبلادِ بلـــدُهْ
٣٣- ذو راحـــةٍ هَـــانَ بهـــا لُجَيْنُـــــهُ وَعَسْـــجَدُهْ
٣٤- وطالمـــا عَـــزَّ بـــذا الـــ ـــــهوانِ مـــن يســـترفدُهْ
٣٥- ولفظُـــــه الـــدُّرُّ إذا حـــــرَّرَه مُنْتَقِـــــدُهْ
٣٦- فطرسُـــــه بخَطِّـــــهِ كـــالروضِ والغيـــثِ يَـــدُهْ
٣٧- فـــإن حســـبتَ أنَّـــه سِـــحْرٌ فـــأين عقَـــدُهْ
٣٨- ذو قَلَـــمٍ كالسَّـــهْمِ فـــي نحـــرِ العِـــدَى يســـدِّدُهْ
٣٩- يهـــــزُّهُ كالمَشْرَفيـــ ـــي هَـــزَّه مجـــرِّدُهْ
٤٠- مـــا درَّ يومًـــا نقسُـــهُ إلا تبـــدَّتْ زُبـــدُهْ
٤١- فلـــو تَـــرَاءى لابـــنِ عَبـــ ـــادٍ لكـــان يعبـــدُهْ
٤٢- مـــا ضَـــلَّ عـــافٍ فـــي دِيَـــا جـــي الخَطْـــبِ وهـــو مُرْشـــدُهْ
٤٣- كـــلاّ ولـــم يَشْـــقَ فَتًـــى فـــي الـــدّهرِ وهـــو يُســـعدُهْ
٤٤- يـــا ابـــن الـــذين فَضْـــلُهم يُتْعِـــبُ مَـــنْ يُعَـــدِّدُهْ
٤٥- ومَـــنْ غَـــدَا بيـــنهمُ لـــيس يُـــرَامُ ســـؤددُهْ
٤٦- يـــا مـــن غَـــدَتْ فُروعُـــه طيِّبـــةً وَمَحْتـــدُهْ
٤٧- مـــولايَ يـــدعُوكَ فَتًـــى قـــد خانَـــهُ تَجَلُّـــدُهْ
٤٨- هيهـــاتَ أن يقـــومَ يـــو مـــاً بـــالقَوَافي أَودُهْ
٤٩- ضـــاعَ القـــريضُ فَهْـــو لا يُنْشِـــدُهُ بَـــلْ يَنْشُـــدُهْ
٥٠- مـــا بـــالُ هـــذا الـــدَّهْرِ لا ينجـــزُ يومًـــا موعـــدُهْ

٥١- مـــولايَ لـــي حَـــقٌّ ومـــد حـــــي قـــــدْ غَـــــدا يؤكـــــدُهْ
٥٢- ومـــــنْ غـــــدوتَ قصـــــدَه لـــــــيس يخيـــــــبُ مُقْصـــــــدُهْ

التخريج: قلائد (عقود) الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار (مطبوع) ٢٧٨/٩ – ٢٨٠، (مخطوط) ٤٩٣/٩ – ٤٩٤ .

(٥)

وقال:

[من الكامل]

١- كفَـروا صـنائعَك التـي اشـتُهِرتْ فـــيهمْ فتلْـــكَ عقوبـــةُ الكُفْـــرِ

التخريج: قلائد (عقود) الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار (مطبوع) ٩/ ٢٧٤، (مخطوط) ٤٨٤/٩، ويُضاف للقصيدة رقم (٢١) في نشرة أحمد عبد المجيد محمد خليفة، ويوضع فيها ثانيًا، ويضاف لنشرة محمد زغلول سلام في ص ٤٥.

(٦)

وقال:

[من الكامل]

١- ومنكـرشٍ أضـحَى يُحلِّـقُ سـفْلَهُ لعَسَـــاهُ لا يُشـــكى إليـــه ويُشْـــكَرُ
٢- ويقـــصُّ لحيتَـــهُ فـــإن نَاديْتَـــهُ لَبَّـــاكَ وَهْـــوَ مُحَلِّـــقٌ وَمُقَصِّـــرُ

التخريج: خزانة الأدب ٢١٧.

(٧)

وقال السراج:

[من السريع]

فـــي فَخِّنـــا لـــم يَقَـــعِ الطـــائرُ لا راهِبُ الديرِ ولا الزامرُ!

فقال الجزار:

فسَـــــعْدُنا لـــــيس لـــــه أوّلٌ ونَحْسُـــنا لـــيس لـــه آخِـــرُ!

فقال السراج:

فالقلـــــــبُ فـــــــي إثرِهمـــــــا هَائـــــــمُ

فقال الجزار:

والقلـــــــبُ مـــــــن مزاجِهمـــــــا حـــــــائرُ

التخريج: مسالك الأبصار ج ١ /٤٦٠.

(٨)

وقال:

[من الكامل]

مـــاذا علـــيَّ جـــرى لأَجـــلِ فِرَاقِـــهِ جـــرتْ دمـــوعُ العـــينِ وَهْـــي غـــزارُ

التخريج: مطالع البدور ٥٢١/٢، ويُوضع بعد البيت الثاني في المقطعة رقم (٢٤٦) في نشرة أحمد عبد المجيد خليفة، ويُضاف لنشرة محمد زغلول سلام ص ٤٠.

(٩)

وقال في الخمر:

[من الطويل]

١- أتعرفُ لي حبلي إذا ما تَنَفَّسَتْ سرى لا فوقَ القَوْمِ من طيِّهَا نَشرُ
٢- ويرضعُ منها النَّدى ساعةَ حملِها أبوها فيغدُو وهي من وَقْتِهَا بكرُ
٣- تريكَ جَنينًا وهو من غَيْرِ جنْسِهَا فوجدانُه حلوٌ وفقدانُه مُرُّ
٤- عَليه به سترٌ دقيقٌ وإنَّمَا تجلُّ إذا ما دقَّ من فوقَها السترُ
٥- إذا كسرت في القَوْمِ تَجبر كسرَهَا فيحسنُ بعد الكسرِ من قلبها الجبرُ
٦- تروقُ عيونَ النَّاظرين جلالةً إذا جلستْ يومًا وموضعُها الصدرُ

التخريج: مطالع البدور ٣٩٦/٢، وكذا ورد عجز البيت الأول.

(١٠)

وقال أيضاً:

[من الطويل]

١- أقامُوا (بأرجاءِ) الحَشَا عندما سارُوا! فكيفَ يُضَامُ القلبُ وهْوَ لهم جَارُ ؟
٢- بروحِي مَن ودَّعتمُ،وبمقلتِي لتوديعِهم ماءٌ، وفي كَبِدِي نَارُ!
٣- ولستُ بناسيهمْ، وللقلبِ نْحوَهمْ حنينٌ على بُعْدِ المزَارِ وتَذْكَارُ!

٤- أيــا عــاذِلي إنِّــي وإنْ بَعُــدَ المَــدَى على (عهدِهم) باقٍ،فدعْهم وما اختارُوا
٥- إذا وَصَــلوا حَبْلِــي فبالفضــلِ مــنْهُمْ وإن أعرضــوا عنــي فللنــاسِ أعْــذارُ
٦- تُــرَى تَرجــعُ الأيــامُ تَجْمَــعُ بينَنَــا وللــنَّفْسِ حَاجــاتٌ إلــيهم وأوطــارُ!
٧- (يُـذَكِّرُ) مـنهم كُـلُّ غُصْـنٍ مُهَفْهَـفٍ وكــلُّ هــلالٍ أشــرقتْ منْــهُ أنــوارُ!
٨- ولــولا تثَنِّــيهم وَحُســنُ وُجُــوهِهِمْ لمــا خــدعتْ عينــي غُصــونٌ وَأَقْمَــارُ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٤/ ٦٨، وورد البيت الأول فيه هكذا:"بأرحاء"، وورد البيت الرابع فيه برواية: "على عهدكم"، وورد البيت الثامن فيه برواية: "بذكر" بالباء الموحدة، ولعلّ الصواب ما أُثبت.

(١١)

وقال:

[من الرجز]

١- ظبــيٌ ومــا للظَّبــي حســنٌ جيــدِه ولا لــــه مـــن لحظِـــهِ احـــورَارُهْ
٢- قـد راحَ قلبـي فـي الهَـوَى مُنْكَسِـرًا منـــذ بـــدا مـــن جفنِـــه انكســـارُهْ

التخريج: الدّرّ المصون ١٤٩/٢، وورد صدر الأول فيه هكذا: "حسن من"، ولعلّ الصواب ما أُثبت.

(١٢)

وقال في الشيخ عز الدين بن عبد السلام:

[من الخفيف]

١- غنيتْ أهلُ مصر بعد افتقار مذ حبتهم علومُه بكنوزِ

التخريج: المحاضرات والمحاورات للسيوطي ٢٩٤، ويُضاف للنتفة رقم(٢٥٦) ص ٣٢٨ من نشرة د. "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، ولم ترد النتفة في نشرة د. "محمد زغلول سلام".

(١٣)

وقال:

[من السريع]

١- لو أنها عِرْسِي لأرسلتُها فكيفَ بالتفصيلةِ العِرسِي
٢- ولا تقلْ: ليسَ له غيرةٌ فأنتَ مأمونٌ على عِرْسِي

التخريج: الوافي بالوفيات ٢٠٩/٢١.

(١٤)

وقال:

[من الكامل]

١- من وَجْههِ وجفونِه وقوامِه بدرٌ بَدا، ريمٌ رنا، غصنٌ مشى
٢- فإذا بدا ولَّى الدُّجَى، وإن انثنى سجدَ.... وإن رنا استحى الرَّشَا

التخريج: الدر المصون ١٧٠/٢، ووضعتُ نقاطًا مكان كلمة حذفتها، لدلالتها المكشوفة.

(١٥)

وقال:

[من الكامل]

١- لـو يقـنصُ الجـزارُ أرواحَ العِـدَى فــي يــومِ عيــدك كنــتُ أولَ قــانصِ
٢- لكــنَّهم أمنُــوا مُــدَاي لنقصِــهم إنّ الضـــحيةَ لا تكـــون بنـــاقصِ

التخريج: نصرة الثائر على المثل السائر ٢٤١.

(١٦)

وقال:

[من الطويل]

١- لقدْ رضـيَ الرحمنُ عن كلِّ مُنْفِقٍ فمــا بالنُــا نلقَــى رضــا اللهِ بالسُّــخْطِ
٢- قبـيحٌ علــى الإنســانِ يعطيــه رَبُّــه بغير حسابٍ، وهو يحسِبُ ما يعطِي

التخريج: الغيث المسجم ٢٢٦/١، وذيل مرآة الزمان ٧٢/٤.

(١٧)

وقال يمدح ابن دقيق العيد:

[من الكامل]

١- يـــا ســـيِّدَ العلمـــاءِ والشـــعراءِ والأدبـــــاءِ والخطبـــــاءِ والحفّـــــاظِ
٢- شـــنفْتَ أســـماعَ الأنـــامِ بخطبـــةٍ كَسَـــتِ المعـــانِي رونـــقَ الألفـــاظِ
٣- أبكَـتْ عُيـونَ السـامعينَ فُصُـولُها فزكَـــتْ علـــى الخطبـــاءِ والوُعَّـــاظِ
٤- وعجبـتُ منهـا كيـفَ حـازتْ رِقَّـةً مـــع أنَّهَـــا فـــي غايـــةِ الإغـــلاظِ
٥- ســتَقُولُ مصــرُ إذا رأتْــكَ لغيرِهَــا مـــا الـــدَّهرُ إلا قِسْـــمَةٌ وَأَحَـــاظِ
٦- ويقُـــولُ قـــومٌ إذ رَأوك خَطيـــبَهم: أنسيتَـــنَا قسّـــاً بســـوُقِ عُكَـــاظِ

التخريج: الطالع السعيد ٥٩٤.

(١٨)

وقال:

[من الوافر]

١- وكافـــاتِ الشـــتاءِ تُعَـــدُّ سَـــبعًا ومـــا لِـــي طاقـــةٌ بلقـــاءِ سَـــبْعِ
٢- إذا ظفـرَتْ بكـافِ الكـيسِ كَفِّـي ظفـــرتُ بمفـــردٍ يـــأْتِي بجَمْـــعِ

التخريج: أنوار الربيع ٢٩٧/٤، وبلا نسبة في مستوفي الدواوين٢/ ١٠٨، وانظر ما به من مصادر.

(١٩)

وقال:

[من الكامل]

١ - وغـدا لأشـياخ الرسـالة مُشـبهاً إذْ راح وَهْـــوَ بوصـــفهم موصـــوفُ

٢- فـأبو يزيـدٍ كـلّ يـوم مجـدُهُ وهـو السَّـريُّ وفضـلُه معـروفُ

التخريج: الوافي بالوفيات ٣٣/٢٢. (تحقيق رمزي بعلبكي – ط فيسبادن).

(٢٠)

وقال:

[من البسيط]

تبيـتُ أنعـامهمْ مِنِّـي علـى وَجَـلٍ إذ شـمْلُهَا بهـم يُفْضِـي لتفريـقِ

التخريج : قلائد (عقود) الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار (مطبوع) ٢٧٨/٩، و(مخطوط)٤٩٠/٩، ويُوضع بعد البيت الأول في النتفة رقم (٢٧٧) ص ٣٤١ في نشرة د. "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، وفي ص ٥٨ في نشرة "محمد زغلول سلام".

(٢١)

وقال:

[من الطويل]

١- بروحِـي الـذي عاينتُـه لانقطَاعِـهَ فمـا زادنِـي عـن صـمتِه وهـو مطـرقُ
٢- فقلتُ أمـا مِـنْ لفظـةٍ تنقَـعُ الحَشَـا فـإنّي لا أرتـابُ أنَّـك تنطِـقُ
٣- فقـالَ: وكـمْ لفـظٍ يَسُـرُّكَ قولُـه فَتَرْكِـي لـه مـن قولـهِ لَـكَ أليـقُ
فقلـتُ: أرى فـي النـومِ أنَّـك زائـري فَقَـالَ: ومَـا كُـلُّ المنامـاتِ يَصْـدُق

التخريج: المرج النضر والأرج العطر ٧٨، ومخطوط رياض الألباب ومحاسن الآداب ٥٨، والأول فيه برواية: "عاتبته".

(٢٢)

وقال يمدح الظاهر بيبرس، ويذكر طواف المحمل والنداء في الناس بالحج سنة ٦٦٤هـ:

[من الوافر]

١- دَعــاكَ لنصْــرةِ البيــتِ العتيــق فــأمكنَ مــنْ يحــجُّ لــه الطريــقُ
٢- ونادتــك المشــاعرُ واثقــاتٍ فــتَمَّ لهــا بهمَّتِــك الوثــوقُ
٣- ومثلـك مـن يغـوثُ إذا اسـتغاثت بهمَّتــه وغيــرك مــن يعــوقُ
٤- لقَــدْ أَوْسَــعتَ بيــتَ اللهِ بــرًّا وكــانَ مــن الملــوكِ لَــهُ عُقُــوقُ
٥- وقــد أدنيــتَ منــه كُــلَّ قَــاصٍ يبيــتُ وَقَلبُــهُ قَلْــبٌ مَشُــوقُ
٦- فما وجَدَتْ وَجى في البيدِ سُوقٌ ولا قَامَــتْ بــه للظُّلــمِ سُــوقُ
٧- وَكــم سَــمَّوا مظالمَــه حقوقًــا ولــيسَ كــذاك تُلْــتَمَسُ الحقــوقُ
٨- لقــد خَفَّفْــتَ فيــه عــن الرعايــا وقــد حمَلــتْ بــه مَــا لا يطيــقُ
٩- وقمــتَ مَقَــامَ إبــراهيم فيــه فلــم يبعــدْ بــكِ الفَــجُّ العَمِيــقُ
١٠- وفـي حَـرَمِ الرسولِ فعلتَ أيضًـا مــن الحَسَــنَاتِ أحْسَــن مــا يليــقُ
١١- لقـد أثلجتَ صَـدْرَ الحَـقِّ حتـى تلاشَــى وانطَفَــى ذَاكَ الحَرِيــقُ
١٢- وأمَّنــتَ الــبلادَ وَســاكنيها فبعــدَ اليــومِ لا عُــقَّ العَقيــقُ
١٣- جــزَاكَ اللهُ أحْسَــنَ مــا يُجَــازي بــه ملــكٌ بمكَّتِــهِ شــفيقُ
١٤- جَميــعُ زمانــه أيــامُ حــجٍّ فــلا رَفَــثٌ بهــنَّ ولا فُسُــوقُ
١٥- وطـافَ المحمـلُ البلـدين يجلـى علــى الأَبْصَــارِ مَنْظَــرُهُ الأنيــقُ
١٦- فكــانَ بــه لأفئــدةِ الأَعَــادي وللرّايــاتِ يَومئــذٍ حُقُــوقُ
١٧- وجيشُــكَ للعجــاجِ يثيــرُ لــيلاً لوجهــكَ فــي دُجُنَّتِــهِ شُــرُوقُ
١٨- وصــدرُكَ لا يضــيقُ بِمَــا حَــوَاه وإن كــانَ الفضــاءُ بِــه يَضِــيقُ

١٩- لقد نَصَرَ الهدى والحَقَّ مَلِكٌ بأمرِ الدِّينِ والدُّنيا خَليقُ
٢٠- يفكِّرُ بالمصَالِحِ لا صبوحٌ له من دُونَهُنَّ ولا غبوقُ
٢١- وبينَ الظاهرِ السلطانِ فاعلمْ وبينَ سِوَاهُ في هذا فروقُ
٢٢- وفي الملكِ السَّعِيد شمائلُ من أبيهِ وَحَسْبُكَ الأصلُ العَرِيقُ
٢٣- فداما للرَّعِيَّة ما تَغَنَّى حمامٌ وانثَنَى غُصْنٌ وَرِيقُ

التخريج: المحاضرات والمحاورات ٣٧٦.

(٢٣)

وقال:

[من البسيط]

يا عاذِلي هَجَرَ المحبوبُ أو وَصَلا أمِ الذي لا أرى في حبِّه بَدَلا

التخريج: الغيث المسجم ٥٧/١.

(٢٤)

وقال:

[من الطويل]

سَرَتْ راحَتِى غورًا ونجدًا إلى الضُّحَى وما ذاك إلا في خُصُورٍ وأكفالِ

التخريج: تزيين الأسواق ٢٣٤/٢، ويُضاف للقصيدة رقم(١٨٨) ص٢٤٢، ويوضع فيها بعد البيت رقم(١١)، ولم ترد القصيدة في نشرة د."محمد زغلول سلام".

(٢٥)

وقال:

[من الهزج]

ومـــــا زالـــــوا لمـــــا يبـــــدو ن مـــــن يـــــأس ومـــــن بـــــذل

التخريج: هذا البيت مع المقطعة رقم ٢٨٥ ص ٣٤٦ من نشرة أحمد عبد المجيد محمد خليفة، وسقط من هذه النشرة، فيضاف إليها، وهو في الغيث المسجم ١٠١/١، وهو فيها ثانيًا، ويضاف أيضًا إلى نشرة محمد زغلول سلام ص ٧٠.

(٢٦)

وقال:

[من الطويل]

١- لقــدْ لــجَّ واشٍ فــي الهَــوَى وَعُــذولُ وما لِـي سِـوَى رَبْـع الحبيـبِ مقيـلُ
٢- وكيــفَ سُــلُوّى عــن أغــنّ مُهَفْهَــفٍ رقيــقِ حَوَاشِــي المقْلَتَــيْنِ كحِيــلُ
٣- مــن التُّــرْكِ كَــمْ أَصْــمَتَ فــؤادَ مُحِبّــهِ ســهامٌ لهــا هُــدْبُ الجُفُــونِ نُصــولُ
٤- إذا مَــا رَنــا واهتَــزَّ كــالبِيضِ والقَنــا فَمِنْــــه وَمِنّــــي قَاتِــــلٌ وَقَتِيــــلُ
٥- أغصنَ النَّقَا، بَدْرَ الدُّجَى مِلْ إلى الرِّضَى فعَهْــدِي بالغصــنِ الرَّطيــبِ يَمِيــلُ

التخريج: مستوفى الدواوين ٢٥١/٢، وفي هامشه ذكر لإخلال نشرة د."زغلول سلام" بها.

(٢٧)

وقال في رثاء الشيخ "ابن عبد السلام":

[من السريع]

١- أمَّـا الفتـاوى فعليهـا السَّـلام مُـذْ فُقِـدَ الشـيخُ ابـن عبـدِ السـلامْ
٢- مَـاتَ فمـنْ يوضـحُ أشْـكالَها ويعـرفُ الحِـلُّ بهـا والحـرامْ
٣- إنَّـا إلـى اللهِ لفقْـدِ امـرئٍ قـامَ بحـقِّ اللهِ حَـقَّ القِيَـامْ
٤- مـا خُـصَّ فيـه بـالعزاءِ امـرؤ ورُزْؤُهُ عَـمَّ جَميـعَ الأنَـامْ
٥- كُـلُّ أخـي عِلْـمٍ بَكَـى فَقـدَهُ لأنَّـهُ فـي كُـلِّ عِلْـمٍ إمَـامْ
٦- مـن للتفاسـيرِ وتَحْرِيرِهَـا مَـنْ (للأُصُـوليّ) وعلـمِ الكـلامْ
٧- كـمْ دَعْـوةٍ منـكَ غنينَـا بهَـا عـن ذابـلِ يَـومِ الـوَغَى أَوْ حُسَـامْ
٨- مَـنْ للـذِي يَطْمَـعُ فـي جُـودِه بعـدكَ إن ضَـنَّ بِغَيـثٍ غَمَـامْ
٩- وَمَـنْ بقـى ينصـرُ إخوانَـه ويحفـظُ العهـدَ وَيَرْعَـى الـذِّمامْ
١٠- كـم مهجـةٍ كـادتْ تُفَـدِّيكَ لَـوْ أمكـنَ أن يرضَـى فِـدَاهَا الحِمـامْ
١١- لا تقـدرُ الأمـلاكُ تثنيـكَ عـن حـقٍّ وَكَـمْ أَغْـرَاكَ مِـنْهم مَـلامْ
١٢- زُخْرِفَـتِ الجَنَّـةُ شَـوْقًا إلـى وجـهٍ لـه تشـتاقُ دارُ السـلامْ
١٣- والحُـورُ فـي أبوابهَـا قـد غـدا لَهـا علـى رُؤْيَـاكَ أيّ ازدحـامْ
١٤- خُلِقـتْ للأجْـرِ وَكَسـبِ الثَّنَـا فـي الـدّينِ والـدنيا وتـركِ الأثـامْ
١٥- أئمـةُ الـدِّينِ لَلْقِيَـاك فـي الـ ـفردوسِ مـن أمـس تـراهم قيـامْ
١٦- حَسب ابـن إدريـسَ عُـلا شِـدْتَهَا لـيس لهـا طـولُ الليـالي انهِـدَامْ
١٧- يـا بَحْـرَ عِلْـمٍ كُلُّنَـا بَعْـدَه مسـتعرُ القلـبِ شـديدُ الأُوامْ
١٨- بمـن يلـوذُ النَّـاسُ فـي حـادِثٍ لخطبـهِ فـي كُـلِّ صُـبْحٍ ظَـلامْ
١٩- كم ظلمةٍ في الخَطْبِ قَدْ أَشرَقَتْ منْـكَ بوجـهٍ فَـاقَ بـدرَ التَّمَـامْ
٢٠- ومـن يُـرَى بَعْـدَكَ فـي عَصْـرنَا لـه بهـذا الـدينِ أيُّ اهتِمَـامْ
٢١- لا يقبـل الـدنيا علـى ذَرَّةٍ مـن دينـهِ فـي يقظـةٍ أوْ مَنَـامْ
٢٢- وأشـجعُ النـاسِ بـنفسٍ لـه بهـا غِنًـى عـن كُـلِّ جَـيْشٍ لُهَـامْ
٢٣- كم ليلةٍ في الذَّبِّ عن شَرْعة الـ إسـلامِ للهِ هَجَـرْتَ المنَـامْ
٢٤- تـاللهِ مَـا الـدُّنيا سِـوَى زَوْرَةٍ الـ ـصَّيفِ ولا العيشـة إلا مَنـامْ
٢٥- وكيـفَ لا يتـركُ مـا لـمْ يَـدُمْ ذو يقظـةٍ لـم يَـرْضَ إلا الـدَّوَامْ
٢٦- وصـلتَ للرَّاحـةِ بَعْـدَ العَنَـا وفُـزتَ بالصِّـحَّةِ بَعْـدَ السّـقَامْ
٢٧- حَتَّـى نكيـرًا وأخـاه إذا مـا أَحْجَمَـا عَنْـكَ لِفَـرْطِ احتِشَـامْ
٢٨- وباسـط الحـورِ التـي قَـدْ غَـدَتْ وَكُلُّهَـا مَقصـورةٌ فـي الخِيَـامْ
٢٩- واسـتخدمَ الوِلْـدَان فـي مَـا تـرى فَكُلُّهُـمْ فـي مَـا تَـرَاهُ غُـلامْ
٣٠- لا زلـتَ للرَّاحـةِ أَهْـلاً ولا عَـدَتْ ثـرَى قبـركَ سُـحبُ الغَمَـامْ

التخريج: المحاضرات والمحاورات ٢٩٤ – ٢٩٥، وورد في البيت السادس في هذا المصدر هكذا: "من للأصوليين"، ولعلَّ الصواب ما أُثبت، والبيتان الأوّلان منها فقط في شعر الجزار برقم (٢٩٣) ص ٣٥١ نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، ولم يردا في نشرة د. "محمد زغلول سلام".

(٢٨)

وقال يمدح ابن أبي جرادة الحلبي:

[من البسيط]

١- هَبْ خَاطِرِي العَفْوُ إن شَحَّتْ غَمَائمُهُ ... ما كلُّ وقتٍ يجيدُ الشعرَ ناظمُهُ
٢- وطالما رَكَدَتْ ريحُ الصَّبَا سَحَرًا ... لدى الأراكِ ولمْ تَسْجَعْ حمائمُهُ
٣- وَرُبَّمَا جَادَ خَدَّ النّورِ دَمْعٌ حَيَا ... فوقَ الغصونِ وما شقَّتْ كمائمُهُ
٤- لا يمكنُ المرءُ أن يمشي على سَنَنٍ ... وإن غدا الرُّشْدُ لا تخفَى معالمُهُ
٥- قدْ يكتُمُ السِّرَّ مَنْ لم يخفِهِ أَبَدًا ... عن الرّجالِ وقد يُفْشِيهِ كاتمُهُ
٦- يُسَالِمُ الدَّهرُ من أضحى يُحَارِبُه ... كمَا يحاربُ من أضحَى يُسَالمُهُ
٧- وقد يكونُ رفيعَ القدر جاهلُه ... كما يكونُ وضيعَ القدْرِ عالمُهُ
٨- أشكو إلى اللهِ دهرًا ليس ينصفُني ... وكيفَ يُنْصِفُ مَنْ ذا الدَّهرَ حاكِمُهُ
٩- كم ذا أُذلُّ قَريضًا بِتُّ أحملُهُ ... جهلاً إلى بابِ مَنْ عَزَّتْ دراهمُهُ
١٠- لولا ضرورةُ دهرِي كان ما دَرَّه ... قدِ استوَى اليومَ في عيني وَحاتِمُهُ
١١- بارَ القريضُ بمصر اليومَ فهو إذا ... أعرضتُه عنَّ شارِيه وسَائمُهُ
١٢- لو قدَّرَ اللهُ إن أتَى الشآم به ... ما أسلمتْنِي إلى دَهْرِي عَواصمُهُ
١٣- وكنتُ أدركُ ما أرجُوه بابن أبي ... جرادةٍ، حسبُ آمالي مَكارِمُهُ
١٤- عليك يا شرفَ الدِّينِ اعتمادُ فَتىً ... يشكُو لك الدَّهْرَ إذ عَمَّتْ مظالمُهُ

التخريج: قلائد (عقود) الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان لابن الشعار (مطبوع) ٩/ ٢٨٠، و(مخطوط) ٩/ ٤٩٤ – ٤٩٥.

(٢٩)

وقال:

[من السريع]

١- أثنَــى عليــهِ الغصــنُ لمــا انثنَــى وغـــارَ منـــه الظبـــيُ لمـــا رَنَـــا
٢- وزخرفـــــتْ وَجْنَتَـــــه جَنَّـــــةٌ يحرسُـــــهَا بـــــاللحْظِ أن تُجْتنـــــى

التخـريج: الـدُّرُّ المصـون ٢٥٣/٢، وورد صـدر البيـت الأول فيـه هكـذا: "انثنى"، وورد البيت الثاني فيه هكذا: "باللحاظ"، والصواب ما أُثبت.

(٣٠)

وقال:

[من الخفيف]

١- شــغَلَتْكَ الأشــغالُ عنــكَ وَعَنِّــي فاطلــبِ العــذرَ منــك طَــوْراً ومنِّــي
٢- أنــا فــي الحــزْمِ قانعــاً منــه بالبغــْ ــض وإنْ كــانَ كلّــه لــيس يُغْنِــي
٣- مــا بظــنٍّ لكــنْ بــنفسٍ فــأظهرْ انقطاعـــاً والحَـــزمُ سُـــوءُ الظّـــنِّ

التخريج: الازدهار للسيوطي: فقرة ١٢٠ ص٧٢.

(٣١)

وقال:

[من الوافر]

١- وقـالوا: فـي الخضـابِ عليكَ عـارٌ فقلـــتُ: وصـــلتُمُ بينًـــا ببـــينِ
٢- أدبِّــرُ لحيَتِــي مــا دمــتُ حيًّــا وأعتقُهَـــا ولكـــن بعـــدَ عَيْنِـــي

التخريج: مستوفى الدواوين ٩٠/٣، وفي الهامش ذكر لإخلال نشرة د. "محمد زغلول سلام" بها.

(٣٢)

وكتب إلى ضياء الدين القرطبي، وأهدي له ابلوجين سكر في قدر نحاس:

[من مجزوء الوافر]

وأبيـــــــاتٍ تســـــــامحُ حيـــــــ ـــــن تلقـــــى القـــــدرُ نهـــــدينِ
ففـــــــي العربـــــــة والعربـــــــة مـــــــا يهـــــــدى كهـــــــذينِ

التخريج: ذيل مرآة الزمان ٦٤/٤، كذا ورد البيت الثاني.

(٢) ما نُسب إليه وإلى غيره:

(١)

ونُسب إليه وإلى غيره:

[من السريع]

١- أحســنُ مــا سُــطِّر فــي صَــفْحَةٍ عــذارُ مَــنْ أَهْــوَى علــى خــدِّهِ
٢- يــا قلــمَ الريحــانِ ســبحانَ مــن خَطّــــك بـــــالأَس علـــــى وردِهِ

التخريج: مستوفى الدواوين ١٨٤/١، وفي هامشه ذكر لإخلال نشرة د. "محمد زغلول سلام" بها، وهما للسراج الوراق في فوات الوفيات ١٤٥/٣.

(٢)

ونُسب إليه وإلى غيره:

[من مخلّع البسيط]

١- نَفســـي فـــداءٌ لـــذي لحَـــاظٍ تنفـــذُ فـــي مُهجتـــي نَفـــاذا
٢- قلـــتُ وقـــد تهـــتُ فـــي هَـــواهُ: يـــا ليتَنـــي مـــتُّ قبـــلَ هـــذا

التخريج: هما للجزار في مستوفى الدواوين ٢١٩/١ ، والدر المصون ١٣٨/٢ باختلاف الرواية ، وفي هامش المصدر الأول ذكر لإخلال نشرة د. "محمد زغلول سلام" بها ، والبيتان للباخرزي في ديوانه ١٠٣.

(٣)

ونُسب إليه وإلى "السراج الوراق":

[من الوافر]

١- فتحـــتَ عَلَـــيَّ بابًـــا بالســـقوفِ وصـــلتَ بـــهِ إلـــى الأَمْـــرِ المخُـــوفِ
٢- ولكـــــنَّ الحكـــــيمَ أرادَ خيـــــرًا فجـــاءَ بغيـــرِ يـــاءٍ فـــي الحُـــروفِ

التخريج: الغيث المسجم ٣٧٨/٢.

(٤)

ونُسب إليه وإلى غيره:

[من الكامل]

١- للهِ مـــن أقطـــارِ جِلِّـــقَ روضـــةٌ رَاقـــتْ لنـــا حـــين الســـحاب تُـــراقُ

التخريج: هما لـه فـي فوات الوفيات ١٠٤/٣، ولعلـي بـن موسـى بـن سـعيد المغربي في الوافي بالوفيات ٢٥٥/٢٢ (تحقيق رمزي بعلبكي- فيسبادن).

(٥)

وقال:

[من المجتث]

١- يـــا جَـــاهلاً عَـــابَ شِـــعْرِي فَكَـــــــدَّ قلبِـــــــي وآلَـــــــمْ
٢- علـــــيَّ نحْـــــتَ القَـــــوَافي وَمَـــــــا عَلَـــــــي إذا لـــــــمْ

التخريج: مستوفى الدواوين. ٣٧٠/٢، وفي هامشه ذكر لإخلال نشرة د. "زغلول سلام" بها، وهما للباخرزي في ديوانه ١٧٧، ومعنى الثاني فيه: أي إذا لم يفهم البقر.

(٦)

ونُسب إليه وإلى غيره:

[من الكامل]

١- لَـوْ أَنَّ قَلْبَـكَ لِـي يَـرقّ ويَـرْحَمُ مـا بِـتُّ مِـنْ خَـوْفِ الهَـوى أَتـأَلَّمُ
٢- وَمِـنَ العَجَائِـبِ أنّنـي والسُّـهْمُ لـي مِـنْ ناظِرِيْـكَ وفـي فُـؤادِي أَسْـهُمُ
٣- دَارَيْتُ أَهْلَكَ فـي هَواكَ وَهُمْ عِدىً وَلأَجْـلِ عَـيْنٍ ألـفُ عَـيْنٍ تُكْـرَمُ

التخريج: الدر المصون ٢٣٥/٢، وهي للشاب الظريف في ديوانه ٣٠٣.

ثالثًا: خلط شعر "الجزار" بشعر غيره من الشعراء.

نظرت في ديوان "الجزار" بنشرتيه، وتوسمت ما به من أشعار، ووقفت أمام بعض هذه الأشعار للوقوف على حقيقة نسبتها للجزار، فأسفر هذا التوسّم عن أمر مهم، يكمن في وقوع طائفة من المقطعات فيه على أنها خالصة "للجزار"، وليس الأمر كذلك، فهي لشعراء آخرين؛ لذا يلزم حذفها مما خلصت نسبته "للجزار"، ووضعها في قسم خاص في نهاية الديوان تحت عنوان: "ما نُسب للجزار، ولغيره من الشعراء"، ولم يقتصر هذا الخلط في نشرة واحدة، بل هو كامن في النشرتين، وها هي ذي المقطعات التي وقفت عليها مختلطة في نشرة "أحمد عبد المجيد محمد خليفة":

(١)

النتفة رقم ٢٣٠، ص ٣١٠، وهي:

[من السريع]

١- قالت لسقم الجِسْمِ حتّى وَقَدْ أفرطَ بي فرطَ ضنىً واكتئابْ
٢- فقلتُ: بي يا سُقمُ ما لم يكنْ تُلبَسُ واللهِ عليه الثيابْ

التعقيب: أدرج "أحمد عبد المجيد محمد خليفة "، هذه النتفة في شعر الجزار على أنَّها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب في فوات الوفيات ٢٣٥/١، والوافي بالوفيات ٤٩/١٢-٥٠ (تحقيق: رمضان عبد التواب)، وهي في ديوان الصبابة ص ٢٥٤ لناصر الدين الفقعسي.

(٢)

النتفة رقم ٢٣٢، ص ٣١٢، وهي:

[من الطويل]

١- وما بي سِوَى عينٍ نظرتُ لحسنِها وذاكَ لجهْلـــي بـــالعيونِ وغرّتـــي
٢- وقالوا: بـهِ فـي الحُبِّ عينٌ ونظرةٌ لقـد صـدقوا عـينُ الحبيـب ونظرتـي

التعقيب: أدرج "أحمد عبد المجيد خليفة" هذه النتفة في شعر الجزار على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب في فوات الوفيات ٢٣٤/١، والوافي بالوفيات ١٢/ ٤٨، و تزيين الأسواق ١٧٤/٢ - ١٧٥.

(٣)

النتفة رقم ٢٧١ص ٣٣٨:

[من البسيط]

١- قـالوا قـدِ احترقـت بالنـارِ راحتُـهُ وهـــيَ الغَمَامُ،ومنهـــا الوابـــلُ الغَـــدِقُ
٢- وقالَ قومٌ وما ضلّوا وما وَهِمُوا: بأنهـــا النيـــلُ، قلـــتُ: النيـــلُ يحتـــرقُ

التعقيب: أدرجت هذه النتفة في شعر الجزار على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب أيضًا في فوات الوفيات ٢٣٥/١، والوافي بالوفيات ٤٩/١٢.

(٤)

النتفة رقم ٢٧٣ ص ٣٣٨، وهي:

[من السريع]

١- بخالــدِ الأشــواقِ يحيــى الــدُّجَا يعــــرفُ هــــذا العاشــــقُ الوامــــقُ
٢- فخــذْ حــديثَ الوَجْــدِ عــن جعفــرٍ مــــن دَمــــعِ عَيْنــــي، إنَّــــهُ الصــــادقُ

التعقيب: أدرجت هذه النتفة في شعر الجزار على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب في الوافي بالوفيات ٤٦/١٢.

(٥)

النتفة رقم ٢٨٤ ص ٣٤٥، وهي:

[من الكامل]

١- يــا مَــالِكِي ولــدَيْكَ ذُلِّــي شَــافِعِي مــا لــي ســألتُ فمَــا أجبــتَ سُــؤَالِي
٢- فَوَخَــــدُّك النعمــــان إنَّ بَلِيَّتِــــي وشــــكايَتِي مِــــنْ جفنــــكَ الغَزَالــــي

التعقيب: أدرجت هذه النتفة في شعر الجزار على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب في فوات الوفيات ٢٣٢/١برواية: "فما أجبت"، والوافي بالوفيات ٤٥/١٢-٤٦، وتزيين الأسواق ٢٤٤/٢، وهي للجزار في خزانة الأدب ٢٢٠/٣.

(٦)

النتفة رقم ٣٠٣ ص ٣٥٦، وهي:

[من المتقارب]

١- أقـــولُ لَمـــنْ جَفْنُـــه ســـيفُه ولكنَّـــه لـــيسَ يَخْشَـــى نُبُـــوَّهْ
٢- تكَلَّـــفَ جفنُـــك حمْـــلَ الفتُـــورِ وأخـــرجَ فيـــهِ مـــن الضَّـــعْفِ قُـــوَّهْ

التعقيب: أدرجت هذه النتفة في شعر الجزار على أنها خالصة النسبة إليه، وليس الأمر كذلك، فهي لابن النقيب في الوافي بالوفيات ٤٧/١٢، وهي للجزار في خزانة الأدب لابن حجة الحموي ٢٢٠/٣.

الخلط في نشرة"محمد زغلول سلام":

(٧)

المقطعة الآتية الواقعة في صفحة ٣٧، وهي:

[من مجزوء الرَّمل]

١- صـــنمٌ فـــي الحُسْـــنِ خَـــدًّا ه لطـــــرقِ الغَـــــيِّ تَهْـــــدِي
٢- عـــدتُ فيـــه جَـــاهِليّ الـــ ـــ حُـــــبِّ مـــــن غيـــــرِ تَعَـــــدِّي
٣- لحـــظُ عينِـــي عبـــدُ شـــمسٍ وفـــــــــؤادِي عَبْـــــــــدُ وُدِّ

التعقيب: انفردت نشرة محمد زغلول سلام ص ٣٧ بالبيتين الأخيرين من هذه المقطعة، وهما للجزار في نصرة الثائر على المثل السائر ٣٣٠ – ٣٣١، وجانب المحقق التوفيق في نسبتهما للجزار، وفي كتابتهما، إذ كتب كل بيت في

شطر، والمقطعة للمشد(علي بن عمر بن قزل)، في الوافي بالوفيات ٣٥٧/٢١، وديوانه ٧٣ بتحقيق "محمد زغلول سلام"، أيضًا.

(٨)

المقطعة التالية الواقعة في صفحة ٧٥ وهي:

[من الطويل]

١- بَنَينـا عَلـى كِسـرى سَـماءَ مُدامَـةٍ مُكَلَّلَـــــةً حافاتُهـــــا بِنُجـــــومِ
٢- فَلَو رُدَّ في كِسرى بنِ ساسانَ روحُهُ إِذَن لَاصـــطَفاني دونَ كُـــلِّ نَـــديمِ

التعقيب: انفردت نشرة محمد زغلول سلام بهذين البيتين، وجانبه التوفيق في نسبتهما للجزار، حيث ذكر أنه ضمنهما شعره من شعر أبي نواس. قلت: البيتان لم يردا في ديوان الجزار ضمن قصيدة كي يصح القول: إنهما تضمين، وإنما وردا في نتفة مستقلّة في الديوان، إذن فليس هناك تضمين، وهما ليسا خالصي النسبة للجزار؛ فهما لأبي نواس، ووردا بالرواية نفسها في ديوانه ٨٠٩ ضمن قصيدة، مطلعها:

لِمَن دِمَنٌ تَزدادُ حُسنَ رُسومِ عَلى طولِ ما أَقوَت وَطيبِ نَسيمِ

رابعًا: تكرار بعض المقطعات دون الإشارة إلى ذلك:

جعل د. "أجمد عبد المجيد محمد خليفة " ديوان "الجزار" خمسة أقسام هي:

١ – تقطيف الجزار.

٢- منتخب الصفدي من شعر الجزار.

٣- الضراعة الناجحة والبضاعة الرابحة.

٤- العقود الدرية في الأمراء المصرية.

٥- المستدرك، وهو ما استدركه من شعر أخلّت به المخطوطات السابقة.

ثم قام بترقيم قصائد الديوان وأبياته في هذه الأقسام الخمسة، فبلغ مجموع القصائد أكثر من(٣٠٤) ما بين قصيدة، ومقطوعة، ونتفة شعرية، وقد فضَّل الفصل بين هذه الأقسام للإبقاء على عدم اختلاط مختارات "الجزار" لنفسه بمختارات "الصفدي" له، ولعدم الانسجام بين الأرجوزة ومخطوطة الضراعة الناجحة والبضاعة الرابحة (المدائح النبوية)، وكان بإمكانه ضمّ كل ما تجمّع لديه من أشعار وترتيبها على حسب قوافيها الترتيب الألف بائي، ثم يضع الأرجوزة، والمدائح النبوية في قسمين؛ لأنّ كل قسم منهما يمثل جزءًا لا يتجزّأ، ثم يشير في المقدمة إلى أرقام القصائد التي اختارها الجزار لنفسه من شعره هو، ليدرك القارئ ذلك. إنه لو فعل ذلك لسلم من تكرار الأشعار في الديوان دون داعٍ، فقد وقفت على أبيات جمعها المحقق من المصادر على أنها ممّا يستدرك على مخطوطاته، وهي في حقيقة الأمر واردة في المخطوطات، ولا يحقّ استدراكها، ووقفت على مقطعات في مختارات "الصفدي" نجدها بعينها داخل بعض القصائد في "تقطيف الجزار"، ولمْ يتوقع المحقق وقوع هذا التكرار في الديوان في ظل وجود هذه الأقسام الكثيرة، على الرغم من إدراكه له في موضعين، مرة في القصيدة رقم ٤٥، ومرة في النتفة رقم ١٨٩، وعلى الرغم من ذلك أبقى التكرار كما هو في الديوان، وبتخريج مختلف تمامًا في القصيدة رقم ٤٥ عنه في تكرارها في رقم ١٥٣، ومهما يكن من أمر، فإنني توقعت حدوث التكرار في ظل فصل هذه الأقسام الخمسة عن

بعضها، وبالفعل بدأت في محاولة تلمّس الوقوف عليه، فوقفت على التكرار في خمسة مواضع في الديوان، لم يشر المحقق إليها، وهاهي ذي:

(١)

النتفة رقم ٣٢ ص ١١٦، وهي:

١- إن كنتُ ممَّن رَاعَهُ هَجْرُكُمْ أو ضاقَ ذرعًا بتجنِّيكمُ
٢- فلا أدامَ اللهُ لي سلوةً وردَّ قَلْبي عَاشقاً فيكمُ

التعقيب: وردت هذه النتفة في تقطيف الجزار، على حين كُرّرت في التقطيف أيضًا برقم ٨٢، وبتخريج مختلف، وبرواية أفضل من هذه الرواية، ودون إشارة إلى تكرارها، فقد خرَّجها المحقق في المرة الأولى بقوله:" ورد البيتان في المخطوط مت ١٧٦، وفي المغرب ٣٤٢/١، ٣١"، وذكر في تخريجها في المرة الثانية ما نصُّه: "ورد البيتان في المخطوط مت ص ١٩٩، والمغرب ٣١٧/١، وذيل مرآة الزمان ٤/ (دون ذكر لرقم الصفحة)، ودرة الأسلاك في دولة الأتراك ٦٤/١ (مخطوط).

(٢)

النتفة رقم (٣٤) ص ١١٧، وهي:

١- أمولاي ما من طبَاعِي الخُروجُ ولكنْ تعلمتُه في الخُمولِ

٢- وصـــرتُ أرومُ لـــديكَ الغِنَـــى فيخرجُنـــي الضَّـــرْبُ عنـــدَ الـــدَّخُولِ

التعقيب: وردت هذه النتفة في تقطيف الجزار، وتمّ تكرارها في منتخب الصفدي برقم ١٢٣، وبتخريج مختلف، ودون إشارة إلى التكرار، فتخريجها في المرة الأولى هو "ورد البيتان في المخطوط مت ص ١٧٦، وفي المغرب ٣١٨/١، وفي ذيل المرآة ٧٣/٤، وفي مسالك الأبصار (كذا بدون ذكر لرقم الجزء) ٩/ ١٧١(مخطوط)، وفوات الوفيات ٨٨/٤، والغيث المنسجم ١٦٢/٢، وخزانة الأدب لابن حجة الحموي، طبعة المطبعة العامرية بالقاهرة سنة ١٢٩١هـ ص٩، وبدائع الزهور ج١/ قسم ١/ ٢٣٣//٣٣٤". ثم رصد المحقق فروق الروايات في هذه المصادر، أمَّا تخريجها في المرة الثانية، فقد اقتصر فيه المحقق على ذكرها في المخطوط مص ٢١١، وترجم لفخر الدين ابن شيخ الشيوخ، ولم يترجم له في المرة الأولى.

(٣)

النتفة رقم ٢٨٣، وتقع في بيتين، هما:

١- والأرضُ قـد ثَقُلَـتْ عليهَـا وَطْـأَتِي إذ عَمَّهَـــا الإدبـــار والإقبـــال
٢- حَتَّـــامَ أَمْســـحُهَا، فلَـــوْلا أنّ لـــي عينـــينِ قـــال النـــاس: ذا الـــدّجّال!

التعقيب: استدرك المحقق هذين البيتين على أنهما ممّا أخلّت به مخطوطات شعر الجزار، والواقع أنّه لا ينبغي استدراكهما وإفرادهما في نتفة مستقلّة، إذ هما مدرجان في القصيدة رقم ٦٩، ويحتلان فيها رقمي ٤٠، ٤١، إذن، فيلزم حذفهما من الاستدراك، وزيادة مصدر تخريجهما في المرة الأولى فقط.

(٤)

النتفة رقم (١٣٨)، وتقع في بيتين، هما:

١- وكم في مصرَ عندِي من غَنِيٍّ وفَقْـــرِي لا يَمُـــرُّ لَـــهُ ببـــالِ
٢- يقــابلُنِي عَلَــى مَــدْحِي بشــكرٍ فــأقنعْ بالمُحَــالِ عَلــى المُحَــالِ

التعقيب: تمّ إفراد هذين البيتين في نتفة مستقلّة، والواقع أنهما مكرران في الديوان في القصيدة رقم ٢٨٧، ولا توجد إشارة إلى هذا التكرار.

(٥)

النتفة رقم (٢٩٩)، وتقع في بيتين، أيضًا، هما:

١- عُـدِمَ الصَّـبرُ فهـو يُظْهِـرُ مـا يلـ ـــقاهُ بعـــدَ الجُحُـــودِ والكِتْمَـــانِ
٢- وعنـــادُ الأقـــدارِ لا ينفـــعُ المـــر ءَ، ولكـــنْ مـــا الصـــبرُ فـــي الإمكـــانِ

التعقيب: تمّ استدراك هذين البيتين، وإدراجهما في ذيل الديوان على أنهما ممّا أخلّت به مخطوطات شعر الجزار، قلت: لا ينبغي استدراكهما، إذ هما موجودان في القصيدة رقم ٦٢، وهما فيها برقمي ٧، ٨، إذن، فيلزم حذفهما من المستدرك، والاكتفاء بالإشارة إلى مصدرهما في المرة الأولى.

خامسًا: ملحوظات حول تحرير النصّ وشرحه وتخريجه:

أمّا الملحوظات حول تحرير النص وشرحه وتخريجه، فسوف أكتفي بإزجاء أمثلة لهذه الملحوظات، وهي في المقام الأول والأخير لا تخرج عن الارتقاء بتحقيق الديوان درجة نحو الكمال، ولا تغضّ بأي حال من الأحوال من الجهد

المشكور الذي بذله د."أحمد عبد المجيد محمد خليفة" في تحقيق هذا الديوان، وقبل سرد أمثلة من هذه الملحوظات، أثبت بعض ما عنَّ لي من اضطراب في إخراج نشرته في النقاط التالية:

١- حدث تداخل في قصيدتين من قصائد الديوان، حيث مضى في ترقيم أبيات القصيدتين ترقيمًا مطردًا، وكأنهما قصيدة واحدة على الرغم من اختلاف وزنيهما، وحركة حرف رويهما، وذلك في ص ١٣٨ – ١٣٩، حيث أثبت القصيدة رقم ٥٧، ومطلعها:

أطعتُ غَرَامِي حينَ خالفتُ عُذَّالي وَلِي شغلٌ في الحُبِّ يَزْدَادُ مِنْ خِلِّي

فمطلع القصيدة من بحر الطويل، ورويها اللام المكسورة، وهكذا سارت الأبيات من ١ –٨، ثم ما يلبث القارئ أن يجد الوزن قد اختلّ، وأن حركة حرف الروي قد تغيّرت، حيث يجد بعد البيت الثامن البيت التالي:

فخذْ خَبَرِي وارثِ لِي إن شكرت مُصَابِي وإن لم تصدِّق فَسَلْ

فهذا البيت من المتقارب، وجاء على روي اللام الساكنة – كما ضبطها المحقق – فالقافية في الأبيات ١ – ٨ مطلقة، وهي بداية من هذا البيت وحتى البيت ٢٢ مقيّدة، والترقيم منتظم من البيت ١- ٢٢، ولا يوجد فصل بين القصيدتين، وليس هناك اضطراب طباعي لنرد هذا الخطأ إليه، فهذا الأمر يحتاج الرجوع إلى مخطوطات الديوان، وإكمال القصيدة الأولى، وإثبات بداية القصيدة الثانية، ثم الفصل بين القصيدتين، وإعادة ترقيم كل قصيدة على حدتها، وتحديد الوزن الصحيح لكليهما، وإعادة ترقيم الديوان من جديد.

٢- حدث تداخل آخر في بعض القصائد، وذلك في ص ١٥١ – ١٥٣، حيث وضعت ص ١٥٣- بترقيم الديوان – في غير موضعها، والصواب أن تأخذ رقم ١٥٢، وتأخذ ص ١٥٢ – بترقيم الديوان – رقم ١٥٣، وقد أدّى هذا الاضطراب إلى تداخل بعض القصائد المختلفة وزنًا وقافية في بعضها، والسبب في ذلك أن وضعت ص ١٥٣ – كما في الديوان – في غير موضعها، وسار المرقِّم في الترقيم المطّرد، فحدث هذا التداخل.

٣- رقَّمت قصائد الديوان ومقطعاته ترقيمًا متسلسلاً، وهذا شيء طيب، بيد أنَّ هذا الترقيم قد شابه اضطراب، حيث أقحمت المقطعة رقم ١٥١ بين رقمي ١٤٢، ١٤٣، وأسقطها من تسلسلها الطبيعي بعد رقم ١٥٠، لذا يلزم ردّ المقطعة إلى محلها الصحيح، أو إعادة الترقيم من جديد.

٤- وممّا يتّصل بترقيم القصائد والمقطعات، أيضًا، سقوط رقم (٨٧)، فلا يظهر لهذا الرقم أثرٌ في الديوان، فهل سقط الرقم فقط ؟ أو سقط معه الشعر المدرج تحته ؟، هذا ما يفتقر إلى إيضاح.

٥- درج المحقق في استدراكه المثبت في نهاية عمله على افتتاح القصائد، التي جاءت قوافيها على حرف الهمزة، وحرف الباء، وحرف التاء على وضع عناوين، مثل: [قافية الهمزة]، و[قافية،الباء]،....، وقد فاته وضع عنوان: [قافية الضاد] قبل المقطعة رقم ٢٦٢، وهي ضادية، وردت في ص٣٣٢.

أمّا بالنسبة لتحرير النص وشرحه وتخريجه، فأفصل فيه القول على النحو التالي:

بالنسبة لتحرير النص توجد في الديوان أبيات، وردت على النحو المجانب للصواب، وفي هذا المقام تُساق بعض الأمثلة، إذ ربما تكون فيها دعوة للرجوع إلى العمل بالتقويم والتصحيح:

١- ورد في ص ٣٢١ البيتان الآتيان اللذان قالهما الجزار في رثاء حماره على هذا النحو:

وتــراهُ يجْــرِي رِجْلَــهُ فــي زَلَّــةٍ برشاشِــها يَــتَنَجَّس الخطّــارُ
....
ولقــدْ تَحَامَتْــهُ الكــلابُ وَأَحْجَمَــتْ عنــــه وفيــــه كُلُّهــــا تَحْتَــــارُ

قلت استنادًا على ما ورد في مطالع البدور للغزولي ٥٠٢/٢ - ٥٠٣: - والله تعالى أعلم بالصواب-: الأفضل أن يأتي البيت الأول - مراعاةً للمعنى - هكذا:

وتــراه يحــرسُ رجْلَــه فــي زِلَّــةٍ برشاشِــــها يَتَــــنَجَّسُ الحُظّــــارُ

وهي رواية أجود من الرواية المعتمدة في النص الشعري، وأرى كذلك أن يأتي البيت الثاني هكذا: "كلما تختار"، وقد أشار المحقق إلى هذه الرواية في الهامش، ولم يعتمدها في المتن مع أنها أفضل مما أثبته في المتن، ولا وجه للرواية المعتمدة، ومعنى البيت على تفضيل الرواية المقترحة أن الكلاب أحجمت عن الاقتراب من حمار الجزار بعد موته تكريمًا له، ولا تزال ترفض الاقتراب منه كلما تختاره لتتناوله بعد موته، وهكذا يتّضح المعنى، ويقوى ارتباط الشطر الثاني بالشطر الأول، وفي هوامش الديوان مواضع تتضمن روايات أجود من الروايات المُثبتة في النصّ الشعري، وأكثر هذه الروايات تفتقر إلى إعادة نظر، وتثبيت في النص الشعري.

٢- ورد في ص ١٠٤ البيت التالي هكذا:

لــكَ الليــالي بــلْ لآلــي شَــرَّفَتْ جِيــدَ زَمَــانٍ، كُــنَّ فــي نِظَامِــهِ

قلت: صواب الرواية أن تأتي هكذا: "تلك ليال" كما وردت في قلائد (عقود) الجمان (مطبوع) ٢٦٩/٩، ومخطوط ٤٧٦/٩ – ٤٧٧ وفيه: "تلك الليالي".

٣- وورد في الصفحة نفسها، وكذلك في نشرة د. "محمد زغلول سلام" في ص ٤٥البيت التالي هكذا:

والعصــرِ إن عــداكَ فــي العَصْــرِ وقــدِ انتَهَــوا لهدايــةِ الخُسْــرِ

قلت: المعنى قلق في الشطر الثاني، وصواب تحرير البيت على ما ورد في قلائد (عقود) الجمان مطبوع ٢٧٤/٩ ومخطوط ٤٨٤/٩، والوافي بالوفيات ١٣٤/١٨ بالرواية التالية:

والعصــرِ إن عَــداكَ فــي العَصْــرِ وقــد انتهَــوا لبدَايــةِ الحَشْــرِ

٤- وورد في الصفحة التالية البيت التالي ضمن قصيدة من الكامل هكذا:

ودرأتُ كُــــــلِّ [مُمَحَّــــــدَحٍ] بعــلاكَ قَــدْ ضَــاهَى أبــا ذر

وعُقِّب عليه بقوله: "كذا ورد الشطر الأول في المخطوط، وهو من مجزوء الكامل (ممتدح) تحريف " أ. هـ.

قلت: اعتماداً على ما ورد في قلائد (عقود) الجمان (مطبوع) ٩/ ٢٧٤، ومخطوط ٤٨٥/٩: لا تحريف في ممتدح، وصواب تحرير البيت على ما ورد في هذا المصدر أن يأتي هكذا:

لله دَرُّكَ كُـــــــلِّ مُمْتَـــــــدَح لعـــلاكَ قـــدْ ضـــاهى أبـــا ذر

٥- وورد في ص٢٠٧ البيتان الآتيان هكذا:

قَسـمًا بلـوحِ الخُبْـزِ عنـدَ خُرُوجِـه مـــن فُرنِـــهِ ولَـــهُ الغَـــداة تَجـــارُ
ورغـائفُ منْـهُ تَروقُـكَ وهـي فـي سَـــجْفِ النِّقَـــالِ كأَنَّهَـــا أَقْمَـــارُ

تحرير البيت الأول يكون برواية: "بخار" بدلاً من "تجار"، فخروج الأرغفة من الأفران، يلزم أن يكون لها بخار، وهي رواية أفضل من رواية تجار. وتحرير البيت الثاني يكون بالرواية التالية: "سحب الثفال "، وهي رواية أدقّ من رواية: "التفال" مع أن الكلمة كانت بحاجة ماسّة إلى الشرح أكثر من حاجة كلمة "سجف" إلى الشرح، وقد تمّ شرحها، وفي الديوان مواضع شُرحت فيها كلمات لا تستأهل الشرح، وتُركت أخرى تستأهله، والجدير بالذكر أنني التمست تحرير هذين البيتين من كتاب الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه للصفدي ص ٤٠٠. ومعنى الثفال على ما قال ابن منظور في لسان العرب (ثفل): "الجِلْد الذي يُبْسط تحت رَحَى اليد لِيَقي الطَّحِين من التراب، وفي الصّحاح جِلْدٌ يُبسط، فتُوضع فوقه الرَّحَى فيُطْحَن باليد ليسقط عليه الدقيق".

٦- وورد في ص ٢٢١ البيت الثاني ناقصًا كلمة القافية هكذا:

وا خجلـة العُرْبِ إذْ كانـتْ عمـائمُهُم لـم تَحْـوِ مَـا قَـدْ حَـوَتْ مِنْـه...

وتمّ التعليق عليه هكذا: "كذا ورد الشطر الثاني في المخطوط مص، ويبدو أنه خطأ من النسخ". قلت: تمام البيت على ما ورد في نشرة "محمد زغلول سلام" ص ٥٢ هو: "منه الشرابيش".

٧- وورد في الصفحة التالية البيتان الآتيان هكذا:

ومـرّ الهـوى لا يمكـنُ الحـرُّ كَتْمَـه وأيسـرُ مَعْنَـى منـه بـالعينِ يُفْهَـمُ
....
أَجـدْ بِـهِ وَجـدًا ويصـبحُ هَازِيًـا وأشـكُو إليـه وَهْـوَ بالحَـالِ أَعْلَـمُ

كذا ورد البيت الأول محرّفًا، وورد البيت الثاني بضبط أخلّ وزنه، وتحرير البيتين على ما وردا في نشرة "محمد زغلول سلام" أن يأتي الأول بالرواية: "وسر الهوى"، ولا وجه هنا لـ "مر الهوى"، ويأتي البيت الثاني بالضبط: "أجدُّ به".

٨- وورد في ص١٠٢ البيتان الآتيان هكذا:

بـاعَ العِمَامـةَ والتَّمَشُّـكَ فَعُلُـوُّهُ عـارٍ وَسِـفْلُهْ
....
مُـرَّ الزمـان فعقـدُه فـي قبضـةِ المـولى وحَلُّـهْ

صواب تحرير البيتين على ما وردا في قلائد (عقود) الجمان (مطبوع) ٩/ ٢٧٦ – الثاني فيه برواية "أيدي" – و(مخطوط) ٤٨٧/٩ أن يأتيا بالرواية الآتية حتى يتّضح الغرض من نظم القصيدة، وهو مدح "صدر الدين القرميسيني":

بـــــاعَ العِمَامَـــــة والشُّمْشُـــــك فعلـــــــوهُ عـــــــارٍ وسِـــــــفلهْ

....

فمُـــــرِ الزَّمَـــــانَ، فعقْـــــدُهُ فـــــي يـــــد مولانَـــــا وحلُّـــــهْ

٩– وورد في ص ٢٥٢ البيت التالي هكذا:

بشــيرٌ نــذيرٌ فالمواهــبُ وَالسَّــطا إذا هــو يومًــا باشَــرَ السِّــلْمَ والحَرْبَــا

كذا وردت كلمة "المواهب" مقرونة بالفاء، والمبتدأ على هذا النحو لا خبر له، وصواب تحرير البيت على ما ورد في نشرة "محمد زغلول سلام" ص ٩٢ أن تقرن كلمة "المواهب" بـ "ما " هكذا: "ما المواهب"، وليس الفاء، وعلى هذه الرواية يستقيم الأسلوب، ويتّضح المعنى، وفي الديوان أمثلة أخرى مشابهة.

١٠– وممّا يتّصل بتحرير النص ما بدا على صفحات الديوان من أخطاء طباعية، ككتابة الراء دالاً، والذال زايًا، والعكس في بعض الكلمات؛ ممّا أدّى إلى غموض المعنى، وتحويله عن وجهه، ومن ثم غياب الغرض، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

الكلمة	البيت	م

الصواب	الخطأ	قطعته	رقمه	
ياعذولي	يا عزولي	٢٣	٦	١
الأقدار	الأقداد	٦١	٢	٢
قدر	قدد	٨٥	٤	٣
أرى	أدى	١١٥	١	٤
الأوتاد	الأوتار	٦٠	س١٣	٥
أفوز	أفوذ	٢٥٣	١	٦
القصار	القصاد	٢٥٣	٢	٧
ذائع	زائع	٤٢	٢	٨
زل	ذل	٥٧	٨	٩
زان	ذان	٦٩	٤٤	١٠

وإذا كان تحرير النص يفتقر- كما رأينا- إلى إعادة نظر، فإن شرح الألفاظ هو الآخر يفتقر إلى مراجعة ومحاولة تصحيح:

١- ما ورد في ص ٢١٢ في شرح اسم "معن" في البيت التالي الوارد في سياق التهنئة والمدح، وهو:

أنسيتَ مَعْنًا في النَّوَالِ وَحَاتِمًا وفضحتَ قسًا في النُّهَى والأَحْنَفَا

فالشاعر يمدح في هذا البيت أحد الرجال، ويقول: إن كرمه فاق كرم "حاتم الطائي" الشاعر الجاهلي المشهور بالكرم، وإن حكمته فاقت حكمة "قس بن ساعدة

الإيادي"، و"الأحنف بن قيس"، وهما من حكماء العرب المشهورين، وتحديد المحقق لهذه الأسماء دقيق لا غبار عليه، إلا أنّه قد جانبه التوفيق في تحديد شخصية "معن" المذكور في البيت، حيث قال: إن المقصود به هنا هو معن بن أوس، وهذا مخالف للصّواب، فالمقصود بـ "معن" هنا هو "معن بن زائدة الشيباني"، المضروب به المثل هو الآخر في الجود والكرم، وهو ممدوح الشاعر "مروان بن أبي حفصة الأكبر١٠٥ – ١٨٢هـ" الذي قال في رثائه:

وَيا قَبرَ مَعنٍ كَيفَ وارَيتَ جودُهُ ... وَقَد كانَ مِنهُ البَرُّ وَالبَحرُ مُترَعا
بَلى قَد وَسِعتَ الجودَ وَالجودُ مَيِّتٌ ... وَلَو كانَ حَيّاً ضِقتَ حَتّى تَصَدَّعا
وَلَمّا مَضى مَعنٌ مَضى الجودُ وَانقضى ... وَأَصبَحَ عِرنينُ المَكارِمِ أَجدَعا
وَما كانَ إِلا الجودَ صورَةُ وَجهِهِ ... فَعاشَ رَبيعاً ثُمَّ وَلّى وَوَدَّعا

٢- وشبيه بهذا الأمر ما ورد في ص ١٤٦ في شرح الأبيات ١٧ – ١٩، والتي قالها الشاعر في الفخر بشعره، وهي:

كلُّ بَيْتٍ يُزْرِي عَلَى خَلَفِ الأَحْـ ... ـمرِ بالحُسْنِ، وهو شيخُ ابنِ هَانِي
ببديعٍ يَحَارُ في نَظْمِه الطَّا ... ئِي بَلْ مُسْلِمٌ صريعُ الغَوانَي
ومديحٍ مَا نَالَ جَوْدتَه قَدْ ... ماً زِيادُ في خِدْمَةِ النُّعْمَانِ

وتناول المحقق الأسماء الواردة في هذه الأبيات بالشرح والتوضيح، وجاء شرحه لها كالتالي:

"خلف الأحمر: هو خلف بن حيان أبو محرز....ابن هاني: محمد بن هاني المهلبي الأندلسي، مولده في ٣٢٠.... الطائي: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد

الطائي، الشهير بالبحتري..... مسلم: صريع الغواني: هو مسلم بن الوليد، زياد: هو زياد بن أبيه بن أبي سفيان، أحد ولاة بني أمية.... النعمان: النعمان بن المنذر".

وقد جانب المحقق التوفيق في الإفصاح عن هوية ثلاثة من الشخصيات الواردة في الأبيات، وهذا توضيح ذلك:

قال: إنّ "ابن هانئ "، هو"محمد بن هانئ الأندلسي". قلت: كيف يكون "ابن هانئ الأندلسي" المولود عام ٣٢٠ هـ تلميذًا "لخلف الأحمر" المتوفى عام ١٨٠هـ، مع وجود هذا الفارق الزمني البعيد بينهما؟ الصواب أن "ابن هانئ" المقصود هنا هو "أبو نواس"، الشاعر العباسي المولود عام ١٤٦هـ، والمتوفى عام ١٩٨م، فاسمه "الحسن بن هانئ "، وقال: إن "الطائي" هنا هو "البحتري". قلت، وهذا أمر مخالف للصّواب، المقصود هنا هو "أبو تمام الطائي" لشهرته بالبديع كما ذهب "الجزار" في بيته، وعرّف المحقق بـ "زياد" بأنه "زياد بن أبيه"، قلت: ما علاقة "زياد بن أبيه" أحد خطباء العصر الأموي المشهورين "بالنعمان بن المنذر" أحد أمراء الجاهلية ؟ فالصّواب أن "زيادًا " المقصود هنا هو الشاعر "النابغة الذبياني"، واسمه "زياد بن معاوية"، الشاعر الرسمي"للنعمان بن المنذر"، وصاحب الأماديح والاعتذارات الكثيرة التي رفعها إليه.

٣- لم يتريّث المحقق الكريم أمام مدلولات المادة الواحدة في معجمات العربية، التي رجع إليها أثناء شرحه لبعض الألفاظ، وحدا به هذا التسرّع إلى اختيار معاني الكلمات التي لا تنسجم ومعنى البيت، وغرض الشاعر، من ذلك ما ورد في ص ١٠٣ في شرح البيت التالي:

أصــمَى قلــوبَ العاشــقينَ طَرْفُــهُ ظلمًــا بمــا فــوَّقَ مِــنْ سِــهَامِهِ

وجاء في شرحه لكلمة "أصمى" ما نصّه: "أصمى من الصمم، وهو انسداد الأذن وثقل السمع". راجع لسان العرب ص ٢٥٠٠س ٢٨.

والصّواب أنّ كلمة "أصمى" هنا ليس معناها الصّمم؛ إذ لا يُصاب القلب بالصّمم، الأذن هي التي تصاب بالصّمم كما قال المحقق في شرحه. أصمى هنا بمعنى أصاب، ويكون المعنى هكذا: أصاب طرفه قلوب العاشقين فأثّر فيها، ففي كتاب "الإتباع والمزاوجة لابن فارس اللغوي ت ٣٩٥هـ" ص ٦٥ ما نصّه: "يُقال: رَمَى فما أَصْمَى ولا أَنْمَى، إذا لم يَقْتُلْ، ولَمْ يُصِبْ. ويُقال: "رَمَى فأَصْمَى، إذا أَصابَ المَقْتَلَ. وأَنْمَى إذا أَخْطأَ المَقْتَلَ"، وورد في المعجم الوسيط ٥٢٤/١ ما نصّه: أصمى الصيدُ و الرجلُ: صمى. و الصيدَ: أصابه فوقع بين يديه و في الحديث (كُلْ ما أصميتَ و دع ما أنميتَ): كُل الصيد الذي مات بين يديك، و دعْ ما جُرح و مات بعيدًا عنك. وقال "ابن الجوزي" في كتابه غريب الحديث ص ٦٠٤/١: "وفي الحديث: كُلْ ما أَصْمَيتَ يَعني إِذَا مَاتَ وأَنْتَ تَرَاهُ".

٤- ومن ذلك ما ورد أيضًا في ص ١٠٧ في شرح البيت التالي:

شامَ طَرْفِي من المباسِمِ بَرقًا علمَ الدمعُ منه كيفَ يفيضُ

وجاء شرح الألفاظ في هذا البيت كالتالي: "شام طرفي: الشامة علامة مخالفة لسائر اللون، وهي الخال. لسان العرب ٢٣٨٠ س ٢، المباسم: بسم يبسم بسمة، وابتسم وتبسّم، هو أقل الضحك وأحسنه. لسان العرب. بسم ٢٨٦ س٣".

فهذا الشرح كلّه مجانب للصّواب، لعدم مراعاة التريّث في اختيار معنى الكلمة من المعجمات، التي تتفق وسياق البيت، ومن المؤكّد أنه لو ترك المحقق نفسه على سجيّتها في شرح البيت لأصاب المحزّ، وطبق المفصل في الشرح، فقد

أدّى شرحه إلى غموض البيت مع أنه ليس بحاجة إلى شرح، فمعناه واضح وضوح الشمس في رائعة النهار، وها هو ذا معنى البيت: "شام بمعنى لمح ورأى، والمباسم: الثغور، والبرق هنا: المقصود به هنا أسنان الأحباب، والمعنى لمح طرفي من ثغور الأحباب أسنانًا بيضًا تلمع كأنها البرق"

٤- ومن ذلك أيضًا ما ورد في ١١٨ في شرح البيت الوارد في سياق الهجاء، وهو:

ولَـــهُ مَحَـــلٌّ فـــي البغَـــا ءِ بـــهِ تقـــدَّم إذْ تَـــأَخَّرْ

وجاء شرح كلمة "البغاء" هكذا: "البغاء: التعدّي والبغي: الاستطالة على الناس والكبر، والغيّ: الظلم والفساد". راجع لسان العرب بغا ص ٣٢٣"

قلت: للكلمة معنى آخر دقيق، ربما قصده الشاعر، وهو: "الفجور والزنا"، قال تعالى: "ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصّنًا".

٥- ومن ذلك أيضًا ما ورد في ص ١٣٣ في شرح البيت التالي:

بالصَّـــومِ والإفـــلاسِ تُبْـــ ـــتُ عـــن السُّـــلافةِ والسَّـــوَالفْ

وجاء شرح لفظة السوالف هكذا: "السّوالف: السالف: أعلى العنق. راجع لسان العرب ص ٢٠٦٩ س ٢". قلت: ليس ثمّة علاقة بين التوبة بالعنق، معنى السوالف الذي ينسجم والمعنى الإجمالي لمعنى البيت هو: أن تكون الكلمة بمعنى ماضي الأخطاء والذنوب، أو تكون الكلمة بمعنى مُدمني الخمور، المنسوبين إلى السّلافة.

٦- ومن ذلك أيضًا ما ورد في ص ١٦٩ في شرح البيت التالي:

ذو ســـيوفٍ يـــومَ النِّـــزالِ كـــوردٍ وجنـــابٍ يـــومَ النَّـــوَالِ كـــآسِ

وجاء شرح لفظة "الورد" هكذا: "الورد الذي يُشَم، الواحدة وردة، وقيل للأسد ورد، وللفرس ورد، والجمع ورد، (مختار) (أي مختار الصحاح). ورد" أ. هـ.

قلت: لم تُشرح كلمة جناب في البيت، وهي بحاجة إلى شرح، وأرجح تحريفها عن كلمة "جفان" – التي تناسب الجود والكرم والعطاء كما يشير عجز البيت، والبيت المذكور قبله، في حين شُرحت كلمة "الورد" التي أُتي في شرحها بمدلولات لا تتفق ومعنى البيت، إذ لا علاقة بين الورد /الزهر وبين مواقف البأس والحرب. الذي أعرفه أن لفظ الورد أطلقته العرب على بعض أفراس الفرسان منهم: "حمزة بن عبد المطلب، و "حاتم بن النعمان الباهلي"، و "ابن عادية الأسلمي"، و "فضالة بن كندة"، و "أحمر بن جندل بن نهشل"، و"مالك بن شرحبيل". فربما ذهب الشاعر إلى هذا المعنى، وينظر في ذلك كتب الخيل خاصة كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي.

٧- ومنها أيضًا ما ورد في ص ٢٢٣ في شرح البيت التالي الوارد في ذم البخلاء، وهو:

صـنمٌ فـي النَّقْـلِ لا فـي الحُسْـنِ إذ بهـــمُ فـــي كـــلِّ وَقْـــفٍ يكفـــرُ

وفسِّرت كلمة "النقل" بأنها المجادلة، استنادًا على لسان العرب(نقل) ص ٤٥٣١ س ١٤. قلت: ما دخل الصنم بالمماراة والجدال ؟. معنى النقل هنا هو: الحمل، ويكون المراد أن البخيل ثقيل كالصنم في حمله ونقله من مكان لآخر.

وفي الديوان أمثلة أخرى لا يتّسع المجال لإزجائها هنا، وأظنّ أنّ ما أوردناه كافٍ في الدلالة على ضرورة رجوع المحقق إلى شروحه للألفاظ لمحاولة تصحيحها، وتنقيحها، ليأتي الديوان على الصورة المثلى التي تُنشد له، وليأخذ الشاعر مكانته الأدبية اللائقة به بين أقرانه.

وحبذا لو قام المحقق بفصل شرحه للألفاظ عن سرده للروايات والتخريجات، وجعل الشروح إثر بعضها في قسم خاص بها في نهاية كل مقطعة وقصيدة، وحبذا لو تغلّب على التفاوت الكامن في معاملة الألفاظ في الشرح، حيث يقف القارئ في الديوان على ألفاظ مشروحة، وهي ليست بحاجة إلى شرح، ويجد ألفاظًا أخرى غير مشروحة، وهي تفتقر إلى شرح، ومن ذلك ما ورد في البيت التالي المذكور في ص ٩١، وهو:

وبتُّ وَطَرْفِي فيكَ باكٍ مُسَهَّدٌ فلا دَمْعَتِي تَرْقَا ولا مُقْلَتي تَكْرَى

فشُرحت كلمة "تكرى"، ولم تُشرح كلمة "ترقا"، وهي بحاجة إلى شرح، ومعناها: تكف، على ما جاء في لسان العرب (رقأ): "رَقَأَتِ الدَّمْعَةُ تَرْقَأُ رقْأً ورُقُوءاً: جَفَّتْ وانْقَطَعَتْ"

ومن ذلك ما ورد في ص ٢٣٩ في البيت التالي:

فإنّي من دونِ الأَنَام مُوَلَّهٌ بِحُبِّ فَتىً حُلْوِ الشمائلِ خَربنَدا

فتركت كلمة "خربندا" دون شرح، وهي بحاجة ماسة إلى شرح أكثر من كلمة "الغيد" في البيت المذكور قبل هذا البيت، ولعلّ الشاعر يقصد بها غلامًا منسوبًا إلى "خربندا " في الملاحة، وهو "محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو خربندا " ملك

التّتار، واسمه في الأصل "خدابندا" معناه "عبد الله"، وإنما الناس غيروه، فقالوا: "خربندا " صاحب العراق وأذربيجان وخراسان، كانت دولته ثلاث عشرة سنة، وكان شاباً مليحاً لكنه كان أعور جواداً لعاباً. انظر في ترجمته: الوافي بالوفيات ١٢٩/٢ (تحقيق: تركي مصطفى).

وحبذا لو عاد المحقق إلى الكلمات التي تصدّى لشرحها معتمدًا في هذا الشرح على المصادر الحديثة، وأعاد النظر في هذا الأمر، فالاعتماد على هذه المراجع مخالف للمنهج العلمي، الذي يقضي بالرجوع في شرح الكلمات للمعاجم الموسّعة، وليس على المختصر منها، هذا أمر، والأمر الثاني يكمن في أن بعض ما شُرح اعتماداً على المراجع الحديثة لا يفتقر إلى الشرح، وسوف أجلي هذا في ضوء ما يلي:

في ص ٢٠٧ شُرحت كلمة "الدينار" اعتمادًا على كتاب "علم اللغة التاريخي للبدراوي زهران" ص ٢٤٨، والذي تكرّر ذكره في الديوان أكثر من ثماني مرات. وهذه الكلمة لا تفتقر إلى شرح أولاً، ثم إنّ الاعتماد على المرجع المذكور لا يصحّ ثانيًا، فالأولى الرجوع إلى المعاجم الأساسية في شرح الألفاظ، والرجوع في شرح هذه الكلمة الأعجمية ومثيلاتها إلى المصادر، التي رصدت الدخيل في لغتنا العربية مثل: "كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي: لأبي منصور الجواليقي ت ٥٤٠هـ"، وكتاب "شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي ت ١٠٦٩هـ"، وهما منشوران في القاهرة، وكتاب "قصد السبيل في ما في لغة العرب من الدخيل للمحبي ت ١١١١هـ"، وهو منشور في السعودية في مجلدين عام ١٩٩٤م، لا الرجوع إلى كتاب الدكتور "البدراوي زهران"، المذكور آنفًا، وكتاب الدكتور "عبد الصبور شاهين" الموسوم بـ "دراسات لغوية" المذكور في ص ٨٠، ٩٠، والصفحات التي تكرر فيها كتاب الدكتور "البدراوي زهران" في شرح الألفاظ هي:٨٨، ١١٩، ١٤٠، ١٦٦، ١٧٣، ٢٢١، ٢٤١، ٢٠٧.

وما يُقال عن الرجوع إلى المراجع الحديثة يُقال، أيضًا، في الاعتماد على عليها في الترجمة للأعلام من أجدادنا، فقد تمّ الرجوع في الترجمة لابن هانئ ص ١٤٦، إلى كتاب "عصر الدول والإمارات للدكتور شوقي ضيف"، والصواب اقتباس التراجم من المصادر الأساسية مثل: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني ٢٣/١، ٨٨، ٣٣٧، ٤٢٩، ٤٣٠، ٦٦٦/٢، ووفيات الأعيان ١٣٩/١، وإعتاب الكتاب لابن الأبار القضاعي ٢٠٧، ونفح الطيب للمقري ٢٧٠ – ٢٧١،٥٦٥، وغيرها.

ويُلاحظ فوق ذلك في تراجم المحقق للأعلام الواردة في الديوان ما يلي:

تكرار الترجمة للعلم الواحد أكثر من مرة دون الإشارة إلى هذا التكرار، وفي كل مرة تُذكر معلومات ربما تتناقض مع معلومات الترجمة نفسها المذكورة في المرة الأخرى في بعض التراجم. وهذه بعض الأمثلة:

في ص ١٧٥ ذكر المحقق الكريم ترجمة لابن العديم، وفي ص ٢٠٠ ذكر ترجمة أخرى للشخص نفسه، وورد في ص ١٧٥ في سياق الترجمة الأولى ما نصّه: "هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أبي جرادة، ولد سنة ٥٧٦هـ أحد الرؤساء المشهورين، والعلماء المذكورين، جمع لحلب تاريخاً نحو ثلاثين مجلدًا، وقد ترسل إلى الخلفاء والأمراء (مراراً) عديدة. توفي بمصر سنة ٦٦٦هـ راجع ترجمته في البداية والنهاية مج ٧/ج١٣/ ٢٤٩، والعبر ٣٠٠/٣، وعقد الجمان ٣٣٩/١، وله ذكر في مواضع مختلفة في النجوم الزاهرة ج ٢٠٨/٧ – ٢١٠".

وفي ص ٢٠٠وردت ترجمة لابن العديم نفسه، هذا نصها: "هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة، الصاحب العلامة، رئيس الشام، المعروف بابن العديم، ولد سنة ٥٨٦هـ، وتوفي ٦٦٦هـ، وكان محدثًا حافظًا مؤرِّخًا صادقًا، فقيهًا منشئًا بليغًا كاتبًا جوادًا، درس وأفتى وصنّف وترسل عن الملوك، وقدم إلى مصر

رسولاً، وإلى بغداد، وكان إذا قدم إلى مصر يلازمه أبو الحسن الجزار.... راجع ترجمته في البداية والنهاية مج ٧/ج١٣/ ٢٤٩، النجوم الزاهرة ج ٢٠٨/٧ وما بعدها، والشذرات ٣٥٨/٣، وفوات الوفيات ٢١٦/٣ وما بعدها، والعبر ٣٠٠/٣، وعقد الجمان ٣٣٩/١، والمنهل الصافي ٤٢٩/٢، وذكر مولده ٦١٠، ووفاته ٦٩٤".

لا شكّ أن التكرار الظاهر، وأنّ هذا التناقض حاصل، والاختلاف في إيراد الترجمة للشخص الواحد متحقق، فكان من الأولى عند ورود ذكر ابن العديم للمرة الثانية الإشارة إلى الصفحة التي مرت فيها ترجمته من قبل، وإسقاط الترجمة الثانية، لا سردها هي الأخرى دون ذكر للتكرار كما في الترجمة الماثلة معنا الآن، أو مع ذكره كما حدث في ترجمة الصاحب "بهاء الدين" الواردة في ص ١٩٥، والسابق ذكرها في ص ١٨٥. والتناقض ظاهر أيضًا، فوفاة "ابن العديم" في الترجمة الأولى هو عام ٦٦٠هـ، ووفاته في الترجمة الثانية في سنة ٦٦٦هـ، ثم إن كتاب ابن العديم الذي قال عنه المحقق: إنه جمع لحلب تاريخاً نحو ثلاثين مجلدًا"، هذا الكتاب حقّقه ونشره د. "سهيل زكار"، في دار الفكر– بيروت – ١٩٨٨م، تحت عنوان: "بغية الطلب في تاريخ حلب" في عشرة مجلدات.

ومن الترجمات المكرّرة في الديوان دون إشارة: ترجمة "سراج الدين الوراق" الشاعر في ص ١٨٩، وفي ص ٣٠٨، وترجمة "الملك العادل" ص ٧٣، وفي ص ٢٩٩، وترجمة "الملك الكامل" في ص٧٥ وفي ص٢٩٩.

وإذا تُرك أمر هذا التكرار والتناقض إلى النظر في التراجم من زاوية أخرى، عُثر في هذه التراجم على معلومات غير مطابقة للواقع، منها ما ذكر في ص ١٤٩ في النصّ الآتي: "ابن مطروح الشاعر المصري صاحب تصانيف مفيدة في الأدب"، فهذا تصريح يفتقر إلى مراجعة، وقد ناقش هذا الأمر "حسين نصار" في

مقدمته لتحقيق ديوان "ابن مطروح"، وانتهى إلى أنه لم يعرف لابن مطروح مؤلفات معروفة.

أضف إلى ذلك أن المحقق ترجم لابن مطروح دون أن يشير إلى ديوانه، وأقول: إنّ ديوانه طُبع عدة مرات، أولها طبعة سقيمة في القسطنطينية، وثانيتها طبعة د. "جودة أمين" في القاهرة، وثالثتها طبعة "عوض الصالح" في ليبيا، ورابعتها طبعة د. "حسين نصار" القاهرية – ٢٠٠٤م، وهناك محاولة في الأردن لمّا تنشر بعد، أعدّها في رسالته للماجستير "عمر وفيق صابر"، ولكاتب هذه السطور المتواضعة دراسة متواضعة حول هذه المحاولات جميعها.

ومن ذلك أيضًا قول المحقق عن حواشي "ابن بري" على "الصحاح في اللغة للجوهري": إنها في عدة أجزاء. قلت: هذه الحواشي مطبوعة في مجلدين فقط تحت عنوان "التنبيه والإيضاح عمّا وقع في الصحاح".

وإذا تُرك هذا الجانب في الترجمات، التي تفتقر إلى الأساس الموثّق إلى النظر في هذه الترجمات من جانب آخر، ألا وهو تحديثها، وتضمينها بما يلزم إضافته إليها حسب آخر ما انتهى إليه البحث العلمي، فسوف يعثر منها على ما يفتقر إلى التحديث حتى عام ٢٠٠٧م، هذا من جانب، وهناك أمثلة على ذلك، منها ما أُشير إليه في ترجمة ابن العديم، وابن مطروح، ومنها أيضًا، ما أخلّت به ترجمة الأشتر النخعي، فقد جاء نص هذه الترجمة في ص ٢٩٠ هكذا: "النخعي الأشتر: هو مالك بن الحارث بن الأشتر النخعي من مشاهير الصحابة، تولّى مصر في أيام الإمام علي – رضي الله عنه – سنة ٢٦هـ، فأقام مدة يسيرة ومات، وقيل مات مسمومًا من عبده، فلما بلغ الإمام (علياً)، موته حزن عليه حزنًا شديدًا، وقال: لقد كان لي كما كنت لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–. البدائع ج١/قسم ١/١١٤".

يُلحظ في هذه الترجمة ترك جانب مهم من جوانب شخصية الأشتر النخعي، ألا وهو كون الأشتر شاعرًا مجيدًا، له ديوان منشور في بيروت، حققه ونشره "مهدي عبد الحسين النجم".

وهناك أمر آخر يتصل اتصالاً وثيقًا بنطاق الحديث الآن، وهو خاص برصد المحقق لاقتباسات الجزار من القرآن الكريم، فأقول: لابد من تقديم الشكر الجزيل للسيد الدكتور"أحمد عبد المجيد محمد خليفة" على ما قام به من جهد رائع يُذكر فيُشكر، في معالجة هذا الموضوع المهم، فما قام به هو في حقيقة الأمر دلالة واضحة على اتصاله الوثيق بكتاب الله – عز وجل – الكريم، وكل ما يتّصل بالثقافة الإسلامية بسبب من قريب أو من بعيد، فقد قام بحصر اقتباسات الجزار من القرآن الكريم، وبادر إلى رصدها بأرقام الآيات في هوامش تحقيقه، بيد أنه قد فاتته بعض الاقتباسات الأخرى القليلة في ديوان "الجزار"، رأيت سردها هنا ليكتمل اتجاه الشاعر في نزوعه إلى الاقتباس من القرآن الكريم في أشعاره، وجعل ذلك هدفًا فنيًا له، يسعى إليه كلما واتته الفرصة، وأسعفته القريحة، ليوشي به أشعاره، وليرفع بوساطته من قيمتها، وليسبغ عليها ظلالاً من شيات الجمال الفني، والجلال المضموني، والحق أن كثرة اقتباسات "الجزار" من القرآن الكريم تُلفت النظر، وتسترعي الانتباه، لسبب بسيط، ألا وهو كثرة صدورها عن تاجر امتهن حرفة الجزارة؛ ممّا يجعلها تفتقر إلى دراسة قائمة بذاتها، وهذا سرد بما وقفت عليه من اقتباسات:

١– في ص ٨٥، ورد بيت فيه تضمين، هو:

قل لمن كانَ قَدْ يفرعِنُ بَغيًا إنَّ مُوسَى بالعدلِ قَدْ جاءَ مِصْرا

ففي هذا البيت تضمين من قصة موسى – عليه السلام – وفرعون من بعض الآيات من سور عدة من القرآن الكريم، منها الآية (٩٠) سورة يونس– عليه

السلام – في قوله – ﷻ –:{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}.

٢– وفي ص ٩٢، ورد بيت فيه اقتباس، هو:

أرانا بحسْنِ العَفْوِ عنه عَوَاطفًا تُؤَمِّنُنَا من بطشِهِ الآيةَ الكُبْرَى

ففي هذا البيت اقتباس من قوله ﷻ:{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى} الآية (٢٠) من سورة النازعات

٣– وفي ص ٩٦، ورد بيت فيه اقتباس، هو:

ربَّ جود للقاصدِينَ إلى مَغْنَا هُ جنانٌ فيها نَعيمٌ مُقِيمُ

ففي هذا البيت اقتباس من قوله ﷻ:{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} الآية (٢١) من سورة التوبة.

٤– وفي ص ٩٧ ورد بيتان، فيهما اقتباس، هما:

وقبيحٌ عَلَيَّ أن أشتكي بـ ـرًّا وبحْرًا وأنتَ بَرٌّ رَحِيمُ
وله زوجةٌ مَتَى نظرتْهُ خُيِّلتْ أنَّها عجوزٌ عَقِيمُ

ففي البيت الأول اقتباس من قوله ﷻ:{إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} الآية (٢٨) من سورة الطور. وفي البيت الثاني اقتباس من قوله

تعالى:{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ } الآية (٢٩) من سورة الذاريات .

٥- وفي ص ٨٢، ورد بيت فيه اقتباس،هو:

حِذْتُ عَنْها لما انتضَتْ صارمَ الجَفْ ـنِ حِـذارًا مِـنْ أن تبـوءَ بـإثمِي

ففي هذا البيت اقتباس من قوله ﷻ:{إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ} الآية (٢٩) من سورة المائدة.

٦- وفي ص ٣٤٩، ورد بيت فيه اقتباس،هو:

رزقُ العِبَـادِ برَاحَتيـكَ مُقَسَّـمٌ فلـذَاكَ تَـرزقُ مـن تشـاءُ وتَحْـرمُ

ففي هذا البيت اقتباس من قوله ﷻ: {تُولِجُ اللَّيْلَ فِي الْنَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الَمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}. الآية (٢٧) من سورة آل عمران.

أمّا تخريج النصوص الشعرية وإثبات فروق رواياتها الواردة في المصادر، فأهم ما يُلاحظ عليها القصور في الاستقصاء، وترك المفاضلة بين رواية وأخرى لاختيار الرواية الأجود، وتثبيتها في النص الشعري، فهناك كثير من المصادر رجع إليها المحقق، ولم يثبت فروق روايات أبياتها، وهناك مصادر أخرى لم يرجع إليها، ففاته التخريج عليها، وإثبات فروق روايات أبياتها، أيضًا، ولا شكّ أن في الحرص على استقصاء مصادر التخريج، وإثبات فروق الروايات خدمة للنص المحقَّق، ولا يتّسع المقام الآن لإثبات كل الروايات والتخريجات الجديدة، والتي يلزم إضافتها إلى

التحقيق، فذلك يحتاج منا إلى بحث آخر قائم بذاته، لذا تُساق الأمثلة الآتية على ذلك:

- القصائد ذوات الأرقام (١، ١٣، ١٥، ١٨ – ٢٢، ٢٧ – ٣٤، ٣٧، ٣٨ – ٤٠، ٤٩، ١٣٩، ٢٣٤، ٢٧٧) في قلائد (عقود) الجمان (مطبوع) ٩/ ٢٦٦ – ٢٨٠، ومخطوط ٤٧١/٩ – ٤٩٥، وفيه روايات كثيرة جديدة يحسن الأخذ بها كما أشير آنفًا.
- البيت ٨ من القصيدة رقم ٥: للجزار في أنوار الربيع في أنواع البديع ١٤٠/٥، ورواية البيت السادس فيه هي: "صارم اللحظ".
- البيتان ٥،٦ للجزار في صرف العين ٤٤٨/٢.
- البيتان ٤،٣ من القصيدة رقم ١٤: له في فيه ص ٣٣٤/٢، ورواية الثالث هي: "بعيشك"، ورواية الرابع هي: "تباشيرها".
- البيتان ٣،٥ من القصيدة رقم ١٦: له فيه ٤٤٨/٢، ورواية الثالث هي: "أو تثنى".
- البيتان ٤، ٥ من القصيدة رقم ٢٠: له فيه ٤٤٩/٢، وهما له في الدر المصون المسمّى بسحر العيون ٢٣٣/٤.
- الأبيات ٥، ٧، ١٠، من القصيدة ٢٢: للجزار في الانتصار لواسطة عقد الأمصار ١٢٦/٢.
- البيتان ٦، ٧ من القصيدة رقم ٢٣: له في طراز الحلة ٤٦٩.
- المقطعة رقم ٢٧: له في نفحة اليمن ١٢٢.
- النتفة رقم ٣٤: له في "أنوار الربيع في أنواع البديع" ٢٣/٥.
- البيتان ٢، ٣ من المقطعة رقم ٣٥: له في الغيث المسجم ١٤٦/١.

- البيتان ٢,١ من النتفة رقم(٥٢): لـه في أنوار الربيع ٢٣/٥، والكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٣٩٥، ورواية الأول فيه: "أيا علم الدين الذي جود كفّه".
- الأبيات ١، ٢، ٥ له في الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٣٩٤ – ٣٩٥.
- البيتان ٨، ٩ من القصيدة ٦٠: لـه في صرف العين ٤٣٠/٢، ورواية الثامن فيه هي: "من جفن عينيه"، والبيت التاسع والعشرون من هذه القصيدة في أنوار الربيع في أنواع البديع ٢٤/٥.
- البيتان ١١، ١٢ من القصيدة رقم ٨٦: لـه في الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٩٩.
- النتفة رقم ١٠٣: له في الغيث المسجم ٤٦٠/٢.
- المقطعة رقم ١٠٩: له في أنوار الربيع في أنواع البديع ٢٤/٥.
- المقطعة رقم ١١٥: لـه في منهل اللطائف في الكنافة والقطائف ١٨،٢٤، ورواية الأول فيه هي: "ومالي أرى".
- الأبيات ١ – ٣،٦، ٧ من القصيدة رقم ١٣٤: لـه في الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه ٤٠٠ ورواية الأول فيه هي: "بخار"، ورواية الثاني فيه هي: "سحب"، ورواية السادس هي: " فكان"، ورواية السابع هي: " تغتدي ...وهنا".

هذه أمثلة، فقط، سيقت للدلالة على ضرورة إعادة النظر في تحقيق الديوان، تطلّعًا إلى استقصاء مصادر تخريج الأشعار على مصادرها، ومحاولة إثبات فروق الروايات، وإثبات أفضلها في النص الشعري بعد المفاضلة فيما بينها.

سادسًا: إخلال المقدمة والفهارس.

وضع "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" مقدمة لعمله، احتلت ٥٨ صفحة، تناول فيها الشاعر من حيث مولده، واسمه، ونشأته، وأخلاقه، وأسرته، وداره،

وعلمه وثقافته، وعلاقته بمعاصريه، ووفاته، ومخطوطات شعره، وذكر في المقدمة ص ٨، وص ٥٧ أنه صنع عدة فهارس هي: "فهرست الآيات القرانية، وفهرست الحديث النبوي، وفهرست الأمثال، وفهرست الأعلام، وفهرست الأماكن، وفهرست الشعر والقوافي".

ولم يفصح في حديثه عن علم "الجزار" وثقافته إلى كونه مؤلفًا، ترك آثارًا تشهد له بذلك، ولم يأت المحقق – وكذلك د. محمد زغلول سلام – على ذكر مؤلَّف واحد من بينها نشر أو لم يُنشر.

فقد وقفت على مؤلف "للجزار" منشور بعنوان: "فوائد الموائد" – حققه "د. إبراهيم السامرائي"، ونشره مرتين، أولاهما: في مجلة المجمع العلمي العراقي، في المجلدين ٢٧، ٢٨ لسنتي ١٩٧٦، ١٩٧٧م ص ٢٠٤ – ١٣٥، ١٥٣ – ١٧١، وثانيتهما: في كتابه "رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ"– مكتبة المنار – الأردن – ط١– ١٩٨٨.

كذلك لم يأت د. "أحمد عبد المجيد محمد خليفة"، ولا د. "محمد زغلول سلام"، على ذكر مؤلَّف آخر ينسب للجزار، ولابن العديم، ذكره "بروكلمان "في كتابه تاريخ الأدب العربي ٧٨/٦، ٩٠، وذكره أيضًا نقلاً عن بروكلمان محقق قلائد (عقود) الجمان في هامش ج ٩/ ٢٦٦، هذا المؤلَّف بعنوان: "الوسيلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب".

أمَّا بالنسبة للفهارس المذكورة آنفًا، والتي قال د. "أحمد عبد المجيد محمد خليفة " أنّه قام بإعدادها، فأقول: الديوان المنشور الآن لا يحتوي على أي فهرس من هذه الفهارس، فيبدو أنه صنعها في أطروحته للدكتوراه، وعندما نهض بنشر الديوان أسقطها، وفاته تعديل المقدمة لتتواءم مع النص المنشور. والديوان يفتقر حقًا إلى فهرس للقوافي بسبب تحقيق كل مخطوطة عن أختها، وعدم جمع الأشعار وترتيبها حسب قوافيها وفق ترتيب حروف المعجم. ومراعاة لانسجام ما ورد في

المقدمة مع النص المنشور ينبغي ما يلي: إمّا حذف الإشارة إلى إعداد الفهارس من المقدمة، وإما القيام بإعداد الفهارس، وإدراجها في نهاية الديوان.

وبعد، فإنّ من باب الإنصاف ردّ المعروف إلى أهله، ومن هنا فإني أزجي إلى أخي الكريم الدكتور الفاضل "أحمد عبد المجيد محمد خليفة" كل تقدير، وأرفع إليه كل شكر على جهوده الطيبة في خدمة اللغة العربية، وتراثها الخالد بتآليفه القيّمة التي لا ينكر أثرها، يأتي في مقدمتها كتابه عن "الشاب الظريف"، و"ديوان الجزار"، ومؤلفاته الأخرى تشهد له بالإخلاص في القول والعمل، وكفاه أن نتاجه القيّم لفت نظر رهط من الباحثين، ومن بينهم كاتب هذه السطور المتواضعة، ممّا حدا به إلى تدبيجها، والحقيقة أنّه لولا تحقيقه لديوان "الجزار" ما وُجد هذا البحث، الذي هو في حقيقة الأمر منه وإليه؛ لذا فإنني أهديه إليه هدية خالصة لتكون تحية تقدير وشكر، وبداية تواصل على درب العلم والمعرفة، وآخر دعوانا أنّ الحمد لله رب العالمين.

المصادر

١- الإتباع والمزاوجة: لابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ) – تحقيق كمال مصطفى – الخانجي– القاهرة.

٢- إعتاب الكتاب: لمحمد القضاعى (ت ٦٥٨هـ) تحقيق د: صالح الأشتر – دمشق – ١٩٦١م.

٣- الأعلام . لخير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . ط٥ . ١٩٨٠ م.

٤- أعيان العصر وأعوان النصر: للصفدي (ت ٧٦٤هـ): تحقيق: علي أبي زيد – دار الفكر– دمشق ط١ – ١٩٩٨م.

٥- الانتصار لواسطة عقد الأمصار: لابن دقماق – المكتب التجاري – بيروت.

٦- أنوار الربيع في أنواع البديع: لابن معصوم (ت ١١٢٠هـ) تحقيق: شاكر شكر- النجف -١٩٦٨م.

٧- بغية الطلب في تاريخ حلب: لابن العديم (ت ٦٦٠هـ) - تحقيق: سهيل زكار- دار الفكر- بيروت - ١٩٨م.

٨- تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان - الجزء الخامس - ترجمة: رمضان عبد التواب - دار المعارف - مصر - ١٩٨٣م.

٩- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق: لداود الأنطاكي (١٠٠٨هـ)- تحقيق: محمد التونجي- عالم الكتب ١٩٩٣م.

١٠- خزانة الأدب وغاية الأرب: لابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) تحقيق: كوكب دياب - دار صادر- ط١- ٢٠٠١م.

١١- الدر المصون المسمى بسحر العيون: لأبي البقاء البدري (ت٨٩٤هـ)- دار الشعب -١٩٩٨م.

١٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) - دار الجيل - بيروت - ١٩٩٣م.

١٣- ديوان ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ)

١- تحقيق: جودة أمين- دار الثقافة العربية - القاهرة - د.ت.

٢- وطبعة أخرى بتحقيق: عوض الصالح - جامعة قاريونس - بنغازي - ط١ - ١٩٩٥م.

٣- وطبعة ثالثة بتحقيق: حسين نصار - مركز تحقيق التراث - القاهرة - ط١ - ٢٠٠٤ م.

– ونقد لهذه الطبعات بعنوان: أزمة تحقيق التراث الشعري: ديوان ابن مطروح أنموذجا لكاتب هذه السطور.

١٤– ديوان أبي نواس (ت١٩٨هـ): حققه وشرحه وقدم له: سليم خليل قهوجي – دار الجيل – بيروت – ٢٠٠٣م.

١٥– ديوان الجزار (ت٦٧٩هـ)

١– تحقيق وتقديم ودراسة: محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الإسكندرية – ٢٠٠١م.

٢– جمع وتحقيق: أحمد عبد المجيد محمد خليفة – مكتبة الآداب – القاهرة – ط١–رقم الإيداع ٢٠٠٦م، وتاريخ الصدور يناير٢٠٠٧م.

١٦– ديوان الشاب الظريف (ت٦٨٨ هـ) – تحقيق: شاكر هادي شكر – مكتبة النهضة العربية – بيروت – ط١– ١٩٨٥م.

١٧– ديوان الصبابة: لابن أبي حجلة التلمساني (ت ٧٧٦هـ) – تحقيق د. محمد زغلول سلام– منشأه المعارف – الإسكندرية – ١٩٨٧م.

١٨– ديوان علي بن عمر بن قزل (٦٥٦هـ): تحقيق: محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الإسكندرية.

١٩– ديوان (المختار) الباخرزي (ت ٤٦٧هـ): ضمن كتاب الباخرزي: حياته وشعره: محمد التونجي– دار صادر– ط١ – ١٩٩٤م.

٢٠– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام (ت ٥٤٣هـ)–تحقيق: إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت– ١٩٧٩م.

٢١– ذيل مرآة الزمان: للشيخ: لليونيني (ت ٧٢٦هـ) – دار الكتاب الإسلامي – القاهرة – ط٢ – ١٩٩٢م.

٢٢- رسائل ونصوص في اللغة والأدب – مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن – ط١- ١٩٨٨م.

٢٣- صبح الأعشى: للقلقشندي – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٢٢م.

٢٤- صرف العين: للصفدي (ت ٧٦٤هـ) – تحقيق: محمد لاشين – دار الآفاق العربية – القاهرة – ط١ -٢٠٠٥م.

٢٥- طراز الحلة وشفاء الغلة: لشهاب الدين الغرناطي: تحقيق: رجاء السيد الجوهري – مؤسسة الثقافة الجامعية – ١٩٩٠م.

٢٦- قلائد (عقود) الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان: لابن الشَّعار الموصلي (ت٦٥٤هـ) – تحقيق: الأستاذ كامل سلمان الجبوي – دار الكتب العلمية- بيروت – ط١- ٢٠٠٥م ، ومخطوط طبعه بالتصوير: فؤاد سزكين – معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية – فرانكفورت ، ألمانيا الاتحادية ١٩٩٠م.

٢٧- غريب الحديث: لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)- تحقيق: عبد المعطي قلعجي – دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٨- فوائد الموائد: لأبي الحسين الجزار (ت٦٧٩هـ): تحقيق إبراهيم السامرائي، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلدين٢٧، ٢٨ ونشر أيضاً ضمن كتاب "رسائل ونصوص في اللغة والأدب والتاريخ"- مكتبة المنار – الأردن – ط١- ١٩٨٨,

٢٩- فوات الوفيات: لابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) – تحقيق: إحسان عباس – دار صادر – بيروت.

٣٠- الكشف والتنبيه على الوصف التشبيه: الصفدي (ت ٧٦٤هـ) – تحقيق: هلال ناجي، – بريطانيا – ١٩٩٩م.

٣١- لسان العرب: لابن منظور (ت ٧١١هـ) – تحقيق عبد الله الكبير وآخرين – دار المعارف – مصر – ١٤٠١هـ.

٣٢- مجموعة أشعار للنواجي (ت٨٥٩هـ) – مكتبة المتحف العراقي – بغداد – رقم: ١٩٤٤,

٣٣- المحاضرات والمحاورات: للسيوطي (ت ٩١١هـ): تحقيق: يحيى الجبوري – دار الغرب الإسلامي – بيروت –٢٠٠٣م.

٣٤- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: لابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩ هـ): ج١ تحقيق: عبد الله السريحي– أبوظبي– ٢٠٠٣م.

٣٥- مستوفى الدواوين: لمحمد بن عبدالله الأزهري (من أعيان القرن التاسع الهجري) – ج ١، ٢ – تحقيق: زينب القوصي، ووفاء الأعصر– مركز تحقيق التراث – القاهرة – ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.

٣٦- مطالع البدور: للبهاء الغزولي (ت ٨١٥هـ) – مكتبة الثقافة الدينية – ٢٠٠٠م.

٣٧- المعجم الوسيط: تحرير مجمع اللغة العربية بالقاهرة – مكتبة الشروق الدولية – ط٤– ٢٠٠٤م.

٣٨- منهل اللطايف في الكنافة والقطايف: للسيوطي (ت٩١١هـ) – القاهرة.

٣٩- نصرة الثائر على المثل السائر: لصلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤هـ) – تحقيق د. محمد علي سلطاني – دمشق – ١٩٧١م.

٤٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للمقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر – ١٩٨٦م.

٤١- نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن: لأحمد الشرواني (توفي بعد ١٢٢٤هـ) – المكتبة اليمنية – صنعاء – ط١- ١٩٨٥م.

٤٢- الوافي بالوفيات: للصفدي (ت ٧٦٤هـ) – ج ٢٧ تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى – دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ – ٢٠٠٠م. وطبعة أخرى بتحقيق نخبة من المحققين – دار نشر فرانس شتاينر – فيسبادن – ط٢- ١٩٩١م.

٤٣- وفيات الأعيان: لابن خلكان (ت ٦٨١هـ) – تحقيق د. إحسان عباس – دار الثقافة – بيروت – لبنان – ١٩٦٤م.

٤٤- الموسوعة الشعرية- المجمع الثقافي- أبو ظبي-٢٠٠٣م.

استدراك من الأستاذ هلال ناجي

فيما يأتي التتمة التي سقطت من النسخة المُرسلة إلى مجلة المجمع للمستدرك الذي نُشر في العدد السادس والسبعين من المجلة للأستاذ هلال ناجي الموسوم بـِ "ديوان أبي بكر الخوارزمي، صنعة الدكتور حامد صدقي– نقد واستدراك".

[٩٥]

قال الخوارزمي:

عَيْنَايَ عينانِ، بلْ عيناىَ عينانِ والنَّفْسُ بعدكِ مُذْ ودَّعْتِ نَفْسانِ
وقد بَرِئْتُ إلى العُذّالِ من نَفْسي وقد خَلَعْتُ إليهم عُذْرَ أَجفاني

التخريج: كتاب صَرْف العين للصفدي ج٢ ص١٧١ بتحقيق د. محمد عبدالمجيد لاشين – القاهرة ٢٠٠٥.

[٩٦]

وقال أبو بكر الخوارزمي:

وبينَ العيونِ النُجْلِ مَصْرَعُ هالكٍ أَجَازَ عليه البَيْنُ إذ جرَّح الهَجْرُ
إذا صَحَّفَتْ ألفاظُهُ نُسخةَ الهَوَى فَيَنْقُطُهُ ثَغْرٌ، ويَشْكلُهُ شُفْرُ

التخريج: صرف العين ج٢ ص٣١٩. وأجاز عليه البين: قتله.

[٩٧]

قال أبو بكر الخوارزمي:

إنَّ التي ضحكتْ عمداً؛ لتبلِيَني قامتْ على القلبِ بالغالِي من الثَّمَنِ
كَحلاءُ في دَعَجٍ، دعجاءُ في كَحَلٍ عيناءُ في حَوَرٍ، حَوْراءُ في عَيَنِ
في عينها وَسَنٌ، لكنَّهُ وَسَنٌ يحمي على كُلِّ عَيْنٍ لذَّةَ الوَسَنِ

التخريج: صرف العين للصفدي ج٢ ص٤٧٣ بتحقيق محمد عبدالمجيد لاشين، القاهرة – ٢٠٠٥م.

[٩٨]

قال الخوارزمي:

سقى الحِمى والحِمى محلتنا ... ندى سحابٍ لديْكُمُ ساحِبْ
أرضٌ كستني النعيمَ حمرة مَشْ ... روبيَ فيها، وخُضرة الشَّاربْ

التخريج: الهول المعجب في القول بالموجب: الصفدي ص١٥٩ بتحقيق الدكتور محمد عبدالمجيد شاهين – القاهرة ٢٠٠٤م.

[٩٩]

أنشدنا الأمير أبو نصر رزماشوب بن زياد الديلمي من سكان الأهواز، أنشدنا أبو سعد أحمد بن الحسن الدوانيقي بشيراز، قال: أنشدنا أبو حيّان التوحيدي، أنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه:

أتيتُ أخاً ليَ في حاجةٍ ... وكنتُ عليه خفيف المؤَنْ
فأنكرَ معرفةً لم تَزَلْ ... وأبدى مُماذَقَةً لم تكُنْ
وقال– وجاحد في حُبّه – ... أبو مَنْ ومِمَّنْ ومَنْ وابن مَنْ؟

التخريج: معجم السفر: للحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي.
حقَّقه: عبدالله بن عمر البارودي ص٩٧ – بيروت ١٩٩٣، ونُسبت لأبي هنات في روح الروح.

[١٠٠]

وقال:

بجيشٍ عنده للأُكْمِ ثأرٌ ... وحبسمُ للشمس في يده ضئيلُ
إذا الأرضُ اشتكته إلى سماءٍ ... أجابته السماءُ كذا أقول

فكاهـــلُ هـــذه منـــه ثقيـــلُ ونـــاظرُ هـــذه منـــه كحيـــلُ

التخريج: الدُّر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن ايدمر ج٣ ص٦٥.

[١٠١]

وقال الخوارزمي مهنِّئاً بقدوم:

أقـــــــرّ اللهُ ربُّ العالمينـــــــا بِعَـــوْدِك أيّهـــا المـــولى العيونـــا
تغيّـــب منـــذ غِبْـــتَ الأُنْـــسُ عنَّـــا وأُبْـــتَ فَـــآب كـــلُ الأنـــس فينـــا
وكـــانَ نهارُنـــا لـــيلاً بهيمـــاً فأضـــحى ليلُنـــا صُـــبْحاً مُبينـــا
تجلّـــى وجهُـــكَ الوضّـــاح فينـــا فـــأجلى الهـــمَّ فينـــا أجمعينـــا
وبشّـــر بِشْـــرُك الأحـــرارَ طُـــراً فأضـــحى كلهـــمْ مُسْتَبْشـــرينا
فيـــا لـــكِ أوبـــةً أفضـــت بنعمـــى بهـــــا لله ظلنـــــا شـــــاكرينا
ومـــن يـــكُ مثـــل فضـــلكَ فيـــه يـــأبى عـــلاهُ لـــه شـــبيهاً أن يكونـــا
بقيـــتَ لنـــا تحـــوز مـــدى الليـــالي فإنَّـــك مـــا بقيـــت لنـــا بقينـــا

التخريج: الدّر الفريد وبيت القصيد، محمد بن ايدمر ج٢ ص١٨٧.

[١٠٢]

يستدرك على القصيدة المرقّمة ١٧٧ في ديوانه ص ٣٨٥-٣٨٧ البيت التالي وموضعه الرابع فيها، وكان كتبها من سجنه يستشفع بالأمير أبي نصر الميكالي:

فها أنا تحت الدهر أخلق من (قفا)* "ومـــن أُمّ اروى دمنـــةٍ لـــم تَكَلَّـــمِ"

التخريج: الدّر الفريد وبيت القصيد ج٥ ص٢٧٩.

* قفا: إشارة إلى بيت امرئ القيس " قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزل"

رابعاً: أخبار مجمعية

مؤتمر

"اللغة العربية في المؤسسات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها"

عقد مجمع اللغة العربية الأردني موسمه الثقافي السابع والعشرين هذا العام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، في رحابه، في صورة مؤتمر علمي شعاره "اللغة العربية في المؤسسات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" في المدة (٨ – ١٠) ذو القعدة ١٤٣٠هـ، (٢٧ – ٢٩) تشرين الأول ٢٠٠٩م.
تركزت فعاليات هذا المؤتمر حول واقع اللغة العربية في الأردن وسبلِ النهوض بها، واشتملت على تسعة عشر بحثاً في أربعة محاور توزعت على سبعِ جلسات لمدة ثلاثة أيام.

في بداية المؤتمر ألقى الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع كلمة الافتتاح، تحدّث فيها عن نشأة المجمع وأهدافه وإنجازاته، ومواسمه الثقافية وتجربةِ المجمع في تأليف كتب المرحلة الأساسية للغة العربية في بداية التسعينيات، وتجربتهِ في تعريب العلوم الأساسية والطبية، وقال: "إن اللغة تُكتسبُ اكتساباً بالممارسة ومحاكاةِ نصوصِ اللغة العربية الفصيحة الجميلة، وبالتعليمِ المدرسي الممنهجِ والمخطّطِ له عن علمٍ ومعرفةٍ وخبرةٍ في جميع كتب مرحلة التعليم العام".
وقال أيضاً: "إن التعبير عن دقائقِ الفكر والمعرفةِ يقتضي لغةً سليمةً دقيقةً واضحةً، فسلامةُ الفكر من سلامة اللغة. واللغةُ العربية السليمة هي اللغةُ الدقيقةُ الحيةُ النامية التي تستطيع أن تعبّرَ عن دقائقِ الفكر والمعارف الإنسانية. وهي في الوقت نفسِه تكوّن هويةَ الأمة العربية،

وشـريانَ الحيـاة الحضـارية والعلميـة المبدعـة. وحقـائقُ الأشـياء، وتجاربنـا العلميـة والمعرفيـة القديمـة والحديثـة تقضـي بأنـه لا تقـدّم ولا إبـداع إلا مـن خلال لغة الأمة الجامعة، واللغةِ العربية الفصيحة، لغةِ العروبة والإسلام.

جلسات اليوم الأول: الثلاثاء ٢٠٠٩/١٠/٢٧م

الجلسة الأولى:

عُقـدت برئاسـة الأسـتاذ الـدكتور إسـحق أحمـد فرحـان، وموضـوعها المحـور الأول وهـو "الترجمـة والتعريـب وأهميتهمـا فـي التنميـة اللغويـة والحضارية للمجتمع الأردني"، وأُلقيت في هذه الجلسة ثلاثة بحوث، هي:

١. "الترجمـة طريـق إلـى المسـتقبل" ألقـاه الأسـتاذ الـدكتور محمـد عصـفور من الجامعة الأردنية.
٢. "اجتيـاز امتحـان الكفـاءة باللغـة العربيـة شـرط للتعيـين فـي المؤسسـات العامـة والخاصـة" ألقـاه الأسـتاذ الـدكتور عبـدالله زيـد الكيلانـي مـن جامعة عمان العربية للدراسات العليا.
٣. "دور التخطـيط اللغـوي فـي خدمـة اللغـة العربيـة والنهـوض بهـا" ألقـاه الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق من جامعة آل البيت.

الجلسة الثانية:

عُقدت برئاسة الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عربيات، وموضوعها المحور الثاني من محاور المؤتمر، وهو "اللغة العربية في التعليم العام، واقعها وسبل النهوض بها"، وأُلقيت في هذه الجلسة ثلاثة بحوث، هي:

١. "من مهارات الاتصال إلى جماليات الأدب، دراسة في النصوص الأدبية للمرحلة الثانوية في المناهج الأردنية" ألقاه الدكتور محمد بلال الجيوسي من جامعة البترا.
٢. "معلم اللغة العربية في التعليم العام، الواقع وسبل النهوض بأدائه التربوي" ألقاه الدكتور عودة أبو عودة من جامعة الشرق الأوسط.
٣. "أساليب تعليم اللغة العربية ووسائلها في التعليم العام" ألقاه الأستاذ الدكتور أمين الكخن من الجامعة الأردنية.

الجلسة الثالثة:

عُقدت برئاسة الأستاذ الدكتور عيد دحيات، وهي استمرار للمحور الثاني، وأُلقيت فيها ثلاثة بحوث، هي:

١. "المستوى اللغوي في تعليم مناهج المواد العلمية في التعليم العام، واقعه وسبل النهوض به، منهاج الفيزياء للصف العاشر، نموذجاً" ألقاه الدكتور منير شطناوي من الجامعة الهاشمية.
٢. "برامج تأهيل معلمي اللغة العربية في الجامعات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" ألقته الدكتورة خلود العموش من الجامعة الهاشمية.

٣. "تـدريس اللغـات الأجنبيـة فـي التعلـيم العـام، وأثـره فـي تعلـيم اللغـة العربيـة" ألقـاه الأسـتاذ الـدكتور عبـدالله عويـدات، جامعـة عمـان للدراسات العليا.

جلسات اليوم الثاني: الأربعاء ٢٠٠٩/١٠/٢٨م

الجلسة الرابعة:

عُقـدت برئاسـة الأسـتاذ الـدكتور عبـد المجيـد نصـير، وموضـوعها المحـور الثالـث مـن محـاور المـؤتمر وهـو "اللغـة العربيـة فـي التعلـيم الجـامعي فـي الجامعـات الأردنيـة، واقعهـا وسـبل النهـوض بهـا"، وأُلقيـت فيهـا أربعـة بحوث، هي:

١. "تعريـب التعلـيم الجـامعي، الجامعـة الأردنيـة نموذجـاً" ألقـاه الأسـتاذ الدكتور حميد الحاج من الجامعة الأردنية.
٢. "خطـط اللغـة العربيـة فـي الجامعـات الأردنيـة، الواقـع وآفـاق التطـور" ألقاه الدكتور عبد الحميد الأقطش من جامعة اليرموك.
٣. "اللغـة العربيـة متطلـب جـامعي فـي الجامعـات الأردنيـة، واقعهـا وسـبل النهـوض بهـا" ألقـاه الأسـتاذ الـدكتور زيـاد الزعبـي مـن جامعـة اليرموك.
٤. "الرسـائل الجامعيـة بـين الواقـع والمـأمول، قسـم اللغـة العربيـة فـي جامعـة اليرمـوك، نموذجـاً" ألقـاه الأسـتاذ الـدكتور فـوزي الشـايب مـن جامعة اليرموك.

الجلسة الخامسة:

عُقدت برئاسة الأستاذ الدكتور بشار عواد، وأُلقي فيها بحثان، هما:

١. "اللغة العربية في كليات الحقوق الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" ألقاه الأستاذ الدكتور كامل السعيد من الجامعة الأردنية.
٢. "اللسانيات الحديثة في الجامعات الأردنية، وأثرها في تنمية اللغة العربية ومعالجة قضاياها، الواقع وسبل النهوض" ألقاه الأستاذ الدكتور سمير استيتية من جامعة اليرموك.

الجلسة السادسة:

عُقدت برئاسة الأستاذ الدكتور يوسف بكار، وموضوعها المحور الرابع من محاور المؤتمر، وهو "اللغة العربية في المؤسسات الإعلامية والرسمية، واقعها وسبل النهوض بها" وأُلقي فيها بحثان، هما:

١. "اللغة العربية في الشبكة العنكبوتية العالمية في المؤسسات الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" ألقاه الدكتور رائد عكاشة من جامعة الإسراء.
٢. "اللغة العربية في برامج الأطفال في مؤسسات الإعلام الأردنية، واقعها وسبل النهوض بها" للدكتور ناصر شبانة، وألقاه بالإنابة الدكتور إبراهيم حسين خليل من جامعة الإسراء.

جلسات اليوم الثالث: الخميس ٢٠٠٩/١٠/٢٩م

الجلسة السابعة:

عُقدت برئاسة الأستاذ الدكتور عبد القادر عابد، استكمالاً للمحور الرابع، وأُلقي فيها بحثان، هما:

١. "اللغة العربية في الصحف اليومية والأسبوعية في الأردن، واقعها وسبل النهوض بها" للأستاذ الدكتور خالد جبر من جامعة البترا.
٢. "اللغة العربية في الدواوين والمخاطبات والمراسلات في المؤسسات العامة والخاصة، واقعها وسبل النهوض بها" ألقاه الأستاذ الدكتور سمير الدروبي من جامعة مؤتة.

الجلسة الختامية:

عقد المؤتمر جلسته الختامية برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رئيس المجمع استمع فيها الحاضرون إلى:

- كلمة مجمع اللغة العربية الأردني، ألقاها الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، عضو المجمع.
- التقرير الختامي والتوصيات الصادرة عن المؤتمر، ألقاه الدكتور عبد الحميد الفلاح، الأمين العام للمجمع.

رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التَّعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد أُجريت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدَّمة إلى الجامعة الأردنية:

رسائل الدكتوراه في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

- رسالة دكتوراه مقدَّمة من الطالب غازي عبد العزيز عاشير، عنوانها "تلقّي الشعر الجاهلي في النقد الحديث"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور جاسر خليل أبو صفية المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي والأستاذ الدكتور أنور أبو سويلم والأستاذ الدكتور ماجد ياسين الجعافرة، وذلك يوم الاثنين ٢٧ رجب ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٧/٢٠م.

- رسالة دكتوراه مقدَّمة من الطالب مشعل سليمان الخوالدة، عنوانها "فصاحة الكلمة العربية في ضوء علم الأصوات الحديث"، وتألّفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر نايف عبابنة المشرف/رئيساً، وعضوية: الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري والدكتور إبراهيم محمود خليل والأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل، وذلك يوم الأحد ٤ شعبان ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٧/٢٦م.

- رسالة دكتوراه مقدَّمة من الطالب فهد معجب العتيبي، عنوانها "لغة هوازن"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد حسن عواد المشرف/ رئيساً، وعضوية الأستاذ الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة والدكتور محمود جفال الحديد والأستاذ الدكتور محمد أمين الروابدة، وذلك يوم الأحد ١١ شعبان ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٨/٢م.

- رسالة دكتوراه مقدَّمة من الطالب حسن مطلب محمد المجالي، عنوانها "أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد المجالي المشرف/رئيساً، والدكتورة امتنان الصمادي المشرف المشارك، وعضوية: الأستاذ الدكتور زياد صالح

الزعبي والأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي والأستاذ الدكتور زهير أحمد المنصور، وذلك يوم الأربعاء ٢٩ ذي الحجة ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/١٢/١٦م.

رسائل الماجستير في كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

- رسالة ماجستير مقدَّمة من الطالب محمد بتال هذال الدوسري، عنوانها "عبده خال روائيًّاً"، وتألّفت لجنة المناقشة من الدكتورة امتنان عثمان الصمادي المشرفة/ رئيسة، وعضوية: الأستاذ الدكتور شكري عزيز الماضي والدكتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور محمد صالح الشنطي وذلك يوم الأربعاء ٢٢ رجب ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/٧/١٥م.

- رسالة ماجستير مقدَّمة من الطالبة ازدهار عبد الرحيم الخلايلة، عنوانها "المفارقة في القصّة القصيرة النسوية في الأردن"، وتألّفت لجنة المناقشة من الدكتورة امتنان عثمان الصمادي المشرفة/ رئيسة، وعضوية: الأستاذ الدكتور إبراهيم عبد الرحيم السعافين والدكتور إبراهيم محمود خليل والأستاذ الدكتور سامح عبد العزيز الرواشدة، وذلك يوم الخميس ١٥ شعبان ١٤٣٠ هـ، الموافق ٢٠٠٩/٨/٦م.

- رسالة ماجستير مقدَّمة من الطالب محمد سلمان مرزوق الرقب، عنوانها "ظاهرة التصعيد الخطابي في السُّور المكيَّة (المدَّثر والقيامة أنموذجاً)"، وتألّفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة المشرف/ رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالسة والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور عودة خليل أبو

عـــودة، وذلـــك يـــوم الخمـــيس ١٧ ذي القعـــدة ١٤٣٠هـــ، الموافـــق ٢٠٠٩/١١/٥م.

- رسـالة ماجسـتير مقدَّمـة مـن الطالـب سـعد ماشـي العنـزي، عنوانهـا "الرؤيـة والتّشـكيل فـي شـعر ابـن خاتمـة الأنصـاري الأندلسـي"، وتألّفـت لجنـة المناقشـة مـن الـدكتور حمـدي محمـود منصـور المشـرف/ رئيسـاً، وعضـوية: الأسـتاذ الـدكتور صـلاح محمـد جـرار والـدكتور محمـد علـي أبـو حمـدة والأسـتاذ الـدكتور يـونس شـنوان شـديفات، وذلـك يـوم الخمـيس ٢٤ ذي القعدة ١٤٣٠ هـ، الموافق ٢٠٠٩/١١/١٢م.

- رسـالة ماجسـتير مقدَّمـة مـن الطالـب محمـد واكـد علـي الـدقس، عنوانهـا "المفعـول فيـه فـي القـرآن الكـريم/ دراسـة نحويـة إحصـائية"، وتألّفـت لجنـة المناقشـة مـن الأسـتاذ الـدكتور محمـد حسـن عـوّاد المشـرف/ رئيسـاً، وعضـوية: الأسـتاذ الـدكتور إسـماعيل عمـايرة والـدكتور جعفـر نـايف عبابنـة والأسـتاذ الـدكتور رسـلان بنـي ياسـين، وذلـك يـوم الخمـيس ٢ ذي الحجة ١٤٣٠هـ، الموافق ٢٠٠٩/١١/١٩م.